قضايا دولية

تركة قرن مضى وحمولة قرن أتى

الدكتور
محمد عوض الهزايمة



www.daralhamed.net

بسم الله الرحمن الرحيم

قضايا دولية

تركة قرن مضى وحمولة قرن أتى



المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2006/10/2715)

341.4

الهزايمة، محمد.
قضايا دولية/ محمد عوض الهزايمة، - عمان : دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع،
الطبعة الأولى 2007م .
( ) ص .
ر. إ. : (2006/10/2715) .
الواصفات :القضايا//القانون الدولي/
رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر 2006/9/3350
*يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

❖ أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية .

* (ردمك) ISBN 978-9957-32-292-3



دار الحامد للنشر والتوزيع
شفا بدران - شارع العرب مقابل جامعة العلوم التطبيقية
هاتف: 00962- 5231081 فاكس : 00962- 5235594
ص.ب . (366) الرمز البريدي : (11941) عمان – الأردن

Site : www.daralhamed.net
E-mail : info@daralhamed.net
E-mail : daralhamed@yahoo.com
E-mail : dar_alhamed@hotmail.com

قضايا دولية

تركة قرن مضى وحمولة قرن أتى

الدكتور محمد عوض الهزايمة

جامعة العلوم التطبيقية

عمان

1431هـ /2010م



المحتويات

الفصل السابع

الفصل الثامن

المقدمة

الحمـــــــد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن أستن بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد:

لا شك ان هناك عدداً من القضايا والأحداث القومية والإقليمية والدولية والتي لها دورها في صياغة منطقتنا العربية والإسلامية عامة والعالم خاصة. لاقت أسباباً وانتشاراً وتعددت التفاسير ووجهات النظر حولها، في الأوساط السياسية والإعلامية والأكاديمية، العربية والأجنبية، وزاد الحديث والتحدث عنها بكثرة منذ الربع الأخير من القرن الماضي وهي كثيرة ومتعددة ومتشعبة، تستهوي البحث والدراسة للوقوف على أبعادها وجوانبها المختلفة.

إن الأهمية التي نبعت منها هذه الدراسة في تناول هذه الموضوعات، تكمن في تأثير هذه الأحداث حيث تعددت الرؤى والتصورات بشأنها، بل وقد وصلت إلى حد التضارب والتناقض عند تناولها، وقد اخترنا منها ما نعتقد أنها بحاجة للدراسة وتتمثل فيما يلي: النظام الدولي الجديد، والإرهاب الدولي، والأمن القومي والمديونية، والحروب الأهلية والعرقية والعولمة وسباق التسلح، ومستقبل السلام الدولي. ولما كانت لهذه أهمية بالغة بالنسبة للعالم عامة والعرب والمسلمين خاصة، فإنني والحالة هذه وجدت في نفسي الرغبة لوضع مؤلف يتناول هذه القضايا.

إن الأهداف التي توخيتها في هذا المؤلف كثيرة وفي مقدمتها إعطاء فكرة عن هذه القضايا جميعاً، تكون زاداً لأهل الاختصاص في دراساتهم، وزاداً لطالبي المعرفة ممن تستهويهم الرغبة في الإحاطة بشيء من المعرفة عنها. أضف أنني وددت إضافة الجديد للمكتبة السياسية العربية في هذا المجال (ومن وجهة

نظر مجتهد في الكتابة لا يزال في بداية الطريق، وإنني وددت إعطاء القضايا العربية والإسلامية الحظ الوافر في هذا الكتاب، لأنني أدرك أن المعرفة بقضايانا توقظ الفكر للعمل على حلها.

إن الصعوبات التي واجهتني خلال البحث كثيرة، وفي مقدمتها صعوبة التوفيق بين الآراء المتضاربة والمتناقضة في تفسير أسباب القضايا المطروحة وانقسام العالم حولها تبعاً لاختلاف تفسير هذه الأساليب والتخوف من النتائج التي ستخلفها وراءها بعد عاصفة وقوعها.

وأما المنهجية التي اتبعتها فقد ارتأيت وضع موضوعات الكتاب في فصول ستة بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة، وقد تسلحت بالمنهج التاريخي والمعرفي والتحليلي، عند تناولنا موضوعات الكتاب، لكون طبيعة الدراسة تتطلب أكثر من منهج، ولقصور منهج واحد في تأدية المهمة وبلوغ الأهداف.

وأخيراً: إن هذا الجهد العلمي ما هو إلا محاولة اجتهادية، لا أدعي أنني جئت بكل جديد يتعلق بموضوعات الدراسة، بل جئت بما توقعته أنه ضرورة تخدم الأهداف التي أردت خدمتها وتحقيقها في هذا الوليد الثقافي الجديد، وإنني إذ اعترف أن كل عمل إنساني ناقص، ولهذا لم يأت هذا الكتاب بتمام المعرفة وكمال المعلومة، الأمر الذي أتوجه به إلى العلي القدير ليغفر لي ما قصرت فيه، ويثيبني على ما وفقت إليه، وأن لا يجعله الكتاب الأخير في حياتي، ويجمعني في زمرة الصالحين أنا ووالديّ ومن له حق عليَّ ويضع هذا الكتاب الذي ما أردت به إلا وجهه الكريم في ميزان أعمالنا، نسأله ذلك كله وأنا أردد قوله تعالى:(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)(**الأحقاف:15**).

المؤلف
الدكتور/ محمد عوض الهزايمة

الفصل الأول

النظام الدولي الجديد

الفصل الأول
النظام الدولي الجديد[1]

مقدمة:

لقد عاصرنا عملية الحشد لدول التحالف في شبه الجزيرة العربية، وعاصرنا الهجوم الذي شنته قوات التحالف لإخراج العراق من الكويت، والتي بدأت أحداثها في 2 آب عام 1990، قيل لنا أن عملية الحشد هذه تعتبر من أكبر عمليات الحشد منذ فيتنام، جاءت نتيجة تهديد شبيه بتهديد هتلر، من الرئيس العراقي - صدام حسين - وقيل ما قيل فيه، ومما قيل إنه سيغزو العربية السعودية في أية لحظة بعد أن حط ركابه في الكويت، وأنه يتوجب على أمريكا أن ترسل رجالها لحماية حليفتها، وتحت شعار الخوف من حمام الدم والموت، وأن هذا الرجل - صدام حسين - سوف يضع يديه على نفط العالم، وأنه سيستعمله كسلاح سياسي، لإفلاس العالم وتدميره.

وقد أشار – جورج بوش – الرئيس الأمريكي آنذاك في رسالته إلى الشعب الأمريكي، أنه بعد الخروج من هذا النزاع، سيكون بإمكانه فرض النظام العالمي الجديد، وشيء آخر دعاه بـ (القانون العالمي)، وفي شباط من عام 1991، ظهر الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش في لباس استعراضي، رسمت عليه خريطة العالم، ليعلن في أعقاب إنهيار الاتحاد السوفييتي، أنه أصبح زعيماً للنظام العالمي الجديد الذي يقوم على أحادية القطبية، ومن يومها كلما حدثت حادثة في ركن من أركان الدنيا تطلع الجميع

(1) النظام الدولي الجديد ليس جديداً بل أنه نظام استعماري قديم، تتجدد الزعامة فيه، كلما حسمت المعركة لصالح طرف من أطراف الصراع العالمي.

إلى التقرير اليومي للخارجية الأمريكية، أو إلى الرئيس الأمريكي أو وزير خارجيته، ليتعرفوا على رأي أمريكا (زعيمة العالم) نحو هذه الحادثة، حتى يميلوا حيث الرياح الأمريكية مالت.

هذا النظام الذي نحن بصدده ماذا عنه؟ وكيف تشكل؟ وما هي آثاره؟ هذا ما سنتحدث عنه خدمة لهذا العنوان الذي أخذ يتردد مصطلحه على كل لسان وتتحرك به كل الشفاه.

أولاً: تعريف النظام الدولي

علينا أن نعرف النظام الدولي بداية لكي تستسيغ الأسماع وتدرك الأفهام ماهية ما نحن عازمون الحديث عنه، فالنظام الدولي ليس هو المجتمع الدولي، فالمجتمع الدولي هو الإطار الذي يشكل بنيان النظام الدولي تبعاً لحقائقه، وإنَّ النظام الدولي يجد مجال تطبيقه في المجتمع الدولي. أضف إلى أن التنظيم الدولي يختلف عن النظام الدولي، فالأول يعد بمثابة المؤسس للثاني، الأمر الذي يجعلنا نقف على أبواب تعريف النظام الدولي للخروج من بوابة مقابلة المصطلحات التي تكاد تتشابه مع بعضها البعض، فالنظام الدولي يعرف بأنه: "مجموعة الحقائق الاقتصادية والاجتماعية، والجغرافية والسياسية، التي تحكم علاقات المجتمع الدولي بكل أشخاصه ومؤسساته، وبكل الأنساق القيمية والقانونية التي تعبر عن هذه الحقائق، والتي تنظم علاقات الدول والمجتمع الدولي بالطبيعة، وآليات التنفيذ لهذه العلاقات"[(1)].

وقد عرفه (موريس أيست)[(2)] بأنه: "النظام الذي يمثل أنماطاً من التفاعلات والعلاقات بين الفواعل السياسية ذات الطبيعة الأرضية (الـــدول)

(1) أحمد شرف، مسيرة النظام الدولي الجديد قبل وبعد حرب الخليج، د. م، دار الثقافة الجديدة، 1992،ص2.

(2) Mauric A. East, The International system perspective and foreign policy. in, Mauric A-East, s-A-Salmore and C.F. Hermann. eds. why actions Act Beverly Hills. Saye Publications. 1978, P. 145.

التي تتواجد خلال وقت محدد"، وأما "هولستي" فقال فيه بأنه: "تجمع يضم هويات سياسية مستقلة قبائل، مدن، دول، أمماً أو إمبراطوريات، تتفاعل فيما بينها بتواتر معقول ووفقاً لعمليات منتظمة"[(1)]، في حين ركز "كينث بولدنغ" في تعريفه للنظام الدولي على الأبعاد السلوكية الناجمة عن عملية التفاعل بين وحدات سياسية، فهو من وجهة نظره: "مجموعة من الوحدات السلوكية المتفاعلة التي تسمى أمماً أو دولاً، والتي يضاف إليها أحياناً بعض المنظمات فوق القومية كالأمم المتحدة، ويمكن أن توصف كل وحدة من هذه الوحدات السلوكية، بأنها مجموعة من المتغيرات التي يفترض وجود علاقات معينة فيما بينها"[(2)].

أما (مورتن كلابلان) فقد وصف النظام الدولي بقوله: "مجموعة من المتغيرات المترابطة فيما بينها والمتميزة عن محيطها وتستند هذه المتغيرات على قواعد سلوكية تميز العلاقات القائمة على مجموعة من المتغيرات الفردية عن تجمع المتغيرات الخارجية"[(3)]، وهذا (ستانلي هوفمان) يرى أن: "النظام الدولي عبارة عن نمط للعلاقات بين الوحدات الأساسية للسياسة الدولية، ويتحدد هذا النمط بطريقة بنيان أو هيكل للعالم، وقد تطرأ تغيرات على النظام مردها التطور التكنولوجي، أو التغيير في الأهداف الرئيسية كوحدات النظام، أو نتيجة التغيير في نمط وشكل الصراع بين مختلف الوحدات المشكلة للنظام[(4)].

ونحن بدورنا يمكننا تعريف النظام الدولي استناداً على ما سبق من

---

(1) K.J, Holsti, International Politics, Afrome work for Analysis prntice-Hall. inc. 1967. P. 9.

(2)Kenneth. G Boulding, Conflict and Defense Ageneral theory IV.Y Harper Tourch Books 1963.P.7.

(3)Morton A.Kaplan, System and Process in International Politics. N.Y. John Wiley and sons 1962, P. 12.

(4)Kenneth Waltz, Theory of International Politics, Reading: Mass Addison-Wesley Publishing Company, 1979, P. 162.

التعريفات بالقول: "بأنه مجموعة من المتغيرات ذات الارتباط المباشر بالحياة المعاشية لأشخاص ومؤسسات المجتمعات البشرية تتفاعل فيما بينها وفقاً لآليات منتظمة تنقل هذه المجتمعات من حالة إلى حالة أخرى".

ويمكننا من جملة التعريفات السابقة استخلاص ميزات النظام الدولي وأهمها[1]:

1- إن النظام الدولي يجسد نسقاً من التفاعلات أو العلاقات تتميز بالوضوح والاستمرارية.
2- إن النظام الدولي لا يعيش في حالة ثبات وسكون بل هو في حالة حركة مستمرة متصلة ومستمرة.
3- إن النظام الدولي في حد ذاته قابل للتغير المستمر.
4- إن النظام الدولي يمثل هيكلاً بنيوياً تشكله وحدات متعددة (دول، منظمات، شركات متعددة الجنسية).

ثانياً: التطور التاريخي للنظام الدولي

تعود نشأة النظام الدولي (International System) إلى حوالي أربعة قرون مضت، ويؤرخ له تحديداً عام 1648م، حين وقعت الممالك الأوروبية معاهدة الصلح المسماة بمعاهدة وستفاليا، ويشار إلى هذه المعاهدة على أنها أنهت الحروب الدينية في أوروبا، ووضعت لأول مرة عدة مبادئ ذات طبيعة سياسية منها: احترام الحدود السياسية بين تلك الممالك، وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، وإقرار مبدأ المساواة، كما وضعت أسس الدبلوماسية والتي عرفت باسم دبلوماسية المؤتمرات والتي يتم من خلالها تبادل وجهات النظر لحل الخلافات الناشئة[2]. واتخذ النظام الدولي منذ ذلك الحين أشكالاً

---

(1) عبد القادر فهمي، النظام السياسي الدولي، دراسة في الأصول النظرية، عمان، دار وائل للنشر 1997، ص16-17.

(2) بطرس غالي ومحمود خيري عيسى المدخل في علم السياسة - القاهرة: مكتبة الأنجلو - مصرية، 1984، ص245-246.

متنوعة ما بين: نظام متعدد القطبية، ونظام ثنائي القطبية ونظام أحادي القطبية وهذه الأنظمة تختلف فيما بينها، وهذا الاختلاف جوهره عدد اللاعبين على مسرح النظام، ويمكننا أن نولي هذه الأنظمة شيئاً من الاهتمام وعلى النحو التالي[1]:

1- نظام متعدد القطبية:

تتميز معالم هذا النظام المتعدد الأقطاب بوجود مجموعة قوى تمتلك من مصادر القوة القومية، والنفوذ ما يجعلها تتبوأ مركزاً هاماً على قمة الهرم الدولي،

وبالشكل الذي يجعلها متميزة عن غيرها، ومتكافئة نسبياً، إن لم تكن متعادلة تقريباً مع بعضها البعض، والتاريخ السياسي الدولي حافل بأمثلة عدة لهذا النموذج القطبي[2]: ففي عام 1700م كانت القوى العظمى تتمثل الإمبراطورية العثمانية والسويد وهولندا وإسبانيا والنمسا وفرنسا وبريطانيا.

وفي عام 1800م كانت القوى العظمى تتمثل بـ : النمسا وفرنسا وبريطانيا وبروسيا وروسيا، وفي عام 1870م، أضيف للدول السابقة إيطاليا، وفي عام 1910م تمثلت القوى العظمى بالنمسا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا وروسيا وإيطاليا واليابان والولايات المتحدة، وفي عام 1935م خرجت النمسا من ركب الدول العظمى السابقة[3].

2- نظام الثنائية القطبية:

تتحد هيكلية النظام الدولي في هذا النموذج بوجود قوتين عظميين تمتلكان من مصادر القوة والنفوذ ما لم تتح لأية وحدة دولية أخرى، وفي ظل

---

(1) هذه الأنظمة يمكن أن تصبح غداً نماذج للنظام العالمي المستقبلي - انظر - ناصيف يوسف صبحي، أي هيكل للنظام الدولي الجديد، مجلة الفكر العدد (3،4)، 1995، ص107 وما بعدها.

(2) عبد القادر محمد فهمي، مرجع سابق، ص65.

(3) توفيق حصوة ورفقاه، قضايا ومشكلات دولية معاصرة د. م، د. ن، د. ت، ص5.

هذا الواقع الدولي تتخذ علاقات القوة أشكالاً مختلفة لعل من أبرزها عملية الاستقطاب (Polarization)، أي تجمع القوى الكبرى والمؤثرة حول مركزين قياديين، وقيام علاقات تنافسية - صراعية بينهما، والتاريخ السياسي قدم لنا نموذجاً خاصاً بهذا النظام بعد الحرب العالمية الثانية حيث برزت الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي عام 1945 وحتى عام 1991 الدولتان اللاعبتان الأقوى على المسرح الدولي[1].

3- النظام الأحادي القطبية:

وأبرز معالم هذا النظام بروز دولة واحدة على قمة الهرم الدولي، تمتلك من القوة والنفوذ ما لم تمتلكه غيرها من وحدات النظام الدولي، وأبرز سمات هذا النظام، بأن الدولة المتفردة بالقوة والنفوذ تعتلي سدة الهرم، وتقوم بوظيفة توزيع الأدوار وفرض السياسيات التي تريد، على بقية وحدات النظام، وتتدخل في شؤون الدول من أجل ترتيب البيئة الدولية بالشكل الذي يضمن لها الاستمرار في قيادة العالم. وقد حمل التاريخ السياسي نموذجاً لهذا النظام هذا النموذج يتمثل بقيادة الولايات المتحدة للعالم منذ عام 1991 بعد أزمة الخليج الثانية وأفول نجم الاتحاد السوفييتي بعد تفكيكه[2].

ثالثاً: مكونات النظام الدولي

المقصود بالمكونات هي تلك العناصر الأساسية الفاعلة في النظام الدولي والمؤثرة فيه أو الفاعلون (Actors) الذين يتفاعلون معاً بصورة تلقائية بغرض تحقيق أهداف معينة وهؤلاء هم[3]:

---

(1) المرجع السابق، نفس الموضع.

(2) للمزيد انظر ودودة بدران، مفهوم النظام العالمي الجديد في الأدبيات الأمريكية، مجلة عالم الفكر، العدد (3،4)، 1995، ص21-30.

(3) محمد أحمد عواد، النظام الدولي الأمريكي الجديد، عمان: دار البشير للنشر 1992، ص15-23،- انظر أيضاً - توفيق حصوة ورفقاه، المرجع السابق، ص10-14، انظر لذلك - عبد القاهر محمد فهمي، المرجع السابق، ص37-52.

1- الدول:

تشكل الدول الفاعل الرئيسي في النظام الدولي منذ إنشائها في أعقاب معاهدة صلح وستفاليا، وهكذا يتخذ النظام صفته "الدولية" من الدول، ولاشك ان عناصر قوة الدولة من ناحية، والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها من ناحية أخرى، من شأنها أن تحدد أنماط سلوك الدولة وتفاعلاتها الخارجية مع كافة الأطراف الأخرى الفاعلة من النظام الدولي، وأهم ما يميز الأهداف التي تسعى الدولة إلى تحقيقها أن تتفق وقدراتها، ولا تتعارض مع أهداف الدول الأخرى ومصالحها القومية.

2- المنظمات الدولية:

لقد أخذت المنظمات الدولية مكانها إلى جانب الدول كعنصر فاعل في بنية النظام الدولي، في أعقاب الحرب الكونية الثانية، نظراً للوظائف المتعددة وذات الأهمية التي تقوم بها على المستوى الدولي، ويمكن تصنيف هذه المنظمات على النحو التالي:

أ- **المنظمات الدولية العالمية:** وهي المنظمات التي تفتح باب العضوية بها للدول كافة بصرف النظر عن الإقليم الذي تنتمي إليه، ومثالها عصبة الأمم التي أنشئت في أعقاب الحرب العالمية الأولى وكجزء من التسوية التي تم الاتفاق عليها في مؤتمر فرساي عام 1919، ثم قامت على أنقاضها هيئة الأمم المتحدة في أعقاب الحرب الكونية الثانية عام 1945,

ب- **المنظمات الدولية الإقليمية:** وهي المنظمات التي تقتصر عضوبتها على الدول التي توجد في إقليم معين، ومثالها جامعة الدول العربية والتي تضم الدول العربية التي تشكل النظام الإقليمي العربي، ومنظمة الوحدة الإفريقية التي تقتصر عضويتها على الدول الواقعة في القارة الإفريقية فقط.

جـ- **المنظمات المتخصصة ذات الصفة العالمية:** وهي الوكالات التي تضطلع بتبعات دولية واسعة في الاقتصاد والاجتماع والثقافة والصحة وترتبط هذه

بالأمم المتحدة، ومثالها منظمة اليونسكو (باريس)، ومنظمة العمل الدولية (جنيف) ومنظمة الأغذية والزراعة (الفاو)... الخ.

د- **المنظمات المتخصصة الإقليمية:** وهي تلك المنظمات التي ترتبط بالمنظمات الإقليمية وتمارس نشاطها في ظلها.

هـ- **المنظمات الدولية الحكومية:** وهي تلك التي تشكلها الحكومات وتستمد قوتها من عضوية الدول فيها، ومثالها منظمة الأوبك التي تضم ثلاث عشرة دولة منتجة ومصدرة للنفط[1].

و- **المنظمات الدولية غير الحكومية:** وهي تلك التي يشكلها الأفراد أو الجماعات دون أن تفرض الحكومات نفسها على عضويتها، وتتناول في أغلب الأحيان أنشطة إنسانية تهتم بالعالم ومثالها: الصليب الأحمر وغرف التجارة الدولية ومنظمات حقوق الإنسان.... الخ.

3- الشركات المتعددة الجنسية:

إن الشركات المتعددة الجنسية جزء رئيسي من الفاعلين الدوليين الذين يفوقون الدول من حيث الاختصاص، من حيث عدم الالتزام بحدود سياسية معينة ويطلق على هؤلاء (Transnational Actors)، وإن كانت الشركات المتعددة الجنسية تعني (Multinational Corporations) وتلعب هذه القوى دوراً أساسياً وسياسياً يؤثر على الأوضاع الداخلية والخارجية على المسرح العالمي، كذلك في عدة دول فاعلة في النظام الدولي. ومن ميزات هذه الشركات أنها: تملك القوة المالية والتكنولوجيا، وحماية الدولة الأم ولها خبرة في الأسواق.

رابعاً: مقدمات لقيام النظام الدولي الجديد

هناك مقومات ذات أهمية مهدت لقيام النظام الدولي العالمي الجديـــد

---

(1) هذه الدول هي: الإمارات العربية، الجزائر، العراق، السعودية، الكويت، ليبيا، قطر، أكوادور، أندونيسيا، إيران، الجابون، نيجيريا، فنزويلا.

يمكن إبرازها فيما يلي:

1- تحولات في مسيرة النظام الثنائي القطبية:

من المعلوم لدينا أن النظام الثنائي القطبيـة قـد سـيطر عـلى العـالم في أعقـاب الحرب الكونية الثانية، حيث تمثل قطبه الأول بالولايات المتحدة الأمريكيـة وتزعمـت دول الغرب، وقطبه الثاني قـادة الاتحـاد السـوفياتي كـزعيم للكتلـة الشرـقية وتميـزت خلال هذه الحقبة التاريخية أربع مراحل هي[1]:

أ- مرحلة الحرب الباردة (1947-1962) Cold War: وشهت درجة عالية من التنافس والتوتر بين القطبين، وزادت حدة الاستقطاب الدولي، وانتهـت بحـل مشـكلة خطيرة، كادت أن تؤدي بالعالم إلى الهلاك، تلك هي مشـكلة الصـواريخ السـوفيتية في كوبا والتي انتهت بصورة سلمية.

ب- مرحلة الوفاق (1962-1972) Détente: ويقصد بالوفاق تخفيف التوتر، وتعني كذلك عكس العداوة، وتمتاز هذه الفترة بإعطاء فرصة واسعة للتعاون الوثيـق بالنسبة لعدد كبير من القضايا، والاتفاق على عدد من القضايا تفوق عدداً كبـيراً مـن القضايا المختلف عليها، وانتهت عام 1972 وهو عام التوصل إلى اتفاقية سولت 1.

جـ- مرحلـة الانفـراج الـدولي (1972-1979) Entente: وقـد تميـزت بعمـل القطبين على بناء الثقة بينهما، وخاصة في مجال صناعة الأسلحة الاستراتيجية، وانتهت هذه المرحلة بالتوصل إلى اتفاقيـة سـولت 2، وقـد تحـددت مـدة المعاهـدة بخمـس سنوات، وتم الاتفاق على تجميد عدد الصواريخ العابرة للقارات لدى كل قطب.

د- مرحلة الحرب البـاردة الجديـدة (1980-1991): إن سـبب عـودة الحـرب الباردة ثانية من جديد، هو عدم تصديق الكونجرس الأمريكي على معاهدة سـولت2، على الرغم من توقيع الرئيسين كارتر وبريجنيف عليها، وهي

---

(1) توفيق حصوة، ورفقاه، المرجع السابق، ص12 وما بعدها.

أسباب تبعث على عدم الثقة بين القوتين، وأسباب عدم التصديق تعود لشعور الكونجرس بتفوق السوفيات نووياً على الولايات المتحدة في النواحي النوعية، وشعور الولايات المتحدة (الكونجرس) أنه بالمصادقة على المعاهدة يعني قبول التضحية بمصالح أوروبا في سبيل علاقة الولايات المتحدة بالاتحاد السوفياتي.

2- تحولات جوهرية في بنية الاتحاد السوفيات وبقية المنظومة الشرقية[1]:

بدأت هذه التحولات عندما وصل مخائيل جورباتسوف إلى السلطة في الاتحاد السوفياتي، والذي قاد مجموعة من الحملات المتطورة والمتصاعدة لاستئناف مسيرة نزع السلاح، عرفت فيما بعد بهجوم السلام، وتبعا لإعلان الرئيس السوفيتي لسياسته المسماة بسياسة إعادة البناء والمكاشفة (البيريسترويكا والجلاسنوست)، فقد فتح بمقتضاها أوسع الأبواب أمام التعددية، والحرية بلغت فيما بعد حدود ما وراء الديمقراطية، لقد أدى هذا إلى إثارة شهية الدول الغربية في التدخل بالشأن الداخلي السوفيتي، من خلال رصد تجاوزات حقوق الإنسان وتضخيم ذلك إعلامياً، وإثارة القوميات باسم الحرية والديمقراطية داخل البيت السوفييتي، على غرار تلك الحرية القائمة في النسق الغربي، وكان هذا التدخل الغربي يهدف إلى خلق مصاعب أمام قادة البيريسترويكا لإفشال نهجهم والإجهاز عليهم، وهذا ما أكده جورباتشوف بقوله[2]: "إلا أننا نرى بالطبع على الرغم من إعلان مبدأ عدم التدخل، ولا تتورع بعض البلدان الغربية عن إغراء التأثير في العمليات الجارية في البلدان الاشتراكية، ونحن نبذل قصارى الجهود من أجل الحيلولة دون التدخل الخارجي، واحتواء مثل هذا التدخل إزاء ألمانيا الديمقراطية

---

(1) حسنين توفيق إبراهيم، النظام الدولي الجديد في الفكر العربي، مجلة عالم الفكر، العدد (3،4)، 1995، ص58-60.

(2) أحمد شرف، مسيرة النظام الدولي الجديد قبل وبعد حرب الخليج، القاهرة: دار التقدم الجديدة، 1992، ص120.

مثلاً، ونؤكد بكل حزم أننا لن نترك ألمانيا الديمقراطية وحيدة فهي حليفتنا الاستراتيجية وعضو معاهدة وارسو".

وأما على الصعيد الخارجي فالاتحاد السوفيتي تخلى عن كثير من اهتماماته، وأخذت سياسته الخارجية في السنوات الأخيرة الثلاث التي سبقت انهياره، تدور حول محور أساسي هو المصلحة الوطنية الخالصة، على أساس أن الاتحاد السوفياتي مجرد دولة متعددة القوميات لا على أساس أنه قوة أيديولوجية. إن هذه التحولات سواء كانت على الصعيد الداخلي أو الخارجي كانت بمثابة قوة الدفع في بقية بلدان أوروبا الشرقية للاحتذاء حذو الاتحاد السوفييتي لإجراء التغييرات في بنيتها الأساسية وفقاً للنهج السوفييتي، وأن تبني جورباتشوف لهذه السياسة ما هو إلا محاولة لمواجهة الأزمة البنائية التي يواجهها الاتحاد السوفياتي منذ منتصف السبعينات، وهي في حد ذاتها أزمة شاملة (اقتصادية، سياسية، اجتماعية، ثقافية)، وقد جسدت هذه الأزمة ضعف قدرة النظام الاشتراكي، على التكيف مع المتغيرات المستجدة على الصعيدين الداخلي والخارجي، ويمكننا تلخيص الأوضاع التي مهدت لقيام النظام العالمي الجديد والمتعلقة بالتحولات الجوهرية في بنية الاتحاد السوفييتي والتي عجلت برحيله وبزوغ فجر الولايات المتحدة القائد لهذا العالم بما يلي:

أ- عجز البيريسترويكا عن تحقيق أهدافها نتيجة عدم مقدرتها على خلق آليات جديدة تتسم بالفاعلية، تتناسق مع أصول النظام الدولي ومجاراة إيقاعاته المتلاحقة.

ب- اضطراب أوضاع الاتحاد السوفياتي في عهد البيريسترويكا نتيجة ارتفاع سقف الحريات إلى ما وراء الديمقراطية لا بل إلغاؤها، مما يترتب على هذا تسليم مجال النفوذ للدول الإمبريالية، في كثير من المنازعات والانسحاب رويداً رويداً من هذه المجالات، مما أفسح المجال أمام إثارة شهية الغرب وخاصة الولايات المتحدة لتضيق

الخناق على الاتحاد السوفييتي، والتفكير مبكراً للانسحاب من نظام الثنائية القطبية الذي كان سائداً لصالح زعيمة الغرب الولايات المتحدة.

جـ- تخلي الاتحاد السوفييتي عن أيدلوجيته الاشتراكية وتمحورت سياسته الخارجية حول المصالح الوطنية وعلى أساس برجماتي (عملي) غير أيديولوجي.

د- انحسار آفاق السياسة الخارجية السوفييتية في المحيط الأوروبي أساساً، وفي فكرة البيت الأوروبي الواحد، وهذا قابله امتداد للسياسة الخارجية الأمريكية للأماكن التي انحسرت عنها سياسة الاتحاد السوفييتي، وهذا ما يعرف بسياسة الإحلال.

هـ- تزايد الضغوط الداخلية المفروضة على الاتحاد السوفييتي من الخارج، سواء بفرض القيود والحظر على صادرات الحبوب وأجهزة الحاسبات الآلية، وتزايد التدخل الإمبريالي في شؤونه الداخلية، إلى حد محاولة التأثير في الاضطرابات العمالية وقيادتها من الخارج، وهذا من شأنه تحجيم القوة السوفياتية وإظهارها بمظهر الضعف، وهذا بدوره يؤدي إلى اختفاء صفته كقوة وطنية غير أيديولوجية.

إن هذه التحولات أدت إلى انتهاء المواجهة الاستراتيجية بين القطبين العظميين، ووضع نهاية للحرب الباردة بمعناها التقليدي، فتم توقيع المعاهدات والاتفاقيات بشأن ضبط السلاح والحد من التسلح، وتهدئة الصراعات الإقليمية وتسوية المنازعات الدولية، وكان هذا وفي كل مرة يتم بتقديم التنازلات من قبل الاتحاد السوفيتي، مما جسد تراجعه كقوة عظمى لحساب الولايات المتحدة الأمريكية، وأما المنظومة الشيوعية فقد أصابها الوهن وبصورة تتماشى مع وهن الاتحاد السوفييتي، وأخذت كل ولاية من ولايات الاتحاد السوفييتي السابق تتسابق لتأخذ لها مقعداً قريباً من الغرب،

لعلها تظفـــر بمساعداته لتفادي أزماتها الكثيرة.

3- انهيار الاتحاد السوفياتي وتفككه[1]:

ظهر جلياً عجز الاتحاد السوفياتي عن اتخاذ أي موقف ذي طبيعة تعزز قوتـه إزاء أزمة الخليج الثانية، وذلك كأن تقف إلى جانب حليف قديم للاتحـاد السـوفييتي وهو العراق، وعرقلة إجراءات الولايات المتحدة بشأنه، سواء في أروقة الأمـم المتحـدة أو على أرض الواقـع، وبعـد قيـام دول التحـالف بـإخراج العـراق مـن الكويـت، كـان الاتحاد السوفييتي على شفا الهاوية نتيجة الضعف القاتل الذي دب في أوصاله.

لقد قام في آب أغسطس عام 1991 انقلاب ضد الـرئيس جورباتشـوف، وعـلى الرغم أن الانقلاب فشل إلا أنه هناك قوى داخل الصـف السـوفييتي اسـتفادت منـه، وأخذت تطمع بالرئاسة، وفي مقدمة هؤلاء (يلتسن) الـذي دان لـه الـرئيس بالجميـل لكونه أسهم في إفشال الانقلاب، ولقاء حسن الصنيع هذا فقد أشركه فيما بعـد بتـولي صلاحياته في حال غيابه. توالت الخطى متسـارعة فـيما بعـد نحـو الهاويـة حتـى تـم إعلان وفاة الاتحاد السوفييتي ورحيله كقوة عظمى كانت تتقاسـم مصـير العـالم مـع الولايات المتحدة.

ويشير تسلسل الأحداث، إلى أن الولايات المتحدة كانت تعد نفسها لمثـل هـذا الدور من زمن طويل، حتى وصلت إليه في أعقاب تفكـك الاتحـاد السـوفياتي، حيـث بدأت بتسويق النظام الجديد عبر الجمعية العامة للأمم المتحدة أولاً، ثم عبر مجلـس الأمن، ويظهر هذا من تبشير الرئيس الأمريكي (جورج بوش) بهذا النظام حيث وقـف أمام الجمعية العامة للأمـم المتحـدة في تشرـين أول/أكتـوبر عـام 1991يقـول[2]: "إن أمريكا لا ترغب بالسيطرة على

---

(1) حسنين توفيق إبراهيم، مرجع سابق، ص59-61.

(2) عدنان زرزور، الفجوة بين جـانبي الأطلسيـ والحـروب الحضـارية، عـمان: دار البشـير، 1999، ص33.

العالــــم، ولكنها في الوقت نفسـه لـن تتراجـع وتنسـحب إلى العزلـة، وأنهـا ستقدم الصداقة والقيادة".

ويمكننا إجمال العوامل التي أدت إلى انهيار الاتحاد السوفييتي بما يلي:

- جوانب القصور التي شابت إدارة الرئيس جورباتشوف.
- استمرار شبح الأزمة الاقتصادية التي دخلت كل بيت من بيوت سكان الاتحاد.
- اختلال التوازن في العلاقة التي بدأت مع سياسة الرئيس جورباتشـوف حيـال التيـار المحافظ الذي ظهر كقوة معارضة له ولإصـلاحاته، والتيـار الليـبرالي الـذي طالبـه بإدخال إصلاحات جذريه في زمن قياسي.
- ظهـور التيـار الإصـلاحي المعتـدل والـذي يتـولى رمـوزه قيـادة الجـيش والداخليـة والمخابرات العامة.
- تفاقم مشكلة القوميات في الاتحاد السوفييتي وإثارة مشكلة اللغـات نتيجـة فـرض سياسـة (الـترويس) بقصـد نشرـ الثقافـة واللغـة الروسـية عـلى حسـاب ثقافـة القوميات الأخرى.
- عمليات التهجير القسري لبعض السكان من مناطقهم الأصلية إلى مناطق أخرى.

إن هذه الأسباب وغيرها كانت بمثابة عوامل الهـدم لآخـر جـدار مـن جـدران صرح الاتحاد السوفياتي الكبير، الذي بانهياره فتح الطريق على مصرعيه أمـام الغـرب المتربص، للتدخل في شؤون منظومته الشـيوعية، والعمـل عـلى صـياغتها مـن جديـد، وبالطريقة التي تحقق أهداف الغرب ومصالحه القومية وعلى رأسه مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية.

خامساً: أزمة الخليج والنظام العالمي الجديد

جاءت أزمة الخليج الثانية على أثر دخول القوات العراقية الكويت في 2 آب عام 1990، وتوالت أحداثها واحتدمت حتى توجت بحرب الخليج، والمعروفة بحرب التحالف والتي بدأت في 16 كانون الثاني 1991،وحركت هذه الأزمة كل الآليات والمبادئ التي تجيش في نفوس الدول الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة لتحقيقها على اعتبارها فرصة العمر، ربما لا تعود هذه الفرصة ثانية على مسرح الحياة، ومن هذه الآليات والمبادئ: مصلحة الدولة الوطنية ومجال نفوذها وضرورة الحرب،ووحشية الحرب ومضاعفة عنفها،وتفاقم تلوث البيئة،وانتقائية الشرعية القانونية،وتعارض التصور السائد للشرعية القانونية مع الشرعية الموضوعية الدولية،وحق التدخل في شؤون الدول الأخرى بأوسع وأكثر مما ورد على فكر بشر من قبل – وتحريك بل وتشريع آليات سباق التسليح – بل وصياغة مبادئ وآليات حديثة كأن يتكلف أغنياء منطقة الخليج والقوى الاقتصادية الإمبريالية المتطورة بالأعباء المالية والاقتصادية للحرب،بحيث يتبلور مبدأ الحماية العسكرية بالثمن لمن يستطيع دفعه[1] ونحن في صدد دراستنا لأزمة الخليج الثانية، والنظام العالمي الجديد، علينا أن نتعرض لخلفيات الأزمة والحقائق التي تكشفت عنها وعلى النحو التالي:

1- خلفيات وأبعاد الأزمة:

لقد ظهرت عدة دراسات تحدثت عن حرب الخليج الثانية وحللت خلفيتها وأبعادها وبينت هذه الدراسات علاقة حرب الخليج الثانية وأبعادها بالنظام الدولي الجديد وتبلورت اتجاهات الدارسين في ضربين أساسين هما:

1- اعتبرت أزمة الخليج مدخلاً لخلق نظام دولي جديد، حيث عدت

(1) أحمد شرف، مرجع سابق، ص156.

الأزمة بأنها السـبب المبـاشر للحـرب، وفي اعتقادنـا أنهـا الحجـة الأكـثر إقناعـاً لعقـول النـاس وخاصـة أولئـك العامـة مـنهم،ومعظم المفكـرين الـذين لا يدركون أبعاد اللعبة الدولية،فمثلاً لما قامت الحرب العالمية الأولى بحادثـة فردية هي اغتيال ولي عهد النمسا في مدينة سراييفو في إقليم البوسنة،هذا بالتأكيد عُد السبب المباشر لانـدلاع الحرب،وهـذه حقيقـة تاريخيـة ثابتـة ومجسمة بواقعة مادية محددة، إلا أنّ هذا السبب المباشر لا يرقـى إلى أن يكون السبب الأساسي أو الأهم في قيام حرب مثـل الحـرب العالميـة الأولى، والتي استمرت ما يقرب من خمس سنوات وغطـت نيرانهـا معظـم أنحـاء الأرض،وأكلت الأخضر قبل اليابس من على سطحها[1]. وكـذلك كـان إغـلاق مضائق تيران في وجه ملاحة الكيان الصهيوني عـام1967السـبب المبـاشر في حرب5 حزيران بين العرب والكيان الصهيوني،وقد تبين للجميع فيما بعد أن هذا السـبب لـيس إلا بمثابـة القشـة التـي قصـمت ظهـر البعـير والإعـداد للحرب والقيام بإشعال نارها،كانت أحداثها قـد أخـذت موقعهـا في الفكـر الصهيوني منذ سنين قبل وقوعها[2].

2- اعتبرت أزمة الخليج مدخلاً لتمكين الولايـات المتحـدة مـن فـرض سـيطرتها على العالم، وذلك من خلال سـيطرتها عـلى الـنفط العـربي وإجهـاض كافـة عناصر القوة التي تمتلكها بعض الدول.

3-اعتبرت أزمة الخليج مدخلاً لتمكين الولايات المتحدة من نقل قواتها

---

(1) إن قيام الحرب العالمية الأولى هو لتنفيذ وعد بلفور الـذي فـتح أسـباب الهجـرة لليهـود في 2 تشرين الثاني 1917، قد تتفاجئ بهـذا القـول، لكـن عليـك أن تقـرأ مـا وراء السـطور وخـير مرجع أحيلك عليـه لفهـم معظـم الأحـداث تقريـر نـورث بوينـت، درع الصـحراء والنظـام العالمي الجديد، ترجمة محمد الظاهر ومنيه سمارة، عمان: دار الكرمل 1991.

(2) إن قيام حرب حزيران 1967 ما هو إلا للوفـاء بالنصـوص التورانيـة التـي تنـادي بقيـام دولـة يهودية حدودها من الفرات إلى النيل. راجع الوعود في توراه اليهود المحرفة - انظـر أيضـاً - محمد عوض الهزايمة، القدس في الصراع العربي الصهيوني - عمان، دار الحامد، 2000، ص49-53.

وثقلها العسكري إلى منطقة الخليج العربي، تحت مرأى العالم وسمعه، معززة هذا النقل بمأذونية دولية صادرة عن الهيئة الأولى في العالم التي تجمع كل دوله، ألا وهي هيئة الأمم المتحدة، واعتبر هذا النقل استجابة لأصوات عدد من الدول الخليجية التي أرعبتها قوة العراق ودخولها الكويت[1].

لقد جاءت الحرب والاتحاد السوفياتي فاقدٌ لتوازنه، وأصبحت الحرب حرباً دولية سواء من حيث عدد المشاركين فيها، أو من حيث آثارها العالمية وفتحت الأبواب لمرحلة جديدة دعيت بمرحلة النظام العالمي الجديد.

2- حقائق تكشفت عنها الأزمة:

أ- إن أزمة الخليج أظهرت مدى التصدع في النظام الإقليمي العربي، حيث هرول العرب إلى المسارعة للانضمام لقوات التحالف التي تتزعمها الولايات المتحدة ظناً منهم أن مرحلة ما بعد الأزمة ستلبي طموحات العرب، وتعزز من قدراتهم، لكون ما بعد الحرب يبشر بعالم سيسوده احترام قواعد الشرعية الدولية، وتدعيم دور الأمم المتحدة وتحريرها من قبضة وهيمنة الدول الكبرى، والالتزام بالشرعية الدولية واحترام السيادة الإقليمية للدول، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، وتسوية المنازعات بالطرق السلمية، والالتزام بالديمقراطية وحقوق الإنسان[2].

ب- مكنت الأزمة الولايات المتحدة الأمريكية من إظهارها كزعيمة تتفرد بمركز الصدارة في العالم، من حيث كونهـــــا استطاعت استصدار

---

(1) في واقع الأمر لم يرعبها قوة العراق، بل أرعبها الإعلام الغربي الذي قام في الولايات المتحدة، وقد أصر على خلق الأزمة لنقل قواتها للمنطقة، فتبنت موقف العداء للعراق والسير في ركاب الغرب حتى تظهر بمظهر الدول المالكة لإرادتها أمام العرب، أن الحقيقة واضحة للعيان أنها دول كل العرب مغلوبة على أمرها.

(2) لواء طلعت مسلم، عرب ما بعد حرب الخليج، التأثيرات الأمنية والعسكرية للحرب، مجلة الوحدة، العدد (88)، 1992، ص31-34.

القرارات التي تريد ضد العراق من أكبر هيئة دولية في العالم، كما استطاعت تجييش جيوش العالم للحرب من أجل مصالحها في الخليج العربي، واستطاعت كف أيدي الدول الأخرى من تحقيق مكتسبات ما بعد الحرب إلا ما أرادته لها الولايات المتحدة، كما تمكنت من تحديد أدوار بعض الدول والتي تأتي بالمرتبة الثانية عالمياً من ناحية القوة[1].

جـ- تحللت الولايات المتحدة من عقدة قديمة خلفتها لها المشكلة الفيتنامية والتي خرجت الولايات المتحدة منها مهزومة.

د- كشفت أزمة الخليج نواحي ضعف كثيرة أهمها:

- الضعف المادي والداخلي للولايات المتحدة، ولتخفيف حدة هذا العجز أخذت تسعى للبحث عن مساهمات عينية ومالية لدى بعض الدول، والعمل على ابتزاز دول الخليج مالياً.
- عجز المنظمة الدولية - هيئة الأمم المتحدة - عن اتخاذ قرارات مجردة قوامها الحق والاعتدال، فقد ظهرت أداة لينة تتجه حيث ما توجهت الولايات المتحدة الأمريكية[2].
- عجز بقية أعضاء الأسرة الدولية، وخاصة الدول الصناعية من الوقوف في وجه الحصان الأمريكي المتمرد، لكون أحداث الخليج تؤثر سلبياً على صناعاتها، وخاصة إذا علمنا أن اليد الأمريكية هي التي ستهيمن على نفط الخليج والذي يشكل 62% من احتياط العالم.

سادساً: آثار ظهور ما يعرف بالنظام الدولي الجديد:

لا تخلو أية ظاهرة من الظواهر سواء كانت اجتماعية اقتصادية سياسية من الآثار الإيجابية والسلبية في آن واحد، إلا أن الظواهر تقاس منفعتها بقـــــدر

---

(1) المرجع السابق، ص30.

(2) المنصف وناس، بمناسبة الذكرى الأولى للحرب في الخليج، مجلة الوحدة، العدد (88)، 1992، ص53.

تفوق الآثار الإيجابية على السلبية والعكس صحيح، وأزمة الخليج ودواعيها وانهيار الاتحاد اسوفييتي وعواقبه، وبزوغ فجر جديد تتزعم صياغة أحداثه الولايات المتحدة، والذي عرف في الأدبيات السياسية باسم النظام العالمي الجديد، شأنه كشأن بقية الظواهر الأخرى، إلا أن آثاره السلبية تفوق إيجابياته، ومن هذه الآثار والتي حطت رحالها في المنطقة هي:

1- الصراع العربي - الصهيوني:

ويمكن إجمال هذه الآثار ذات العلاقة المباشرة على الصراع العربي - الصهيوني بما يلي:

أ- فتح النظام الدولي الجديد أبواب الهجرة السوفيتية وغير السوفيتية إلى فلسطين المحتلة.

ب- أخذت دول المنظومة الشيوعية تفتح لها سفارات في دولة الكيان الصهيوني وتستأنف علاقاتها معه وحتى الدول ذات الأغلبية الإسلامية.

جـ- فقدان التأثير الاستراتيجي لبعض الدول العربية على بعض الدول الأخرى، والتأثير في مواقفها تجاه الصراع.

د- تدعيم التحالف الاستراتيجي بين الولايات المتحدة والكيان الصهيوني.

هـ- الضغط على الدول العربية لقبول تسوية الصراع العربي – الصهيوني على الطريقة الصهيونية وفق سيناريوهات أمريكية، هذه السيناريوهات قد بدأت رحلتها في مدريد بمؤتمر دولي عرف بالمؤتمر الدولي للسلام في الشرق الأوسط أن هذه الآثار بقد رما هي سلبية في الجانب العربي عدت بمثابة إيجابيات الذي أدى فيما بعد إلى انهياره.

و- فقدان العرب حليفاً استراتيجياً وهو الاتحاد السوفييتي بسبب ما حل

به من ضعف الذي أدى فيما بعد إلى انهياره[1].

2- الدول العربية[2]:

لاشك أن الناظر في الآثار السلبية التي نجمت عن أزمة الخليج الثانية وتفرد الولايات المتحدة بتزعم العالم، لا يسعه إلا القول أن استعماراً جديداً حل محل استعمار قديم رحل، والآثار السلبية يمكن إجمالها مع الدول العربية بما يلي[3]:

أ- القيام بإعادة سايكس-بيكو ثانية في المنطقة العربية ولتكن (سايكس-بيكو -2) فالتجزئة الداخلية في العراق،والتي تمت صناعتها، وذلك بخلق مناطق آمنة في شماله وجنوبه، وما يصار إلى إثارته من تناقضات داخلية في أقطار عربية أخرى، أي العودة إلى خطة الفسيفساء (الموازيك) والبلقنة: أو على الأصح خلق دول شرق أوسطية جديدة بلا هوية عربية.

ب- الحيلولة دون التضامن العربي، وإفشال كل دعوات عقد قمة عربية، وتمييع اجتماعات الجامعة العربية، وإضعاف مجلس التعاون الخليجي وربط بعض دوله بمعاهدات دفاعية عسكرية مع أمريكا، كما حصل مع الكويت، واستمرار الوجود العسكري الأمريكي ليكون أداة ضرب جاهزة للاستعمال في أي زمان ومكان في منطقة المشرق العربي[4].

جـ- إثارة الخلافات الحدودية وتشجيعها لتعميق التجزئة، بخلق

---

(1) في اعتقادي أن الاتحاد السوفييتي ليس بالحليف الاستراتيجي الحقيقي للأمتين العربية والإسلامية، لكون هذا الاتحاد عمل جنباً إلى جنب مع الدول الغربية لإقامة دولة الكيان الصهيوني في فلسطين، ولا أدل على هذا من كون الاتحاد السوفييتي من أوائل الدول التي اعترفت بالكيان الصهيوني كدولة بعد إعلانها مباشرة.

(2) حسنين توفيق إبراهيم، مرجع سابق، ص79-84.

(3) منير شفيق، النظام الدولي الجديد وخيار المواجهة ص43-44- د. م: الناشر للطباعة، 1992.

(4) الغريب أن بعض الأطراف العربية الخليجية ذهبت إلى حد تأييد مشروع إقامة حلف خليجي - أمريكي، بموازاة الحلف الاستراتيجي الأمريكي - الإسرائيلي القائم - انظر - المجلس القومي للثقافة العربية، أزمة الخليج، أبعادها ومخاطرها، مجلة الوحدة، العدد (76)، 1991، ص185.

صراعات عربية عربية وهذا ما يتضح من تأجيج الخلافات الحدودية بين فترة وأخرى، بين اليمن والسعودية، وبين السودان ومصر، وقطر والبحرين، وبين عُمان والإمارات أو من خلال التخطيط الجديد للحدود العراقية - الكويتية، وإثارة قضية أبو موسى والطنب الكبرى والطنب الصغرى بين إيران والإمارات العربية[1].

د- تجريد المنطقة من السلاح فوق التقليدي والقدرات العلمية والصناعية والتكنولوجية، فما طبق على العراق سيكون نهجاً شاملاً حتى يبقى التفوق العسكري الإسرائيلي كاسحاً.

هـ- تبني سياسات استعمارية تحكمية جديدة إذ يلاحظ من السياسات الأمريكية التي طبقت بعد حرب الخليج، وإن ما يسعى ساسة الغرب إلى تطبيقه يتمثل بما يلي[2].

1- التحكم في السياسات النفطية العربية والسيطرة عليها وإنتهاب اكبر قدر ممكن منها[3].

2- التحكم بالسياسات التنموية الداخلية وبالموازنات عموماً تحت شعار تحرير الأسعار، وفتح الأسواق، ورفع الحمايات من المواد الأساسية، مما يزيد من الإفقار الداخلي، ومن تراكم الديون وزيادة الطلب على القروض، ويعمق التبعية للخارج، ويزيد الخوف من الداخل.

3- انتهاج سياسة الإملاء والفرض والإخضاع تحت مظلة الابتزاز

---

(1) سيأتي الحديث عن الحدود في بحث لاحق من هذا المؤلف.

(2) المجلس القومي للثقافة العربية، مرجع سابق، ص44-45.

(3) مما لاشك فيه أن الدولة التي تمتلك القوة في الخليج تمتلك خيراته أيضاً، وفي الوقت الذي أعلن الملك فيصل آل سعود عام 1973 على أثر حرب رمضان، قطع النفط عن الغرب الموالي للكيان الإسرائيلي تم اغتياله، وقال هنري كسينجر آنذاك في باريس: "خلصوا النفط من هذا العجوز" فكان الاغتيال، وحتى لا يتعرض الغرب لقطع إمدادات النفط وجد باحتلال منابعه خير وسيلة لذلك.

والحصار الاقتصادي والتهويد باستخدام القوة العسكرية والتلويح بإثارة حقوق الإنسان.

3- الدائرة الإسلامية[1]:

السياسة الأمريكية الجديدة، بعد تزعمها العالم في ظل النظام الدولي الجديد قائمة على ركيزتين هما:

أ- ارتهان موارد العرب والمسلمين لصالح الولايات المتحدة وقد سبق الحديث عنها بالفقرة الخاصة بالبلاد العربية.

ب- محاصرة المد الإسلامي وإعاقته عن أن يبلغ مداه ويصل إلى غايته، ووسيلة ذلك التخويف مما أسمته من الأصولية الإسلامية بكل ما يحمله هذا التعبير من معان تاريخية مظلمة في الثقافة الغربية، وما تبعه وأضيف عليه من اتهام المسلمين بالإرهاب والتطرف والعدوان على حقوق الإنسان[2].

من المعلوم أن الرواسب الأوروبية ضد الإسلام والعالم الإسلامي قديمة، ومن المعلوم كذلك أن الذي عمل على بعثها أخيراً أو في السنوات الماضية صعود الإسلام من جهة، وسقوط النظام الاشتراكي والعقيدة الشيوعية من جهة أخرى، ولكن الجديد في الموقف الأمريكي استخدام هذه الورقة (الأصولية الإسلامية) على أوسع نطاق واتخذ منها وسيلة للضغط الهائل على أكثر من جهة وفي مقدمتها أوروبا، من أجل شد أزر حلف الأطلسي وعدم التخلي عنه لكونها تتمتع بحق زعامته، فوجهت الولايات المتحدة أنظار أوروبا إلى الأصولية الإسلامية واعتبارها إمبراطورية الشر الجديد وعدتها العدو الجديد وخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي العدو التقليدي، وقد كتب (د. مايكل سابا) في مقال له بجريدة الحياة تحت عنوان

(1) حسنين توفيق إبراهيم، مرجع سابق، ص79-84.
(2) عدنان محمد زرزور، مرجع سابق، ص43-44.

إمبراطورية الشر الجديد ما يلي[1]: "وفي مقالة نشرتها أخيراً صحيفة واشنطن تايمز كتب مسلم تركي بارز أن حلف شمال الأطلسي (ناتو) قد بدل المناطق الحمر التي تشير إلى العدو السوفييتي (السابق) باللون الأخضر الإسلامي على خرائطه)، وفي المقابلة التي أجرتها صحيفة (سوديتش زيتونج) الألمانية مع سكرتير عام حلف شمال الأطلسي - ويلي كلاوس - فقد قال سكرتير الحلف[2]: "إن الأصولية الإسلامية تشكل بالنسبة للغرب التهديد ذاته الذي شكلته الشيوعية ونرجوكم ألا تقللوا من شأن هذا الخطر"، وأضاف قائلاً: "إنه لا يدري كيف يمكن التوفيق بين الأصولية والديمقراطية، ولكنه اعتبر أن الحلف الأطلسي يمكنه التصدي للتهويل الذي يشكله المتطرفون الإسلاميون بينما هو يعيد تحديد دورة بعد أن كسب الحرب الباردة" ثم أضاف: "إن حلف الأطلسي هو أكثر من تحالف عسكري، فقد أخذ على عاتقه الدفاع عن المبادئ الأساسية للحضارة التي تربط أمريكا الشمالية وأوروبا الغربية".

إن الفجوة بين العالم الإسلامي أو بين الحضارة الإسلامية، والحضارة الغربيـــــة ذات الجذور المسيحية والوجه العلماني تتسع يوماً بعد يوم، وهذا يتضح من المفارقة الجديدة التي ركزت على الأصولية الإسلامية واعتبرتها الأصولية الوحيدة التي أخذ حلف الأطلسي على عاتقه التصدي لها من بين سائــر الأصوليات القائمة في عالم اليوم، وخصوصاً تلك الأصوليات المتشنجة التي تذكر بالحركات الفاشية في أوروبا، والتي تأتي في مقدمتها (أصولية) حزب الشعب الهندي (بهارتيا جانتا) الذي يحكم الهند الآن، يقول الأب الروحي لهــذا الحزب بل المنظر للأصولية الهندية (سافكار) أن الهنـــدي حصراً وحكماً هو الهندوسي فقط، ويقول: "إن الأمة الهندية هي

---

(1) جريدة الحياة، العدد رقم 10651، تاريخ 7 أيـار 1992، انظـر عـدنان زرزور، مرجـع السـابق أيضاً، ص44.

(2) عدنان، زرزور، مرجع سابق، ص45، انظر أيضاً، صحيفة سـوديتش زيتـونج الألمانيـة الصـادرة بتاريخ 2 شباط 1995.

أرض ودين وسلالة في آن واحد"[1].

ولا يبدو أن حلف الأطلسي، أو أيّاً من الدول الأوروبية معنية بهذه الأصولية الفاشية، في حين أن مناصبة الإسلام العداء لم تعد خافية في سياق ما يمكن تسميته بحروب الحضارة، التي يمكن أن يعلنها أو يشرف عليها الحلف بوصفه حلفاً حضارياً مهمته الجديدة في ظل ما يسمى بالنظام العالمي الجديد حماية الحضارة الغربية الواحدة أو المشتركة بين أمريكا الشمالية وأوربا الغربية والدفاع عن قيمتها وامتيازاتها ومصالحها أينما كانت.

4- تأثير النظام العالمي الجديد على العالم:

إن تأثيرات النظام العالمي الجديد ستعم بقية دول العالم، ولا يقتصر بتأثيراته على المنطقتين العربية والإسلامية، وفي هذا الصدد سنتعرض بإيجاز شديد للمناطق الأخرى في العالم والتي ستتأثر بهيمنة دولة واحدة وزعامتها على سدة السيادة في العالم وفي هذا نجد.

أ- **أمريكا الشمالية:** خاضعة لهيمنة الولايات المتحدة على أساس أنها منطقة التجارة الحرة لشمال أمريكا، لتخلق بذلك الكتلة الاقتصادية الأكثر قوة والوحيدة في العالم، وربما تقضي مع مرور الوقت إلى تكامل تدريجي بين الولايات المتحدة وكندا، وقد تصبح كونفدرالية أمريكية شمالية أكثر رسمياً.

إن التأثير الكندي بما يجري في الولايات المتحدة كبير جداً، فقد بلغت الهيمنة الأمريكية في مجال تدفق البرامج الإعلامية والتلفاز، إلى حد دعا بعض الخبراء، إلى التنبيه: "إلى أن الأطفال الكنديين أصبحوا لا يدركون أنهم كنديون لكثرة ما يشاهدونه من برامج أمريكية[2]".

ب- **أوربا:** قد تتحد أوروبا اقتصادياً وتتقارب إلى حد كبير سياسياً، إلا أن الولايات المتحدة ستبقى تستخدم سياسة التخويف لأوروبا من خطر

(1) عدنان زرزور، مرجع سابق، ص6.
(2) محمد امحزون، العولمة بين منظورين، مجلة البيان، العدد 145، (1999-2000)، ص126.

الأصولية، الإسلامية لتبقيها تحت تأثيرها ومساندتها إذا لزم الأمر من اجل تدعيم هيمنة أمريكا وبقائها مترבعة على سدة الزعامة العالمية، أضف إلى أن الولايات المتحدة تعمل جاهدة لأمركة الثقافة الأوروبية وعدّ البعض أن ذلك مقدمة لأمركة العالم، وفي هذا الصدد نجد النائبة الإيطالية لوتشياناكاستلينا رئيسة اللجنة الثقافية في البرلمان الأوروبي قد شنت حملة ضد ما أسمته أمركة الثقافة، وقالت في هذه الهيمنة[1]: "إن هذه الهيمنة – الأمريكية – ستحرم أطفال العالم من خيالاتهم وصورهم وأبطالهم وسوف يشعرون أنهم بعزلة كاملة"، ونندد وزير العدل الفرنسي بالإنترنت واعتبر ذلك شكلاً جديداً من أشكال الاستعمار يهدد الحياة، وقدمت فرنسا خلال مناقشات ثقافة (الجات) الأخيرة شعار (الاستثناء الثقافي)[2]، أضف أن الولايات المتحدة ستمتد إلى مناطق جديدة في العالم اعتبرت في السابق مناطق مصالح أوروبية، وسوف تحدد حركة الدول الأوروبية في تلك المناطق بما يتفق والمصالح الأمريكية وبالقدر الذي يعزز الوجود الأمريكي وإشباع نهمه من خيرات تلك المناطق.

جـ- شرق آسيا[3]: وهي خاضعة اقتصادياً إلى السيطرة اليابانية، لكنها تفتقر إلى إطار سياسي أمني متكافئ وعليه ستكون عرضة إلى توترات إقليمية، وتحديداً عندما تبدأ الصين بثني عضلاتها الاقتصادية والسياسية، وربما ستتلاعب مع مفهوم ارتداء عباءة الزعامة الدولية، ومن المرجح أن تكون مناطق استقلالها الأجزاء الشرقية من الاتحاد السوفييتي (السابق)، وكذلك جنوب شرق آسيا بالإضافة إلى استراليا ونيوزلندا، إن الولايات المتحدة ستسعى إلى وضع عقبات أمام اليابان لتحد من تفوقها الاقتصادي، والتي تعتبر الصناعة اليابانية عماد هذا التفوق، كما ستضع نفس العقبات

(1) عدنان زرزور، مرجع سابق، ص21.

(2) محمد امحزون، مرجع سابق، ص125.

(3) للوقوف على واقع بلدان الجنوب في ظل النظام الدولي الجديد، انظر حسنين توفيق إبراهيم، المرجع السابق، ص73-75.

أمـــــام الصين، حتى لا تلحق بالولايات المتحدة وتسحب من تحت أقدامها بساط الزعامة.

د- جنوب أسيا: ستفتقر إلى التماسك الاقتصادي والسياسي، غير أنها لن تكـون خاضعة في نفس الوقت لأية هيمنة اقتصادية أو سياسية خارجية قوية، آخذين بعـين الاعتبار الهند التي ستحاول تأكيد وجودها في أجزاء من المنطقة، لكنهـا سـتتعرض إلى معارضة الدول الإسلامية بضمها آسيا الوسطى، إن الولايات المتحدة ستسعى جاهـدة إلى خلق عدو للهند لإشغالها بهذا العدو ومن أجل الرجوع بين وقت وآخـر للولايـات المتحدة وهذا في حد ذاته إعطاء الولايـات المتحـدة هيبـة دوليـة، بالإضـافة إلى قيـام الولايات المتحدة بلعب دور الناصـح للهنـد، وهـذا مـا حصـل عـلى أرض الواقـع بـأن جعلت الباكستان في مواجهة الهند وجعلت من كشمير قميص عثمان.

هـ- هلال إسلامي مبعثر ويشمل شمال إفريقيـا والشرـق الأوسـط - باسـتثناء الكيان الصهيوني - وربما تركيا إذا رفضها الغرب ودول الخليج العربي والعـراق وإيـران والباكستان الراكضة شمالاً لاحتضان دول وسط آسـيا، ستتشـاطر هـذه الـدول لتلبيـة الكثير من الطموحات والكراهيات وخاصة ضد الغرب، لكنها ستظل عرضة إلى تدخل أجنبي وستظل تفتقر لأي تلاحم سياسي واقتصادي، وهذا بفعل ما تقوم بـه الولايـات المتحدة من خلال سياستها القائمة على إثارة دوافع الصراع بين الدول مسـتغلة بـذلك الأقليات والإثنيات المختلفة من دين وعرق وما إلى ذلك.

ويبقى القول أن مواجهة النظام الدولي الجديد الذي يقوم على استفراد دولـة كبرى وحيدة في التحكم به، وهي الولايات المتحدة، لا يتأتى إلا بالعمل على قيام نظام دولي أكثر عدلاً ومساواة بين الدول والشعوب وبين الشـمال والجنـوب، وأكـثر التزامـاً بالشرعية الدولية الحقة، أن هذا أعظم مهمة نبيلة يمكــن أن تقوم به شعوب العـالم ودوله، من أجل تقديم خدمة للأجيال

القادمـة، لتكـون أكـثر أمنـاً في كافـة نـواحي الحيـاة السياسـية والاقتصـادية والاجتماعية وهذا يقع على عاتق أهل الفكر من جهة، ونبذ فكرة الهيمنة لدى صناع القرار السياسي من جهة أخرى في الدول ذات الشوكة.

الفصل الثاني

الإرهـــــــاب الدولـــــي

الفصل الثاني
الإرهاب الدولي

مقدمة:

يعتبر العنف من أبرز الثوابت في الحياة البشرية، فمنذ أن وجد الإنسان على سطح الأرض وهو يمارس العنف ضد أخيه الإنسان، وقد بدأت أول عملية عنف إنسانية بين هابيل وقابيل ابني آدم عليه الصلاة والسلام ولم تنته بعد، ومع ظهور التنظيمات المختلفة للحياة البشرية أخذت ظاهرة العنف تأخذ أشكالاً وصوراً اختلفت وتطورت تبعاً لاختلاف وتطور تلك التنظيمات، فظاهرة العنف ما هي والحالة هذه إلا وسيلة في يد القوي للحفاظ على الوضع القائم وتطويره لمصلحته، كما أنها وسيلة في يد الضعيف لاسترداد حقوقه وحماية وجوده، ومع تأجج النضال المسلح ضد أشكال الهيمنة الاستعمارية والعنصرية اتجه الفكر الغربي نحو اعتبار العنف المتجسم في الإرهاب الدولي آفة تتحمل وزرها حركات التحرر الوطني، وكذلك القوى الثورية في الكثير من بلدان العالم الثالث. لقد تم خلط واضح وبشكل مقصود بين النضال الثوري التحرري والعمل الإرهابي، مما أدى إلى غموض بالرؤيا وإلى تشويه سمعة حركات التحرر الوطني أمام الرأي العام العالمي.

إن موضوع الإرهاب بالذات محور صراع مرير بين بلدان العالم الثالث والبلدان الغربية بمعنى بين الدول المستعمرة (بفتح الميم) والدول المستعمرة (بكسر الميم) وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

حيث يعتبر الاستعمار تجسيداً متطوراً لممارسة العنف في العلاقات الدولية عن طريق القوى العسكرية ولتحقيق الهيمنة والاستغلال، الأمر

الذي جعل من موضوع الإرهاب مادة من أكثر الموضوعات إثارة للجدل ضمن التحليلات الحديثة في علم العلاقات الدولية، وأسباب ذلك التطور السريع في أشكال الممارسات الإرهابية إذ تجاوزت آثارها الحدود الوطنية لتصبح ظاهرة تعني مستقبل كل أعضاء المجتمع الدولي، كما أن التعامل مع هذه الظاهرة اتخذت اتجاهات مختلفة ترتبط أساساً بالانتماء العقائدي والخلفيات المرتبطة بالمصالح السياسية والاقتصادية للأطراف المعنية.

نقف لنسأل عن الإرهاب الذي نحن بصدده ماذا عنه؟ وكيف تشكل؟ وما هي أشكاله؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التي ستكون الإجابة عنها مادة الموضوع الذي نبحث.

أولاً: تعريف الإرهاب

لابـد من تعريف الإرهاب لكي يسهـل علينا فهم الظاهرة ليتسنى لنا إدراك ما تعنيه وما وراءها، ففي القواميس العربيـة العتيقة تكاد تخلو الكلمة مـن مفهومها الاصطلاحي المقصـود والدقيق، فأقدم القواميس تطرقت لاشتقاقات الكلمة وتواردها على لسان العرب، كما أننا لا نجد أثراً لمفهوم الإرهاب كمنهج[1] في المعاجــم العربية باستثناء ما نجده في بعض القواميس الحديثـة التي تطرقت للإرهاب ككلمة مفردة شرحها الإزعاج والإخافة كقولهـم: "ويقشعر الإهاب إذا وقع الإرهاب"[2]، في حين نجد القواميس نفسها تعرضت لمفهوم (الإرهابي) فعرفتـه: "بمـن يلجأ إلى الإرهاب

(1) مطيع المختار، محاولة في تحديد مفهوم الإرهاب وممارسته من خلال النموذج الأمريكي، مجلة الوحدة، العدد (67)، 1990، ص59.

(2) المعتصم السعيدية، محاولة في المسألة الإرهابية وأبعادها الدولية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في القانون العام، الرباط، كلية الحقوق، 1985، ص85، عن محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج2، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، 1996، ص541.

لإقامة سلطته"، وعرفت الحكم الإرهابي بأنــه: "نوع من الحكم يقوم على الإرهاب والعنف تعمد إليه الحكومات أو الجماعات الثورية"[1]، وعُرف (الإرهابيون) بهذا الوصف وأطلق على الذين يسلكون سبيل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية[2]، إن كلمة الإرهاب بمفهومها الاصطلاحي في لغة الضاد لم تكن متداولة إلا في الفترة الأخيرة، كما أن التباينات التي يتميز بها المفهوم من خلال الاشتقاقات المختلفة للكلمة في لغة العجم لم تكن لتسعها كلمة موحدة كمصطلح "إرهاب"[3]، وتقابل كلمة (إرهاب) باللغة العربية كلمة (Terrorisme) بالفرنسية و (Terrorism) بالإنجليزية، وهي كلمات مشتقة من الكلمة اللاتينية (Terrere) التي تعني أرعب أو أرهب أو أفزع، ويتفق الأيديولوجيون الإنجليز والفرنسيون على أن كلمة (Terrorise-Terrorize) لم تدخل قيد الاستعمال إلا بعد تطور كلمة (Terrorisme - Terroriser) عقب الثورة الفرنسية في الفترة الممتدة بين (1793-1798)، وتدل المعاجم الفرنسية على أن الكلمة (Terrorisme) قد استعملت منذ عام 1794، لتعني سياسة الرعب لسنوات (1793-1798)، وإن المصطلح لم يستعمل إلا سنة 1992، ليعني مجموع المحاولات وأعمال التخريب المقترفة من طرف منظمة بغية خلق جو من الاضطراب والتأثير على السلطة القائمة أو قلبها، كما يعني أيضاً نظاماً للعنف المنصب من طرف الحكومة من أجل البقاء في السلطة، وأدخلت الأكاديمية الفرنسية مصطلح الإرهاب في ملحقها الصادر عام 1829م حيث أصبحت كلمة (Terrorisme) يقصد بها (نظام أو نسق الإرهاب) الذي ساد في فرنسا خلال الثورة[4].

وأمـــــا تعريف الإرهاب والإرهاب الدولي اصطلاحياً فهناك خلافات عميقـــــة بشـأن هذا التعريف لكون مصطلح الإرهاب يقبل تفسيرات متنوعة،

---

(1) المنجد في اللغة والإعلام، بيروت، دار المشرق، 1984، ص82.

(2) المعجم الوسيط، ج1، ص376.

(3) مطيع المختار، مرجع سابق، ص59.

(4) المرجع السابق ص58-59.

تختلف باختـــلاف المفاهيم الفلسفية والسياسية والاجتماعية، فالمصطلح أوجدته واستعملته دول الاستعمار والاحتلال والعنصرية والقهر في وصف المقاومين لسياساتها،كما استعملته أنظمة الحكم لتجريح خصومها والنيل من سمعتهم،وعلى آية حال إن الاختلاف لا يمنعنا من تقديم عدد من التعريفات الخاصة بالمصطلح،على الرغم من تعدد الإشكاليات التي تحف بالموضوع، هذه الإشكاليات جعلت الموسوعات والمعاجم الأجنبية لا تُقبِل على تعريف الإرهاب،بل تحدثت عن بعض ملامحه،فحينما بدأت الجمعية العامة للأمم المتحدة بحث موضوع الإرهاب الدولي، اصطدمت بخلافات عميقة بشأن تعريفه،واقتنعت بأنه لا يمكن الاتفاق على تعريف يوفق بين مختلف وجهات النظر الكثيرة، بل اتفُق على كثير من صور الأعمال التي تُعد إرهاباً مثل:الاغتيالات والتعذيب واختطاف الرهائن واحتجازهم وبث القنابل والعبوات المتفجرة واختطاف الطائرات ووسائل النقل الأخرى والرسائل الملغومة[1] وقد شكلت الجمعية العامة للأمم المتحدة "لجنة خاصة تعني بالإرهاب الدولي" وأثناء مناقشات اللجنة عرضت بعض الدول تعريفاً للإرهاب فذكرت: "أنه مجموعة من الأعمال التي تدينهــا جميع الدول، أياً كانت مشاعرهـــا تجاه القضية التي يـدعي مرتكبو هذه الأعمال أنهم يناصرونها"[2]، واستناداً إلى هذا التعريف، طلبت هذه الدول من حركات التحرير الوطني أن تعدل سلوكها حتى لا تقترن بالجماعات الإرهابية أو الإجرامية التي تسعى لربط نفسها بهذه الحركات بشكل من الأشكال بغية تحسين صورتها. كما انبثق عن اجتماع لجنــة الخبراء العرب التي عقدت في تونس من (22-24) آب 1989، لوضع تصور عربي أولي عن مفهوم الإرهاب والإرهاب الدولي، والتمييز بينه وبين نضال الشعوب من أجل

---

(1) أحمد التل، الإرهاب في العالمين العربي والغربي، عمان: المؤلف، 1998، ص11.

(2) هيثم الكيلاني، إرهاب الدولة بديل الحرب في العلاقات الدولية، مجلة الوحدة، العدد 67، 1990، ص34.

التحرير، التعريف الآتي: "فهو فعل منظم من أفعال العنف أو التهديد به، يسبب فزعاً أو رعباً من خلال أعمال القتل أو الاغتيال أو حجز الرهائن أو اختطاف الطائرات أو تفجير المفرقعات وغيرها، ويخلق حالة من الرعب والفوضى والاضطراب، والذي يستهدف تحقيق أهداف سياسية سواء قامت به دولة أو مجموعة من الأفراد ضد دولة أخرى أو مجموعة أخرى من الأفراد، وذلك في غير حالات الكفاح المسلح الوطني المشروع، من أجل التحرير والوصول إلى حق تقرير المصير في مواجهة كافة أشكال الهيمنة أو قوات استعمارية أو محتلة وعنصرية وغيرها، وبصفة خاصة حركات التحرر المعترف بها من الأمم المتحدة ومن المجتمع الدولي والمنظمات الإقليمية، بحيث تنحصر أعمالها في الأهداف العسكرية أو الاقتصادية للمستعمر أو المحتل أو العدو، ولا تكون مخالفة لمبادئ حقوق الإنسان، وأن يكون نضال الحركات التحررية وفقاً لأغراض ومبادئ وميثاق الأمم المتحدة وسواه من قرارات أجهزتها ذات الصلة بالموضوع"[1]، كما عرفته (الإرهاب الدولي) وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فقالت: "إنه العمل العنفي الذي يرتكبه أجنبي في دولة ما، أو العمل العنف الموجه ضد شخص أجنبي في بلد المجرم)[2].وهناك عدد كبير من التعريفات الفردية بمعنى أدلى بها أشخاص، وهذه التعريفات عبرت عن وجهات نظرهم عن ظاهرة الإرهاب، فهذا الفقيه القانوني سوتيل يقول: "الإرهاب هو العمل الإجرامي المقترف عن طريق الرعب أو العنف أو الفزع الشديد من أجل تحقيق هدف محدد"[3] أما الفقيه الفرنسي (جورج لافاسير) فيعرف الإرهاب بأنه: "الاستخدام العمدي والمنظــم لوسائل من شأنها إثارة الرعب بقصد تحقيق بعض الأهداف"[4]،

---

(1) أحمد التل، مرجع سابق، ص13.

(2) هيثم الكيلاني، مرجع سابق، ص34-35.

(3) محمد تاج الدين الحسيني، مساهمة في فهم ظاهرة الإرهاب، مجلة الوحدة، العدد (67)، (1990)، ص23.

(4) المرجع السابق.

وذهب الفقيه جيفا نوفيتش إلى اعتبار الإرهاب: "بمثابة أعمال من طبيعتها أن تثير لدى شخص ما الإحساس بتهديد أياً كان، وتتمخض عن الإحساس بالخوف بأي صورة"[1]، وهذا جيمز آدم يعرف الإرهابي بأنه: "فرد أو عضو في جماعة ترغب في تحقيق أهداف سياسية باستعمال أساليب عنيفة، ويكون ذلك غالباً على حساب ضحايا مدنيين أبرياء، وبدعم من أقلية من الشعب التي يدعون بأنهم يمثلونها"[2]، واعتبر البعض أن الأعمال الناتجة عن الإرهاب جريمة إرهابية وقد عرف المساهمون في مؤتمر (فرسوفيا) عام 1930م هذه الجريمة بالقول: "بأنها الاستعمال العمدي لكل وسيلة قادرة على إحداث خطر جماعي"، إلا أن الاتجاه الثاني الذي ذهبوا إليه في المؤتمر وهو اعتبار الإرهاب في حد ذاته جريمة مقوضة لأسس كل تنظيم اجتماعي، وقد برزت فكرة الجرائم الاجتماعية هذه لأول مرة ضمن إحدى توصيات معهد القانون الدولي بجنيف سنة 1892 عندما اعتبرت، أن مفهوم هذه الجرائم ينبني على ارتكابها من أجل "قلب أسس المجتمع كما هو منظم حالياً"[3].

ولما كنا نحن بصد إيراد تعريفات لعدد من رجال الفقه القانوني، فإننا نعتبر ذلك مدخلاً للتعرف على ما تعنيه كلمة الإرهاب في التشريع المصري، حيث أشار هذا التشريع على أن الإرهاب هو[4]: "كل استخدام للقوة أو العنف أو التهديد أو الترويع يلجأ إليه الجاني لمشروع إجرامي فردي أو جماعي إذا كان من شأن ذلك:

- إيذاء الأشخاص أو إلقاء الرعب بينهم أو تعريض حياتهم أو حرياتهم أو أمنهم للخطر.

---

(1) المرجع السابق.

(2) أحمد التل، مرجع سابق، ص14.

(3) محمد تاج الدين الحسيني، مرجع سابق، ص23.

(4) محمد غنام، المواجهة التشريعية للإرهاب بين القانون الإيطالي والقانون المصري، مجلة السياسة الدولية (القاهرة)، العدد (113)، 1993، ص72.

- إلحاق الضرر بالبيئة أو بالاتصالات أو بالمواصلات أو بالأموال أو بالمباني أو بالأملاك العامة والخاصة أو الاستيلاء عليها.

- تعطيل تطبيق الدستور أو القوانين أو اللوائح.

- استهداف الإخلال بالنظام العام أو تعرض سلامة المجتمع وأمنه للخطر.

بعد استعراض هذا العدد الوافر من التعريفات التي تناولت الإرهاب فإنه يمكننا استخلاص عدد من سمات العمل الإرهابي أهمها:

1- الإرهاب عمل عنيف يعرض الأرواح والممتلكات للخطر أو يهدد بتعريضها.

2- الإرهاب موجه إلى الأفراد أو مؤسسات أو مصالح تابعة لدولة ما.

3- الإرهاب يقوم به أفراد أو جماعات مستقلون أو مدعومون من دولة ما.

4- الإرهاب قصده تحقيق أهداف.

5- الإرهاب يخلق حالة من القلق والخوف ويسلب الناس أمنهم.

6- الإرهاب يحتمل أكثر من تفسير، فالإرهابي في نظر جماعة هو محارب من أجل الحرية في نظر الآخرين.

7- الإرهاب سلوك يستهدف مساحة أوسع من مساحة الضحايا المباشرين.

8- الإرهاب له عواقب تتعدى الحدود الوطنية وربما الإقليمية.

9- الإرهاب قد يكون في بعض الحالات رداً على حالة ظلم قائمة، وفي هذه الحالة ينتفي وجود الإرهاب إذا كانت هناك عدالة سياسية واجتماعية.

10- الإرهابيون أناس أدى بهم فقدان الأمل والإحباط إلى القيام بأعمال إرهابية.

ثانياً: النشأة التاريخية للإرهاب[1]:

الإرهاب أحد ظواهر الاضطراب السياسي في العصر الحديث[2]، وهو كتعبير وممارسة ظهر بشكل أوضح وتجسد فكراً وواقعاً في أواخر القرن الثامن عشر، ففي العهد الذي يطلق عليه في فرنسا عهد (الرهبة) من (10 آذار عام 1793-27 تموز عام 1794)، أي أثناء الثورة الفرنسية، مارس زعماء ذلك العهد، وفي مقدمتهم: روبسبير، وسان جوست، العنف السياسي على أوسع نطاق، فقد قطع هؤلاء بالمقصلة رؤوس أربعين ألفاً من الفرنسيين الذين كانوا يعدون يومئذ (27) مليون نسمة، أما المعتقلون فقد بلغ عددهم (300) ألف إنسان. وبناءً على هذا إن جاز لنا التعبير بالقول، فإن الإرهاب المعاصر ظاهرة أوروبية النشأة، وقد شنت الثورة الفرنسية عام 1789 الإرهاب بمفهومه الحديث،ومارسته (باسم الشعب، ودفاعاً عن الشعب، وتتولى أمره لجان منبثقة عن الشعب).

ومـــا أن حل القرن التاسع عشر حتى استفاقت أوروبا على ظهور حركـات ومنظمات سياسية في أفيائها، استخدمت الإرهاب وسيلة لبلوغ أهدافهـا السياسية، ومن أبرز هذه الحركات هي الفوضوية والعدمية، ويجمع بينهمـا أساس فكري واحد، وهو رفض السلطة بكـل أشكالها، وتهديم المؤسسات السياسية والاقتصادية بالقـــوة وتمجيد حرية الفـــرد، وقد تكون

(1) هيثم الكيلاني، بشيء من التصرف، مرجع سابق، ص35-36.

(2) يبدأ العصر الحديث من عام 1453م وهو عام سقوط القسطنطينية بعد محمد الفاتح العثماني ولغاية قيام الحرب العالمية الأولى عام 1917.

خيــوط فكرية تجمع بين هاتين الحركتين والحركات السياسية الإرهابية الأوروبية المعاصرة مثل: (الألوية الحمراء) في إيطاليا، و (جماعة بادر – ماينهوف) في ألمانيا، و(العمل المباشر) في فرنسا، فهي جميعاً تنتهج الأسلوب الإرهابي نفسه، وتعتمد مفاهيم فلسفية قائمة على العنف وتتقارب مع المفاهيم الفوضوية والعدمية.

ومع إطلالة القرن العشرين ظهر في أوروبا مفكرون وفلاسفة، أسبغوا الشرعية على العنف كردٍّ فعل على الاستلاب الذي يمارسه المجتمع الاستهلاكي الرأسمالي تجاه الفرد، فهذا (هربرت ماركوز) وصف نظام المجتمعات الصناعية المتقدمة بالعدو، وسوغ الاستعانة حتى بالوسائل غير الشرعية إن لم تُجدِ الوسائل الشرعية في مواجهة مظالم ذلك النظام.

لقد تطور استخدام مصطلح الإرهاب بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك بعد وراثة الولايات المتحدة الإمبراطوريات الاستعمارية المنهارة، وظهور ظاهرة الاستعمار الجديد ومحاولة الولايات المتحدة مد سيطرتها ونفوذها على أكبر مساحة من العالم، بواسطة الأحلاف والتكتلات العسكرية والاقتصادية. بالإضافة إلى اللجوء للتآمر وإثارة المشكلات وإيجاد الصعوبات المالية للدول، ومن هنا انطلقت تهمة (الإرهاب الدولي) لتلتصق بهذه الدول الخارجة عن إرادة الولايات المتحدة، وبحركات التحرر الوطني التي تناضل من أجل استقلال بلادها، والتخلص من الاستعمار والاحتلال والعنصرية، من هنا جاء الخلط المقصود بين (الإرهاب الدولي) من جهة، وبين حق تقرير المصير للشعوب، وهو خلط قامت به المدارس الفكرية وأجهزة الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية في أوروبا وأمريكا وعملت على تثبيته وتعميقه في فكر الآخرين[1]، وبعد استعراض النشأة والتطور التاريخي لظاهرة الإرهاب نخلص إلى حقيقتين هامتين هما:

---

(1) هيثم الكيلاني، مرجع سابق، ص36.

1- إن الإرهاب ظاهرة أوروبية النشأة، استحدثت أوروبا هذه الظاهرة من الفلسفات التي سوغّت استخدام الإرهاب وسيلة.

2- إن مصطلح الإرهاب طور في المخابر السياسية الأمريكية، بعد أن ظهرت كزعيمة استعمارية بعد الحرب الكونية الثانية، لتحقيق أهدافها المتمثلة في الهيمنة والسيطرة والنفوذ.

ثالثاً: أسباب ومسوغات الإرهاب

لاشك أن هناك أسباباً تقف وراء ظاهرة الإرهاب، وتسوغ القيام بعمليات إرهابية، بمعنى أن هذه الظاهرة لا تأخذ مكانها على خريطة الزمن دون دوافع تعمل على كينونتها، فهي لا تأتي من فراغ مطلق، وقد حمل الأمين العام للأمم المتحدة (كورت فالدهايم)[1] الدول الكبرى القسط الأكبر من مسؤولية تفشي ظاهرة الإرهاب التي تهز العالم، وذكر عدة أسباب من أبرزها[2]:

1- ممارسة حق النقض في مجلس الأمن الدولي، وتهاون الدول الكبرى عن القيام بواجباتها، مما أدى إلى عجز الأمم المتحدة عن تحقيق أهدافها المحددة في ميثاقها، وفي شرعة حقوق الإنسان.

2- إن تواطؤ الدول الكبرى وتميزها، أدى إلى فشل المنظمة الدولية في تحقيق التعاون الدولي، وحل المشكلات الاقتصادية والاجتماعية بين الدول.

3- إن اغتصاب الشعوب المستضعفة، ألحق بها ظلماً وحرماناً أخفقت

---

(1) الغريب بالأمر أن هذه الشخصية (كورت فالدهايم) مارست وظيفة الأمين العام للأمم المتحدة لأكثر من دورة رئاسية، وفي الوقت الذي نادى بإعطاء الفلسطينيين حقوقهم ورفع الظلم عنهم، اتهم "بالإرهابي النازي"، وعملت الصهيونية العالمية على إقناع النمساويين بعدم انتخابه رئيساً لهم، إلا أن محاولاتها باءت بالفشل واعتلى كرسي الرئاسة في بلده.

(2) محمد السماك، الإرهاب العنف السياسي، بيروت، دار النفائس، 1992، ص176.

الأمم المتحدة في التعويض عنه.

إننا نشارك الأمين العام في الأسباب الآنفة الذكر على اعتبارها أسباباً ومبررات للقيام بأي عمل إرهابي، وفي اعتقادنا لو لجأت الأمم المتحدة إلى توخي العدالة في قراراتها وتوصياتها لحذف من قاموس الإرهاب أكثر من ثلث الأعمال الإرهابية.

هذا وقد ربط الكثير من الأعمال الإرهابية بعدة أسباب متنوعة لكل حادثة سببها التي دفعها لتأخذ مكانها في قائمة الإرهاب، إلا أن الاجتهادات اتجهت إلى تصنيف أسباب الإرهاب في قائمتين هما[1]:

1- أسباب ذات طبيعة سياسية، ويندرج تحت ظل هذه القائمة عدة أسباب فرعية منها:

أ-الاستعمار والاستعمار الجديد والحفاظ على السيطرة الاستعمارية.

ب- العنصرية والتمييز العنصري والفصل العنصري والصهيونية[2].

جـ- العدوان، واستخدام القوة لانتهاك الاستقلال السياسي للدول أو سيادتها أو سلامتها الإقليمية[3].

---

(1) راجع في ذلك: محمد السماك، مرجع السابق، ص198، أحمد التل، مرجع سابق، ص19-20، هيثم الكيلاني، مرجع سابق، ص36-37.

(2) لقد وصمت الأمم المتحدة الكيان الصهيوني بفلسطين بالوصمة العنصرية عام 1973، ولكنها عادت فألغت هذا القرار بعد أزمة الخليج، وهذا يُعد بمثابة ترضية قدمتها الأمم المتحدة لدولة الكيان، وهذا له دلالاته، دلالات الهيمنة الصهيونية على الولايات المتحدة المهيمنة على الأمم المتحدة - انظر - رجاء جارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الصهيونية - القاهرة، دار الغد، 1996م، ص68.

(3) لا أدل من الانتهاك السياسي للدول أو سيادتها من تدمير الولايات المتحدة لمصانع الأدوية في العاصمة السودانية الخرطوم عام 1998، بعد أن نفذ بعض الإفريقيين عمليات التدمير التي لحقت بالسفارة الأمريكية في مدينة (نيروبي) في كينيا، ومن ثم اتهمت (بن لادن) على أنه الممول والمخطط للعملية التي دمرت السفارة.

د- التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى.

هـ- محاولـــة فرض السيطرة على الشعوب، وما ينجم عن ذلك من تهجيــــر الأهالي عن ديارهم.

و- سياسة التوسع والهيمنة التي تنتهجها الدول ذات الشوكة.

2- **أسباب ذات طبيعة اقتصادية واجتماعية،** وهناك عدة أسباب فرعية أخرى تندرج تحت ظل هذه القائمة منها:

أ- استمرار النظام الاقتصادي الدولي الجائر وغير المنصف.

ب- الاستغلال الأجنبي لموارد البلاد الطبيعية (المستعمرة) (بفتح الميم).

جـ- قيام دولة أجنبية بالتدمير المنظم للهياكل البشرية أو السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية لبلد آخر.

د- عرقلة التنمية المستقلة للبلدان النامية[1].

هـ- الظلم الاجتماعي، والاستغلال السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

و- انتهاك حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، والحبس الجماعي والتعذيب والانتقام واللامساواة والتهجير الإجباري والطرد الجماعي والاستعباد والقهر.

إن دراسة الأسباب يلقي مزيداً من الضوء على المسألة التي قد تدفع للقيام بعملية إرهابية من أجل تحقيقها، فتوجه الأنظار إلى الأوضاع التي تحيط بها، تدفع أهل الحكمة إلى معالجة الأمر قبل وقوعه، فيتفادون بذلك ما ينجم عنه من آثار قد تلحق أضراراً يصعب التنبؤ بها، كما أن دراسة الأسباب تساعد كثيراً على توضيح مفهوم الإرهاب الدولي، والتقليل من حوادثه.

---

(1) إن مظاهر هذه العرقلة في واحدة منها احتكار العامل التكنولوجي وعدم تصديره، للخارج، إلا ذلك العامل الذي أصبح خارج الخدمة في دولة الامتلاك.

رابعاً: وسائل وأشكال الإرهاب

إن فلسفة الإرهاب واحدة في جميع الحالات، فهي تهدف إلى إنهاك أو إعاقـة أو قتل أو تدمير المؤسسة التي يعتقد الفاعل أنها هي العدو، غير أن الأسباب المؤدية إلى استخدام العنف في بلوغ الأهداف يختلف عن بعضها البعض، فإذا طرحت جانباً الأفعال التي يرتكبها أصحابها بهدف الانتقام الشخصي أو بدوافع إجرامية فيمكن تصنيفها إلى فئات ثلاث هي[1]:

1- إرهاب ضد نظام قائم، بهدف الإطاحة به، واستبداله بنظام آخر، وإرهاب مضاد يقوم به النظام ضد أعدائه.

2- إرهاب تلجأ إليه الثورات بعد وصولها إلى السلطة، بغية تصفية آثار العهد القديم.

3- إرهاب قد تمارسه بعض منظمات التحرير الوطني، في حال عجزها عن شن حرب تحرير واسعة النطاق، أو في حالة مواجهة قوة مسلحة أقوى منها بكثير، أو من أجل نشر القلق أو الفزع بين قوات الاحتلال، وهذا الشكل من (الإرهاب) مشروع، يدرجه أعداؤه بطلاناً تحت مصطلح (الإرهاب الدولي)، ومثالها: الحرب التي شنها الجزائريون ضد الاستعمار الفرنسي، والحرب التي شنها الأنغوليون ضد الاستعمار البرتغالي، والحرب التي شنها الفيتناميون ضد الاحتلال الأمريكي وغيرها الكثير.

وهناك آراء أخرى حول عملية تقسيم أشكال الإرهاب، هذا التقسيم قائم على أساس طبيعة الجهة التي تقوم به، وقد صنف إلى شكلين رئيسيين هما[2]:

---

(1) محمد السماك، مرجع سابق، ص32.

(2) إسماعيل غزال، الإرهاب والقانون الدولي، القاهرة، المؤسسة الجامعية للنشر، 1990، ص19.

1- الإرهاب الذي تقوم به مجموعات أو منظمات غير حكومية وهو الإرهاب غير الرسمي.

2- الإرهاب الذي تقوم به الدولة وهو الإرهاب الرسمي الذي يقصد بـــــــه تخويف المعارضة، وأعداء النظام والمتمردين الخارجين على القانون، وذلك بقصد إجبارهم على الطاعة.

وهناك رؤيا ثالثة في تصنيف الإرهاب يعتمد على امتداد نشاط الإرهاب والشعوب التي تشارك فيه، وصنف في شكلين هما[1]:

1- الإرهاب الداخلي: وهو الإرهاب الذي يقتصر نشاطه على مجتمع واحد، وبين الشعب الواحد ونشاطه ينحصر فقط على هذا المجتمع وهذا الشعب ولا يتعداه.

2- الإرهاب الخارجي: وهو الإرهاب الذي تشترك فيه أطراف خارجية مع النزاع المحلي.

وقد يكون هناك دمج في التقسيم بين إرهاب وآخر، فإذا نظرنا إلى التقسيم القائم على طبيعة الجهة التي تقوم بالإرهاب وجدنا الإرهاب الرسمي الذي تمارسه الحكومة على شعبها، وفي هذا دخلنا إلى شكل جديد من أشكال الإرهاب وهو (الإرهاب الرسمي الداخلي) وهذا يأخذ بدوره عدة أشكال هي[2]:

1- الإرهاب السياسي: وهو الإرهاب الذي يمارسه الفريق الحاكم في الدولة، ضد أولئك الذين يتحدون لإجباره على التنازل والتخلي عن مكاسبه وامتيازاته التي حصل عليها بفضل توليه زمام الأمور بالدولة، لذا فهو يمارس الإرهاب السياسي من أجل الاحتفاظ بالمكاسب والامتيازات التي يجنيها من وراء وجوده في السلطة.
2- الإرهاب الاقتصادي: وهو الإرهاب الذي يمارس على الصعيد الداخلي،

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق، ص21-29.

عندما تعمل الدولة أو الفئة الحاكمة لصالح البرجوازية والطبقات المميزة أو لصالح الفئة التي تستند إليها السلطة.

3- **الإرهاب الاجتماعي:** وهو الإرهاب الذي يقوم بين فئات المجتمع الواحـــــــد، يكون بالدرجة الأولى قائماً على التفاوت بين فئات المجتمع، فئــة تســـعى إلى إقامة المساواة بين أفراد المجتمع، وفئة تحاول الاحتفاظ بالامتيازات والمكاسب التي تتمتع بها، ويكون سبب ذلك هو الجانب الحكومي لكونه لم يراعِ العدالة في التوزيع بين فئات المجتمع.

4- **الإرهاب الانفصالي:** وهو الإرهاب الذي تسعى من خلاله فئة عرقية أو دينية تقطن منطقة جغرافية محددة للانفصال عن الدولة المركزية، نتيجة شعورها بالإهانة والاضطهاد من قبل الأكثرية العرقية أو الدينية الحاكمة.

5- **الإرهاب الأيديولوجي:** وهو الإرهاب الذي له صلة بنوعية النظام الرأسمالي أو الاشتراكي، ويقوم بين مؤيدي كل من النظامين، ومحاولة كل فريق الوصول للسلطة لتطبق النظام الأيديولوجي الذي يعتنقه.

6- **الإرهاب الديني:** وهو الإرهاب الذي له صلة بالدين ويقوم كل فريق من مؤيدي هذا الدين أو ذاك بالعمل للوصول إلى السلطة، وذلك لتعميم مبادئ دينه الذي يعتنقه.

وكذلك إذا نظرنا إلى التقسيم القائم على طبيعة الجهة التي تقوم بالإرهاب، وجدنا الإرهاب الرسمي يتعدى الشعب الواحد إلى الشعوب الأخرى، فتشترك فيه عدة شعوب، وهذا ما يسمى بالإرهاب الرسمي الخارجي، وركز فقهاء الغرب جلّ اهتمامهم على إرهاب المنظمات أو ما سموه (بالإرهاب الثوري) الذي تقوم به حركات التحرر الوطني وخصوصاً منظمات التحرير التي تسعى إلى تحقيق أهدافها المشروعة.

وفي نهايـة عرض أشكال الإرهاب لابد من الإشارة إلى ملاحظـين يجب

أن ننظر من خلالهمـا إلى تلك الأشكال، وهما ملاحظتان تعتبران جزءاً لا يتجـزأ من إدراك فكرة تقسيم أعمال الإرهاب إلى فئات أو أشكال متعددة، فمنهم من فهــم معنى (الإرهاب) كعمل مرفوض ومــدان وغير إنساني، ومنهم من فهم معنـاه النضال من أجل الحق والعدالة، وأنه مقبول ومصان بالقانون الدولي ويجب عدم إغفال ما يلي[1]:

1- إن أي عمل عنف هو عمل نسبي، ففي حين ترى الجماعة الفاعلة أن هذا العمل نضال، ترى الجماعة الأخرى أنه إرهاب، والحكم الفصل هو القانون الدولي وما سنه المجتمع الدولي من مبادئ وقواعد وأعراف.

2- إن إطلاق مصطلح (الإرهاب الدولي) على أعمال النضال في سبيل التحرر من الاستعمار والاحتلال والسيطرة والعنصرية والصهيونية والظلم هو تعميم غير عادل من وجهة نظر القانون الدولي، وما أقرته الأمم المتحدة من حقوق ثابتة للشعوب، ومنها حق تقرير المصير والاستقلال.

وسائل الإرهاب:

للإرهاب وسائل وأساليب عديدة تمارسها الجهات الفاعلة للإرهاب منها[2]:

1- الاغتيالات السياسية: وهذه وسيلة تقوم على أساس استخدام العنف والتصفية الجسدية بحق شخصيات سياسية كأسلوب من أساليب العمل والصراع السياسي ضد الخصوم، كمثل ما جرى عام 1914 حينما اغتيل ولي عهد النمسا في سيراييفو[3].

---

(1) هيثم الكيلاني، مرجع سابق، ص38.

(2) أحمد التل، مرجع سابق، ص34-43، هيثم الكيلاني، مرجع سابق، ص38.

(3) ومثال ذلك ما قام به الموساد لتصفيه (خالد مشعل) في عمان أحد المتنفذين في حركة الجهاد الإسلامي حماس، ولكنه الموقف المتشدد الذي وقفه الملك حسين تجاه القضية حال دون ذلك.

2- **احتجـــاز الرهائن:** وهي عملية توقيف قسري لشخص ثالث ليس طرفـاً مباشراً في نزاع، يقصد المحتجــزون أو الخاطفــون بواسطتها فرض شروطهـــم السياسية أو العسكرية أو المالية على الذين هــم في نزاع معه، ومفهـــوم الرهائن يشمل الأناس غير العسكريين وغير المقاتلين الذين لا يحملون السلاح[1].

3- **خطف الطائرات:** هو الاستيلاء على الطائرة عن طريق اللجوء إلى التهديد المقنع باستخدام العنف، وإجبار طاقمها على تغيير وجهة سيرها والتوجه بها نحو مطار آخر، وذلك بقصد عقد صفقة والحصول على تنازلات مقابل الإفراج عن المختطفين والطائرة، وقد شهد العالم ما بين عام (1951-1970)(984) حادثة اختطاف أي معدل (82) في العام الواحد.

4- **حجز السفن:** وهو إجراء مقتضاه أن تقوم دولة بحجز السفن التابعة لدولة أخرى، لإرغام الدولة صاحبة السفينة إلى إجابة طلبات أو القيام بتعهدات معينة، ولحين إجابة هذه الطلبات أو القيام بتعهدات وانتهاء النزاع بشأنها ونسبة هذا النوع قليلة إذ لم تقع في الثمانينات سوى حادثة واحدة.

5- **الاستعمار الاستيطاني:** وهو الاستعمار الذي ينظر إلى خارج حدوده السياسية، ويلجأ إلى إنشاء مزارع وسط محيط سكان البلاد الأصليين، وهذا ما هو قائم في فلسطين المحتلة وجنوب أمريكا وروديسيا.

6- **إلقاء القنابل:** وهو الإرهاب الذي يهدف إلى القتل والجرح وإثارة الرعب

---

(1) إن أقرب الأمثلة على ذلك هو ما قامت به مجموعة (أبي سياف) في الفلبين في شهر آب وأيلول عام 2000م، باحتجاز عدد من الأشخاص ومن جنسيات مختلفة، وذلك لفرض شروط خاصة بالمجموعة على الحكومة الفلبينية، وجرت عدة محاولات لإطلاق سراح المحتجزين، إلا أنها لم تسفر عن نتائج حاسمة، الأمر الذي أصدر الرئيس الفلبيني أمره للقيام بعمليات حربية ضد الجماعة لتخليص الرهائن.

والخوف ويبعث على عدم الأمن والاطمئنان.

ويضاف إلى ذلك حرب العصابات وحرب التحرير الشعبية مثالان هامان، لاستخدام وسائل الإرهاب المختلفة، وبخاصة للرد على الأعداء الذين يلجأوون إلى استخدام جميع وسائل الإرهاب المتاحة لهم.

خامساً: نماذج من الأعمال الإرهابية الدولية

إن لجوء الأنظمة الاستعمارية والامبريالية والدكتاتورية القمعية في العالم إلى تضخيم ما تطلق عليه (الإرهاب الدولي)، وإلصاق كل منهم الإجرام والإرهاب دون البحث في البواعث يعد عملاً تضليلياً، الهدف منه إبعاد الأنظار عن الإرهاب الذي تمارسه ضد شعوب العالم الثالث وضد شعوبها، وعليه فإنه مقارب لما يسمى بظاهرة (الإرهاب الدولي)، تستلزم التمييز بين نوعين من أعمال العنف المصنفة كأعمال (إرهابية دولية)، الأول: إرهاب الدولة، والثاني: إرهاب الأفراد والجماعات.

1- إرهاب الدولة:

يرى بعض خبراء القانون الدولي أن الدولة تلجأ إلى وسائل الإرهاب في حالتـــــين رئيسيتين هما: عندما تكون الفجوة واسعة بين أهداف الدولة المعلنة وبـــين أهدافها الحقيقية غير المعلنة، والتي تتستر عليها الدولة بسبب أو لآخر، وعندما تصبح ممارستها السياسية في حالة اختناق تعجز عن تجاوزها بالعمل الدبلوماســي عبر القوانين الدولية المعمول بها، وقد جسد الإرهاب الأمريكي ضـد ليبيا عام 1986 صورة من صور إرهاب الدولة لكون الولايات المتحدة استبدلت الحرب بالإرهاب وكان بديـلاً عن إعلان الحرب حتى لا تتعـرض لأيــة إدانــة من المجتمع الدولي[1]، واتخذ هذا الإرهاب صورة غارة جوية أمريكيــة على طرابلس وبنغازي، وقد تم التخطيط لها وتنظيمها وتوقيتها من

(1) إبراهيم ابراش، مرجع سابق، ص89.

قبـل مجموعة صغيرة من المدنيــين والعسكريين، وهم مستشار رونالد ريغان، ومدير المجلس القومي للأمن الأميرال (جون بوندكستر)، ومساعدة الملازم (يولفرنورث) والجنرال (جون للنرق) والقبطان (جيمس ستراك) وآخرون من جنرالات البتاغـون الأمريكية وتسببت في قتل مئة شخص أغلبهم من المدنيين[1]، وقد بينت الولايات المتحدة أن هذه الغارة بسبب ما وصفه الرئيس الأمريكي ريغان، وقوف ليبيا وراء (أوكار الإرهاب) في حين كانت الأسباب الحقيقية كما تشير بعض المصادر تعود إلى عام 1969، عندما تم قلب نظام الإقطاع في ليبيا ومجيء نظام ينادي بمعاداة الإمبريالية والصهيونية، وإنهاء الوجود العسكري الأجنبي في ليبيا وذلك بإغلاق القواعد العسكرية الأمريكية، وقيام ليبيا بتأميم نفطها من الشركات الاحتكارية، ووصل التوتر أقصى درجة له عام 1979 حيث أمر الرئيس الأمريكي كارتر بإغلاق السفارة الأمريكية في طرابلس، تبع ذلك أن أحرق المتظاهرون مقر السفارة في العاصمة الليبية عام 1981، تبعه إغلاق السفارة الليبية في واشنطن، وفي نفس السنة أسقطت طائرتين أمريكيتين من طائرات الأسطول الأمريكي فوق خليج سرت، ومن ثم تصاعد التوتر بين الطرفين توج بالغارة الأمريكية فوق خليج سرت، ومن ثم تصاعد التوتر بين الطرفين حيث توج بالغارة الأمريكية المنوه عنها، وبهذا العمل العدواني الإرهابي تكون الولايات المتحدة التي لها الباع الطويل في هيئة الأمم المتحدة، الدولة قد خرقت ميثاقها وقواعد القانون الدولي التي تطالب الأسرة الدولية بمراعاتها. ورغم حجة الولايات المتحدة، أن ما قامت به لا يخرج عن كونه ممارسة لحق الدفاع عن النفس، لكون ليبيا هي التي بدأت بالهجوم تبقى حججاً لا يقبلها العقل ولا تستسيغها الإفهام[2].

إن إرهاب الدولة يأخذ أشكالاً أخرى مثل القمع الذي تمارسه الأنظمة وخاصــة الدكتاتورية ضد شعوبها، وتسعى الأنظمة من خـــلال ممارستها

---

(1) مطيع مختار، مرجع سابق، ص77.

(2) المرجع السابق، ص77.

للإرهـاب قمـع المعارضة الجماهيرية، وفرض نمط سياسي اجتماعي معين يخـدم مصـالح وأهداف الفئة الحاكمة وحاشيتها، وقد كشفت محكمة العدل الدولية عن وجود أكثر من خمسين دولة يمارس فيها الإرهاب والتعذيب ضد مواطنيها[1].

إن إرهاب الدولة أبشع أنواع الإرهاب، وخاصة إذا كان هذا الإرهاب موجهاً نحو الشعب، الذي يرى بالدولة عنوان سيادته والراعية لمصالحه، والموجه الحقيقي نحو بث كل عوامل الأمن والاستقرار لكافة المواطنين.

2- إرهاب الأفراد أو الجماعات:

إن هذا الإرهاب يكون موجهاً من أسفل إلى أعلى بمعنى من جماعات ضد الحكومة ويصنف هذا النوع من الإرهاب إلى ثلاث مجموعات هي:

أ- **المنظمات ذات الاتجاه القومي المطالبة بالانفصال وإقامة دولة قومية،** وتكون الجهة التي توجه هذه المنظمات نحوها الإرهاب، تلك التي تكون مسؤولة عن حرمانها من تقرير مصيرها، وضد أبناء قوميتها المتعاقدين مع هذه الدولة، وتتفاوت اتجاهات هذه المنظمات بين اليمين واليسار، وأشهرها[2]:

- حركة (ايتا) الإسبانية وتطالب بانفصال منطقة الباسك عن إسبانيا وفرنسا وإقامة دولة مستقلة، وتأسست عام 1959 ويشمل نشاطها إسبانيا وفرنسا.

- المنظمات الكورسيكية المطالبة بالانفصال عن فرنسا وتشمل جيش التحرير الوطني الكورسيكي، والعمل من أجل نهضة كورسيكا، ويطلق عليها الألوية الثورة الكورسيكية.

---

(1) إبراهيم إبراش، العنف السياسي بين الإرهاب والكفاح المشروع، مجلة الوحدة، العدد (67)، 1990 - ص91.

(2) المرجع السابق، ص92.

- جيش التحرير الإيرلندي والجيش الجمهوري الإيرلندي، وهي تنظيمات تكافح من أجل استقلال إيرلندا الشمالية عن بريطانيا وتوحيد شطري إيرلندا.

- القوات المسلحة للتحرر الوطني لبورتوريكو، وهي منظمة تطالب باستقلال بورتوريكو عن الولايات المتحدة.

- المنظمات السيخية المتطرفة بالهند حيث يطالب السيخ بالانفصال عن الهند وإقامة دولة لهم.

- نمور تحرير التأميل إيلام، ويتركز نشاط هذه المنظمة في جزيرة (جفنا)، وتطالب بالانفصال عن سيريلانكا، وإقامة دولة مستقلة للتأميل، وهذه المنظمة مدعومة من الهند.

ب- المنظمات اليمينية الفاشية: تنتشر في الأنظمة الديكتاتورية وفي المجتمعات المصنعة حيث ينصب حقدها وعنصريتها ضد الأجانب والتيارات السياسية اليسارية، وغالباً ما تغضّ السلطات الرسمية النظر عن أعمالها الإرهابية وتقف خلفها بالتمويل والتوجيه، لكون أعمالها تصب في ما ترنو الدولة إليه.

وأهم هذه المنظمات: الجبهة الوطنية الفرنسية، ويتزعمها العنصري (لوبان) ولها مقاعد في مجلس النواب الفرنسي، و(الحركة البريطانية) وتركز نشاطها ضد العرب والأقليات العرقية الأخرى، و(النظام الأسود) و(الحركة الاشتراكية الإيطالية) و(الحزب الفاشي الجديد) في إيطاليا، و(الذئاب الرمادية) في تركيا وغيرها.

جـ- منظمات اليسار المتطرف: تعيش هذه المنظمات في الوسط الغربي، وتعتبر من أكثر منظمات التطرف قوة، حيث تشتهر بقوة تنظيمها وعنف ضرباتها كما تشتهر بوجود تنسيق فيما بينها سواء كانت تعمل في ألمانيا أو فرنسا أو إيطاليا

وتشكيلها ما يطلق عليه بـ (أممية الإرهاب)[1].

إن أهداف هذه المنظمات تكمن في العمل على تحطيم النظام الرأسمالي الأمبريالي بكل مؤسساته، فالخيار الإرهابي لهذه المنظمات جاء من موقع عدم جدوى التعامل مع النظام الرأسمالي ضمن القنوات الشرعية، وقد أكدت المنظمات اليسارية المتطرفة على عدة قضايا كانت بمثابة تحديد لاستراتيجية عملها وهي[2]:

- ضرورة استعمال العنف، لأن العنف هو الوسيلة الوحيدة لتغيير المجتمع.

- عدم إيمان الجماعة (بادر - ماينهوف) بالفوضوية.

- لا تتبنى الجماعة الشيوعية.

- مدح المادية ونقد المجتمع التعددي.

- النضال ضد الامبريالية والرأسمالية هو فعل يومي لا يحده مكان أو زمان.

د- الجماعات اليسارية المتطرفة: هناك عدد كبير من الجماعات اليسارية التي تعمل في الدول الأوروبية وأهمها[3]:

الألوية الحمراء: منظمة إيطالية جاء قادتها من الحرم الجماعي المتشبعون بروح ثورة 1968، ويرجع ظهور هذه المنظمة لعام 1970 في ميلانو، حيث لعب (كورسيو) أبرز منظريها دوراً كبيراً في خلقها، حددت هذه المنظمة هدفها القائم على (تدمير الآلية البيروقراطية - العسكرية للدولة والسلطة السياسية القائمة)، كما اعتبرت ما أسمته (الدولة الامبريالية المتعددة الجنسيات) عدواً رئيساً لها وكانت تمارس هذه المنظمة الكفاح المسلح بصورة عملية انطلاقاً من الفكر اللينيني وتضم ثلاث قطاعات هي: الشبكة السرية وجهاز المعلومات وجهاز الدراسات

---

(1) إبراهيم إبراش، مرجع سابق ص92.

(2) المرجع السابق، نفس الموضع.

(3) إبراهيم ابراش، مرجع سابق، ص93.

والأبحاث[1].

الجبهة الألمانية للجيش الأحمر: أحد المنظمات الألمانية وأبرز قوميتها (اندرياس بادير)، وكانت انطلاقتها عام 1970، وأهداف هذه المنظمة هي: تدمير النظام الإقطاعي الامبريالي سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، من خلال مهاجمة رموز السلطة وقواتها المسلحة، ومركز حلف شمال الأطلسي ويستند التبرير الفكري لإرهاب اليسار في ألمانيا إلى فكرة كفاح دول العالم الثالث ضد الامبريالية، وإن الإرهابيين الألمان إنما يشكلون جزءاً من الحركة العمالية لتحرير العالم الثالث، فهم يعيشون في حالة حرب مع الحكومة الألمانية التي تعتبر أهم حلفاء القوة الامبريالية هي الولايات المتحدة الأمريكية[2].

العمل المباشر: منظمة إرهابية فرنسية وتصنف كأخطر وأقوى حركات اليسار المتطرف الأوروبية، بدأت نشاطاتها الإرهابية عام 1978 في مهاجمة المؤسسات الحكومية، وتشجيع المظاهرات ودفع المتظاهرين للاشتباك مع رجال الشرطة، وشكلت مع منظمات إرهابية أخرى خارج فرنسا وضمن القارة الأوروبية ما سمي بـ (أهمية الإرهاب) ضد حلف شمال الأطلسي ورموز مؤسسات الدول التابعة له كما تبنت اتجاهاً معادياً ضد الولايات المتحدة الأمريكية ودولة يهود، فضربت العديد من الأهداف الأمريكية واليهودية والاعتداء على الوفود اليهودية التي كانت تزور باريس، كما عبرت عن رفضها للاضطهاد وعمليات الإبادة التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني[3].

سادساً: الإرهاب وحق تقرير المصير

(1) محمد الغنام، الإرهاب في الديمقراطية الغربية، السياسة الدولية، العدد (107)، 1986-ص91.

(2) أحمد التل، مرجع سابق، ص364.

(3) أحمد التل، مرجع سابق، ص368.

إن النضال المسلح لحركات التحرر الوطني وهي ساعية لتقرير مصير شعوبها، لا يعتبر إرهاباً ويعتبر عملاً مشروعاً، وذلك لانّ هذا النضال تنطلـــــق مشروعيته من العديد من الاتفاقيات والقـرارات الدولية، سواء تلك المتعلقة بحق الدفاع عن النفس، أو حق تقرير المصير، ونشير هاهنا إلى اتفاقية جنيف لعام 1949 (المادة 13)، حيث أكدت على حماية شعوب الأقاليم المحتلة الثائرة ضد محتليها الأجانب، وإلى قرارات مؤتمر جنيف الدبلوماسي للعمل على إنماء وتطوير القانون الإنساني المطبق على النزاعات المسلحة عام 1977، حيث أكدت القرارات على ما ورد في اتفاقيات الجمعية العامة للأمم المتحدة المنادية بإعطاء الشرعية لنضال الشعوب من أجل تقرير مصيرها وهذه القرارات هي:

قرار الجمعية العامة رقم (1514) لعام 1960، قرار الجمعية العامة رقم (2531) لعام 1965، قرار رقم (2621)، البرنامج الصادر عن الجمعية العامة بتاريخ (22) تشرين الأول عام 1970، وقرار رقم (1034) لعام 1972، وقرار رقم (3070) لعام 1973، وقرار رقم (3103) لعام 1973، وقرار رقم 3246 لعام 1974، وقرار رقم (4/32) لعام 1977[(1)].

وأما ما يخص الشعب الفلسطيني فقد أكدت الأمم المتحدة في قرارات متعددة على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، كما حظي الشعب الفلسطيني بالتأييد الدولي سواء على مستوى دول عدم الانحياز أو منظمة الوحدة الإفريقية أو المؤتمر الإسلامي، وفي العديد من المؤتمرات الدولية، ويرجع ذلك إلى وضوح وعدالة قضيته وعدوانية الكيان الصهيوني، وعدم شرعية وجوده، وأصدرت الجمعية العامة قرارها بهذا الخصوص عام 1970 والمنادي بضرورة انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة، وقرار الجمعية عام 1974 والذي أكد على الحقوق الأساسية

---

(1) إبراهيم ابراش، مرجع سابق، ص95-97.

للشعب الفلسطيني.

سابعاً: الإرهاب الصهيوني في فلسطين

هنـــاك الكثير من الأعمال الإرهابية التي تمارسها السلطات الصهيونية، ضـــد أبناء الشعب الفلسطيني خاصة والشعب العربي عامة، وقد تنوعت ما بـــين الاعتقال والسجن والضرب وتكسير العظام والإبعاد والاغتيالات ومصادرة الأراضي ونسف المنازل وغيرها من الأعمال الإرهابية، التي لا يختلف فيها اثنان، وكانت الأعمال الإرهابية بمجملها موزعة بين إرهاب تمارسه الدولة، وإرهاب يمارسه أفراد وجماعات يهودية تحت مظلة ورعاية وحماية الحكومة، وانطلاقاً من ضيق العمليات الإرهابية والجهة الفاعلية لها، فإننا سنتناول الإرهاب الصهيوني على أساس تصنيفه إلى إرهاب رسمي وإرهاب غير رسمي.

- **الإرهاب الصهيوني الرسمي:** إن هناك سياسة صهيونية حكومية ذات تخطيط مدروس وضعت بعناية فائقة، تتشابك حلقاتها لتفرز شبكة متكاملة من أعمال القمع والإرهاب التي لاقت استهجاناً بين مختلف قطاعات المجتمع الدولي وتشمل هذه الأعمال الإرهابية على[(1)]:

1- التوسع في مصادرة الأراضي العربية في الضفة والقطاع وبناء المستوطنات عليها[(2)]، وفي هذا الإطار بلغ إجمالي الأراضي الفلسطينية التي تمت مصادرتها في الضفة منذ عام 1967 وحتى عام 1987 نحو 2.480.000 أي ما يساوي 52% من إجمالي مساحة الضفة الغربية التي تبلغ 5.5 مليون دونم، وفي قطاع غزة صادرت (160) كم^2 وهذا يساوي 42% من إجمالي مساحة القطاع التي تبلغ

(1) عماد جاد، الإرهاب الصهيوني في الأراضي الفلسطينية المحتلة، الوحدة، العدد (67)، 1990، ص122.

(2) للمزيد حول هذا انظر مهدي عبد الهادي، المستوطنات الإسرائيلية في القدس أو الضفة الغربية المحتلة، 1967-1980، القدس، جمعية الملتقي الفكري 1978، ص62-63، نظام بركات، الاستيطان الإسرائيلي في فلسطين، الرياض، مطابع جامعة الملك سعود، 1985.

(363) كم2[1].

وقد وضعت السلطات اليهودية خطة لجعل اليهود أغلبية في المناطق المحتلة عام (2025)م، وذلك بافتراض نجاحها في جلب اليهود من الخارج وطرد العرب في ظل سياستها المعروفة بالترانسفير.

2- سحب الهويات من المقدسيين وحرمانهم من المواطنة: فقد سحبت وزارة الداخلية خلال عام 1996م هويات (689) مقدسياً، ومنذ مطلع عام 1997 سحبت هويات (385) مقدسياً، كما أشارت بيانات وزارة الداخلية إلى أن هناك (402) هوية قيد التحقيق مع أصحابها، كما وضعت السلطات مخططاً يقضي بتجريد (50-70) ألف مواطن فلسطيني من حق المواطنة في القدس[2].

3- التوسع في أعمال قمع وإرهاب أبناء الشعب الفلسطيني: وهذا النوع من الإرهاب تتجلى صورته في سلوكيات جنود الاحتلال الهمجية في مواجهة أطفال وشباب الحجارة، ولا أدل على صورة السلوكيات البربرية لجنود الاحتلال من قول قائد المنطقة الوسطى (عمرام ميتسناع) في كتاب استقالته (بأنها أعمال قذرة ودنيئة)[3]، إنّ الوسائل الإرهابية التي نفذ بها الجنود أوامر قادتهم متنوعة فكانت ما بين:

الرصاص الحي والمطاطي، واستخدام الغازات السامة، وصلب الشبان العـرب على واجهات العربات المدرعة اليهودية، الضرب حتى الموت، الرجم بالحجـارة، الدفن وهم على قيد الحياة، سلخ الجلد لإزالة الرموز الوطنية الفلسطينية من الأجساد، واتبـاع سياسة تكسير العظام لشباب الانتفاضة، ولمواجهة الانتفاضة شكلت الحكومـة فرقاً إرهابية وبأسماء مختلفة مثل: فرق

---

(1) عماد جاد، مرجع سابق، ص123.

(2) محمد عوض الهزايمة، القدس في الصراع العربي - الصهيوني، عمان، المؤلف،2000، ص184-185.

(3) عماد جاد، مرجع سابق، ص124.

الموت للقيام بأعمال إرهابيـة كاغتيال قادة المنظمات[1]، وكانت تنقسم إلى فرقتـين الأولى (ثمرة الكـرز) وينتشر أفرادها في مدن وقرى الضفة الغربية، والثانيـة (شمشون) وينتشر أفرادها في مدن وقرى القطاع، وينتحل أفـراد الفرقتين صفة الصحفيـــين والمصورين الأجانب لتصوير المظاهـرات وتحديد قادتها تمهيداً لاغتيالهم، ويكفي أن نشير أن حصيلة الإرهاب الصهيوني منذ اندلاع الانتفاضة في 9 كانون الأول عام 1987 وحتى منتصف أيلول عام 1989 كانت: سقوط (936) شهيداً و (46) جريحاً و (6) آلاف معوق و (6) آلاف حالة إجهاض و (9392) معتقلاً، والملاحظ أن أكثر الفئات تعرضاً للإصابة والاستشهاد ممن تتراوح أعمارهم من (10-20) سنة، أي الجيل الذي ولد في ظل الاحتلال.

وأما الإرهاب الصهيوني غير الرسمي: ونقصد به الإرهاب الذي تمارسه جماعات وعصابات لا تحمل صفة رسمية، ولكنها في اعتقادنا تعمل في ظل إطار تنسيق كامل مع السلطات الصهيونية، نظراً لأن هذه الجماعات تشارك تلك السلطات في نفس الأسباب وتقسم هذه الجماعات إلى ثلاث فئات هي:

1- جماعات تحظى بوضع رسمي تحت أسماء مدنية، سياسية، استيطانية وأشهرهـــا: حركة الهاجانا[2] وحركة كاخ[3] وجوش أيمونيم[4] وتعد كاخ

---

(1) للإطلاع على الشخصيات الفلسطينية التي تم تصفيتها جسدياً على يد دولة الكيان الصهيوني، انظر أحمد التل، مرجع السابقن ص313-318.

(2) أنشئت عام 1921 وبموافقة اللجنة العامة للهستدروت، وهي أول منظمة صهيونية سرية في فلسطين، وأصبحت فيما بعد الذراع القوي للوكالة اليهودية وللمنظمة الصهيونية العالمية، انظر جورج المصري، العنف الصهيوني في الفكر والممارسة، مجلة الوحدة، العدد (67)، 1990، ص113.

(3) أنشئت عام 1969 على يد الحاخام مائير كاهانا الذي قتل (27) عربياً مسلماً وهم يؤدون صلاة الفجر في شهر رمضان المبارك، وعندما أنشئت خطط لها لتكون منظمة إرهابية ضد المؤسسات العربية

(4) كانت بالأصل مجموعة هذه الحركة كمثل كتلة داخل حزب المفدال، لكنها انفصلت عنه عام 1974، وترتبط بعدة منظمات منها منظمة (امناه) التي كانت في الأصل مستعمرة أقامتها الحركة في صيف عام 1976، - انظر - جورج مصري، مرجع سابق، ص118.

نموذجاً لهـــــذه الجماعات، وقد ولدت على يد الحاخام المتطرف (مائير كاهانا) والذي كان عام 1984 أحد أعضاء الكنيست وأهم منطلقات الحركة[1]: إن الشعب اليهودي هو شعب الله المختـــــــار، أرض إسرائيل بكاملها للشعب اليهودي، يحظر على اليهود التنازل عن شبر واحد من أرض إسرائيل، ليس هناك شعب فلسطينيّ وليس هناك عرب معتدلون، يحق لغير اليهود العيش في إسرائيل كأجانب، ضرورة إزالة الأماكن الإسلامية والمسيحية[2].

2- **جماعات سرية أخرى:** ووظيفتها القيام بأعمال الإرهاب من اغتيال ونسف المنازل والممتلكات الفلسطينية ومثال هذه الجماعات: جمعية المحافظة على الأمن في شوارع الضفة، جماعة الإرهاب في مواجهة الإرهاب أو (د ت. ن ت) جماعة البرناريون، جماعة البوريم، جماعة الكابتن.

3- **تشكيلات المستوطنين الإرهابية:** وهذه التشكيلات من المستوطنين أنفسهم مزودين بالأسلحة الحديثة وترعاهم الحكومة ويقومون بالتجول في المناطق المحيطة بمستوطناتهم وتشن غاراتها وحملاتها المسلحة على التجمعات الفلسطينية.

إن الإرهاب في الكيان الصهيوني سواء كان الرسمي وغير الرسمي، ذو علاقة ارتباطية قوية بين الأجهزة الصهيونية وجماعات الإرهاب الصهيونية بمختلف فئاتها سواء العلنية أو السرية، وتقوم الأجهزة الصهيونية في إطار هذه العلاقة بإمداد هذه الجماعات بالسلاح، وتوفير مظلة الحماية لهم مقابل مشاركة هذه الجماعات في تنفيذ

---

(1) عماد جاد، مرجع سابق، ص125.

(2) هناك حركات إرهابية أخرى بالإضافة إلى ما سبق منها: حركة هتحيا - تسومت ويعود ظهور هذه الحركة في تموز عام 1979، وحركة إرهاب ضد الإرهاب أنشئت في أواخر السبعينات التي قامت للرد على الإرهاب العربي، ومنظمة لجنة الأمن أنشئت عام 1979، حركة الرائد السرية كشف النقاب عنها عام 1983، حركة أمناء جبل الهيكل ويتزعمها رجل دين متطرف (جرشون سلمون)، حركة احشمونيين أو (اللرنريم) تم التعرف على هذه الحركة عام 1982.

أحد مكونات السياسة الإرهابية الصهيونية، كما أن هذه الجماعات تتمتع بحماية حزبية داخل الكنيست.

ثامناً: الإرهاب الدولي

بعـــد أن ظهرت الولايات المتحدة كوريثة للاستعمار القديم والذي توج بانحسار النفوذ البريطاني والفرنسي والامبريـــالي، عمدت إلى تغيير (تكتيكـــــي) في خططها الاستعمارية هذه الخطط جمعت بين المفهوم الامبريالي القائم على احتلال الأراضي والبلدان وغزوها بالقوة، وبين الهيمنة والسيطرة والتدخل في شؤون الدول تحت مسميات وأشكال عديدة متنوعة عبر تاريخ الولايات المتحدة، وقد تبلورت هذه المسميات في عدة أسماء تحمل في خفاياها الطابع الاستعماري المنطوي في جوهرة على الإرهاب وهذه المسميات هي:

أ- قوة التدخل السريع: وتحمل في ثناياها الرعب والخوف في كونها قوة عسكرية جاهزة لضرب أي مكان تراه مناسباً لتحقيق مصالحها.

ب- المعونات الأمريكية المتنوعة وتحمل في ثناياها الرعب وخشية الدول الفقيرة من قطع هذه المعونات وبالتالي قد يؤدي إلى تفشي المجاعة.. وغيرها.

جـ- الغزو الثقافي والاجتماعي وهذا ينطوي على رعب فقدان البلدان هويتها وخضوع أهلها للسيطرة الأجنبية، وهذا الغزو أقوى وأشد على الأمم من السيطرة العسكرية.

د- العمل وبكل الوسائل على إبقاء العدو الصهيوني الأقوى في المنطقة، وتفوق قوته قوة الدول العربية مجتمعة لا بل الدول الإسلامية كذلك.

هـ- محاصرة النفوذ الشيوعي - سابقاً - وهذا الإرهاب يتمثل في تخويف العرب من المد الشيوعي في منطقتهم، وهذا يدفعهم لزج أنفسهم داخل

الحضن الأمريكي.

و- لجأت الولايات المتحدة إلى نشر الديمقراطية الأمريكية في العالم، ولو كانت الديمقراطية تخالف عادات وتقاليد وأعراف الأمم الأخرى، وعلى من لا يأخذ بها فهو إرهابي ومن نوع خاص، وهذا النوع اتهام تلك الدولة بالديكتاتورية وعدم مراعاتها لحقوق الإنسان.

ز- التدخـــل في الدول الأخرى بسبب عدم مراعاتها لحقول الإنسان واتهامها بأنها دولة إرهابية أو داعية للإرهاب.

ح- السيطرة على الأمم المتحدة خاصة مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة من خلال استصدارها قرارات أعطيت صفة (الشرعية الدولية)، وبهذا أعطت الولايات المتحدة إجازة للممارسة الإرهاب باسم هذه الشرعية، وما تطبيق القرارات الدولية على العراق، وغض النظر عن تطبيقها على الكيان الصهيوني، ما هو إلا دليل على تطبيق شريعة الغاب في القرن الحادي والعشرين.

إن قمة الإرهاب الدولي الأمريكي جاء في معرض الرد على العدوان الإسرائيلي على قواعد منظمة التحرير الفلسطينية في تونس في (7) تشرين الأول عام 1985 ومع حادث اختطاف السفينة السياحية الإيطالية (اكيهي لاورو) الذي قامت به مجموعة من العناصر الفلسطينية، والتي استسلمت في يوم (9) من الشهر نفسه للسلطات المصرية بعد جهود مصرية أشادت بها الدول الأوروبية، إلا أن الولايات المتحدة طلبت من مصر تسليمها الخاطفين، فرفضت مصر بشكل قاطع طلبها هذا، وبسبب الأسلوب البذيء الذي لجأ إليه السفير الأمريكي في الطلب، أبعدته السلطات المصرية فلجأت الولايات المتحدة إلى خصم مليار دولار من المبلغ المخصص للمعونات الاقتصادية لعام 1985 (هذا شكل من أشكال العنف المسمى قطع المعونات وقد أشرنا إليه).

غـــــادر المختطفون القاهرة على متن الطائرة مصرية إلى تونس بعد إذن

مسبق، إلا أن تونس عادت ورفضت هبوط الطائـرة في أراضيها بـــد أن أقلعـــت من القاهرة، وبعد خمسة وأربعين دقيقة تعرضت لمحاصرة طائرات (1 ف 14) أمريكيـة وقادتها إلى مطار (سيجونيللا) في صقليا، وقـد استنكـــر العالـم كله هذا العمل الإرهابـي من الدولة التي تنادي بنبذ الإرهاب، ووصف هذا الإرهاب من نوع إرهاب الدولة وقرصنة أمريكية يكشـف من الوجه الحقيقي للولايات المتحدة[1].

وهكذا أثبتت الولايات المتحدة الأمريكية مجدداً أنها تظل الزعيمة الأولى للإرهاب الدولي، وهناك دروس على قادة العالم العربي والإسلامي وما تبقى من دول العالم الثالث أن تعيها وهي[2]:

1- إن الصداقة مع الولايات المتحدة لا تعطي أية حماية لأصدقاء واشنطن.

2- إن التسهيلات العسكرية الممنوحة للولايات المتحدة في بعض الدول لا يمكن أن توفر أي حماية لتلك الدول، فقد لعبت القواعد العسكرية الأمريكية في إيطاليا الدور الرئيسي في قصف الطائرات الصهيونية لمقر منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، وفي عملية خطف الطائرة المصرية، وتم هذا من وراء ظهر الحكومة الإيطالية.

3- أن أية تسهيلات عسكرية تعطي للولايات المتحدة في أية أرض عربية، يمكن أن تكون في النهاية موجهة ضد أصحابها، وليس للدفاع عنهم.

4- إن الصداقة مع الولايات المتحدة (وبالذات مع الدول العربية)، لا تعني حسب المفهوم الأمريكي لهذه (الصداقة) إلا الخضوع الكامل لإرادة مخططات الولايات المتحدة الأمريكية.

---

(1) معالي عبد الحميد حمودة، مرجع سابقن ص148-149.

(2) المرجع السابق، ص150-151.

تاسعاً: موقف الدول العربية من الإرهاب

لقد أدانت الدول العربية واستنكرت كل أشكال الإرهاب لكونه مزهقاً للأرواح البريئـــــــة، وأدانت الحملات الدعائية المغرضة المواكبة لإثارة موضوع الإرهاب الدولـــــي إبـــــان أدراج الأمر في جدول أعمال الجمعية العامة للأمم المتحــــدة، هذا يتضح من دورها الفعـــــال ومساهمتها في بلورة القرار الذي اتخذتـــــه الجمعية العامة رقم (3045) بتاريخ 18 كانون الأول 1992، كما أن الدول العربية كان لها حضور في لجنة الإرهاب الدولي، حيث مثلت الدول العربية في هذه اللجنة: الجزائر وموريتانيا وسوريا وتونس واليمن.

وهناك عدة مواقف اتخذتها الدول العربية خاصة بالإرهاب أهمها[1]:

1- إصدار تشاريع قاسية لمعاقبة الإرهابيين، وقراصنة الجو، ومراقبة المطارات، واتخذت إجراءات أمنية خاصة لحماية الأجانب.

2- تؤكد الدول العربية إن حركات التحرر الوطني في فلسطين والقارة الإفريقية، لا تقوم إلا بالأعمال المشروعة، ولا تتصرف إلا بوحي الاتفاقيات الدولية والقرارات الصادرة من هيئة الأمم المتحدة.

3- تنفي الدول العربية أي صلة أو تشابه بين الإرهاب وبين حركات المقاومة والتحرير الوطني، كما تركز لنفي ودحض أي تشابه على اتفاقية جنيف (1949) التي تحمي حقوق المقاومة النظامية، كما تحمي سكان الأراضي المحتلة عندما يهبون في ثورة ضد قوات الغزو الأجنبي.

4- تؤمن الدول العربية بمشروعية حركات التحرر القائمة على مبدأ حق تقرير المصير، وعلى حق الدول المشروع في الدفاع عن النفس ضد

---

(1) علي كريمي، موقف الدول العربية من الإرهاب الدولي، مجلة الوحدة، العدد (88)، 1992، ص126-128.

عمليات الإبادة وما شابهها من جرائم ضد الإنسانية.

وأخيراً:

إن ظاهرة الإرهاب وجدت منذ القدم منذ أن قتل هابيل أخاه قابيل، وتبقـــى مقاومة الإرهاب على لسان الدول العدوانية كلمات حق يراد بهـــا باطل، الحق لأن الإرهاب نقيض الطمأنينة والسلام والباطل في نكران الحق واستلابه وممارسة العـدوان باسم مقاومة الإرهاب، إن المواقف السياسية والأيدلوجية لكل دولة هي التي تحدد ما هو الإرهاب، وما هو النضال المشروع، وهذا ينطلق من مصلحة الدولة المعنية، بمعنى هل المصلحة تكمن في إلصاق صفة الإرهاب بالعمل المعني أو إضفاء صفة الشرعية، وما دام المجتمع الدولي محكوماً بمفهوم المصلحة الضيقة ومهيمناً عليه من قبل الدول الكبرى، والتي تفرض إرادتها وجبروتها على الدول الصغرى، وشعوب العالم المغلوبة على أمرها، يبقى مفهوم الإرهاب دون تحديد لأن مصالح الدول الكبرى تقتضي ذلك.

الفصل الثالث

الأمن القومي العربي

الفصل الثالث
الأمن القومي العربي

مقدمة:

يعيش العرب وكأن حرب الخليج لم تحصل، وهذه ظاهرة ليست غريبة في تاريخ العرب الحديث، فقد استمرت الحياة ضيقة بعد دخول غورو الفرنسي سوريا، على أثر انتصاره في معركة ميسلون على يوسف العظم عام 1920، وكذلك الأمر بعد ضياع فلسطين عام 1948، وإلحاق الباقي عام 1967، واجتياح القوات الصهيونية لبنان عام 1982، وتحطيم العراق وبعدها احتلاله عام 2003.

إن المراقب للأحداث التي مر بها العرب قبل وأثناء وبعد أزمة الخليج، ما عليه إلا أن يسلم بأن الأمن القومي العربي زاد وهناً على وهن بعد كل نقلة من نقلات أحداث أزمة الخليج، حتى سقط هذا الأمن سقوطاً مريعاً في أعقاب الحرب، وهذا ما مكن الولايات المتحدة من الأخذ بنحور العرب، كما مكن العدو الصهيوني من الاستفراد بكل قطر عربي على حدة، والعمل على اختراقه تمهيداً لضربه الضربة القاضية والتي عنوانها تدميره، إن الأقطار العربية القريبة من فلسطين والبعيدة عنها كانت تعيش حالة هزيمة دائمة، حتى جاءت أزمة الخليج وحدث ما هو أسوأ من ذلك، حيث حارب العرب بعضهم بعضاً، وبذلك سقط الأمن القومي العربي كلياً، وفي هذا الصدد سنتحدث عن الأمن القومي العربي من خلال خمسة مباحث نبدأها بالتعريف بالنظام القومي العربي وعلى النحو التالي:

المبحث الأول
النظام القومي العربي

النظام الإقليمي هو ذلك النظام الذي تتحدد معالمه ضمن عناصر مشتركة بين كافة الدول التي تنتمي لذلك الإقليم، ولنتساءل هل يمكن سحب مصطلح نظام قومي (إقليمي) على الدول العربية؟ وهذا ما نحن بصدده الآن.

حيث تتفق الدراسات التي تتناول "النظام الإقليمي" تأصيلاً وحالات تطبيقية، على أن أهم عناصر النظام الإقليمي هي[1]:

أ- أنه يتعلق بمنطقة جغرافية معينة، وشموله ثلاث دول على الأقل.

ب- عدم وجود أي من الدولتين العظميين بين الوحدات المكوِّنة له، لان وجود إحداهما يربطه بالنظام الدولي مباشرة.

جـ- ارتباط هذه الوحدات مع بعضها بشبكة معقدة من التفاعلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخاصة به، والتي تملك ديناميكيتها الذاتية وقواعد حركتها المنبثقة من هذه التفاعلات الإقليمية باستقلال عن النظام الدولي أو نفوذ الدول الكبرى.

استناداً إلى العناصر الثلاثة الآنفة الذكر، من الواضح أن الوطن العربي يشكل "نظاماً إقليمياً" لكونه يتألف من عدة دول عربية متماثلة في الظروف التاريخية والسياسية والاقتصادية والسكانية، وتشترك في ثقافة واحدة هي الثقافة العربية، ومن ثمّ هذا النظام يتصف بانسجامه بشرياً وجغرافياً، أي بتمتعه بهيكل نسيجي متجانس في مجموعه، بشكل مترافق مع وجود هيكل تنظيمي لـه يتمثل في جامعة الدول العربية، أضف إلى أن الوطن العربي يتميز

---

(1) جميل مطر، وعلي الدين هلال، النظام الإقليمي العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 1980، ص17.

بموقع جغرافي يعطيه اتساقاً مع وضعه كنظام إقليمي، وإننا نميل إلى تسمية النظام الإقليمي العربي بالنظام القومي العربي، لتكون هذه التسمية تعبيراً خاصاً بالوطن العربي، بين نماذج النظام الإقليمي للوحدات الجغرافية - السياسية العالمية.[1]

إذا كان هذا من الناحية الحيوسياسية، فإن النظام الإقليمي العربي من الناحية الفكرية ارتبط منذ نشأته بمنطق الدعوة القومية التي أفرزت قواعد عامة حاكمة للسلوك السياسي العربي،ولاسيما جملة من القضايا الكلية العامة مثل: الصراع العربي الصهيوني،والتحرر القومي العربي،والوحدة العربية،وإن الجهود المضنية في سبيل إعطاء معنى أيديولوجي لهذا النظام من قبل مفكري الوطن العربي،اصطدمت بتناقضات كبيرة منها:التناقض القطري – القومي أولاً ثم التناقض الإقليمي – القومي ثانياً وظهور تجمعات جزئية هنا وهناك في الوطن العربي كالاتحاد المغاربي، ومجلس التعاون لدول الخليج العربي.[2].

إن النظام الإقليمي العربي والحالة هذه تحيط به عدة مخاطر هذه المخاطر تجعله يعيش في وضع غير متكافئ ومرتبك وفي مقدمة هذه الأخطار ما يلي[3]:

1- الانكفاء داخل الحدود القطرية العربية، والانشغال بالمشكلات الداخلية في كل قطر، وهما أمران يؤثران سلباً على العمل القومي العربي المشترك، حين لا يكون ما هو قطري في خدمة ما هو قومي.

2- استمرار الخلل الذي تعاني منه بنية النظام العربي (نزاعات على الحدود، تنافر إيديولوجي، فوارق امتلاك الثروة، ظهور إشكاليات في دمج الطوائف والأقليات، تبعية غذائية، شح وقلة في الموارد المائية... الخ).

---

(1) إبراهيم عبد الكريم، إسرائيل والنظام العربي، مجلة الوحدة، العدد (56)، 1989 ص20-21.

(2) حمدي عبد الرحمن حسن، العولمة وآثارها السياسية في النظام الإقليمي العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد (1285)، 2000، ص12.

(3) المرجع السابق، ص21.

3- وفوق ذلك، هناك المعضلة الرئيسة التي كانت ولا تزال تعبِّر عن ذاتها من خلال تأسيس إسرائيل في قلب المنطقة العربية، ومن خلال الخطر الصهيوني الذي يتهدَّد أمتنا، ثم لا ننسَ أن هذه المعضلة تعزّزت عبر الانقسام العربي الذي أحدثه نهج "كامب ديفيد".

بعد التقديم الموجز لأهم الثغرات الآنفة الذكر والتي تعتبر من أهم القضايا المؤثرة في النظام الإقليمي العربي في المرحلة الراهنة، فإننا والحالة هذه سنتناول الأمن القومي العربي للوقوف على حقيقته.

المبحث الثاني

التعريف بالأمن القومي العربي

من المسلم به أن الأقطار العربية موحدة اللغة والدين والدم والتقاليد إضافة إلى وحدة المصالح، وهذه العناصر التي ذكرت قادرة على جعل الأقطار العربية نموذجاً وحدوياً قائماً على أسس وثوابت طبيعية تغلفها قومية عربية محددة المعالم، إلا أن الدول المعادية عملت وتعمل جاهدة على خرق هذه العناصر لتجعل الأقطار العربية تنادي بالوطنية. ولا تعطي أي بال لقوميتها سوى الحديث دون فعل، إن الأمن القومي العربي ضرورة لا بد منها لتبقى أقطار الوطن العربي في مأمن من جميع الوجوه، وقبل الحديث عن الأمن القوي العربي هذا، علينا أن نعرف الأمن القومي لنتمكن من توضيح جوانبه وإزالة الإشكاليات التي تكتنفه.

1- ما هو الأمن القومي العربي؟

عُرف الأمن القومي بأنه: "قدرة المجتمع على مواجهة جميع المظاهر المتعلقة بالطبيعة الحادة والمركبة للعنف"[1]، وقال آخرون: إنه تامين كيان الدولة والتجمع ضد الأخطار التي تشهدها داخلياً وخارجياً، وتأمين مصالحها، وتهيئة الظروف المناسبة اقتصادياً واجتماعياً لتحقيق أهدافها والغايات التي تعبر عن الرضا العام في المجتمع[2]، وقد ذهب البعض إلى تعريف الأمن القومي: "بأنه الإجراءات التي تتخذها الدولة للحفاظ على كيانها ومصالحها في الحاضر والمستقبل مع مراعاة المتغيرات الدولية"[3]، كما عُرف أيضاً: "بأنه مجموعة الوسائل الناجعة، والقوى المادية والمعنوية، التي تتوفر لدولة ما لحماية كيانها ونظامها ومجتمعها من الأخطار والخارجية التي تطالها أو تهددها"[4].

هذه التعاريف عامة للأمن القومي، وأما ما قيل في تعريف الأمن القومي العربي: "فهو قدرة الأمة العربية على حماية كيانها الذاتي ضد الأخطار الخارجية من أجل ضمان بقائها"[5].

وقد اشترط التعريف لتحقيق هذا الأمن شرطين هما:

الأول: وجود نظم ديمقراطية حقيقية موحدة أو متحدة أو متضامنة أو حتى متفقة على خطة عمل أمنية شاملة لحدودها الجغرافية.

الثاني: وجود تنمية شاملة واقتصاد متكافئ ومتكامل تحت قيادة قومية مؤمنة بحق شعوب الوطن العربي بوحدته أو باتحاده.

---

(1) ياسين سويد، كيف يتحقق الأمن القومي العربي، مجلة الوحدة، العدد (88)، 1992، ص11.

(2) المرجع السابق.

(3) نبيل خليفة، مياه الشرق الأوسط وحروب العقد القادم، مجلة الوحدة، العدد (76)، 1991، ص41.

(4) المرجع السابق، ص12.

(5) فريق أول محمد فوزي، واقع الأمن القومي العربي، مجلة الوحدة العدد (88)، 1992، ص7.

ونحن بدورنا نعرف الأمن القومي العربي بأنه: "امتلاك أسباب القوة القومية المؤهلة قيادة وكفاءة، والقادرة على تحقيق الرضا لكافة قطاعات الأمة العربية، وتضمن لهذه الأمة البقاء".

2- أهداف الأمن القومي العربي:

واستناداً إلى التعاريف الخاصة بالأمن القومي العربي فإننا نرى أن هناك عدداً من الأهداف يمكننا تحديدها لهذا الأمن وهي[1]:

أ- **أمن الفرد العربي:** وهذا يتطلب وعياً من الدولة القطرية لمشكلات الأفراد داخل حدودها وأهمها: متطلبات الحرية والديمقراطية والعدالة والمساواة وتكافؤ الفرص، بالإضافة إلى متطلبات الحياة اليومية، وأهمها الغذاء والصحة والتعليم والثقافة.

ب- **أمن المجتمع العربي:** ويتطلب وعياً من الأقطار العربية لمشكلات المجتمعات القائمة فيها، سواء كانت عرقية أو قبلية أو طائفية أو طبقية، وهذا يتطلب تنمية مشاعر التسامح والتكافل والتضامن في المجتمع العربي.

جـ- **أمن الدولة أو أمن الأمة أو الأمن القومي،** وهذا لا يتحقق إلا بأمن الفرد وأمن المجتمع، وتوفير متطلباتهما المشار إليها، ضمن إطار مشترك ومتكامل في الكيان السياسي للأقطار العربية.

3- عناصر القوة القومية العربية:

وإن القوة القومية اللازمة للأمن القومي العربي هي: مجموعة من العناصر تستوحي مقوماتها من ذات الإقليم، والإقليم ها هنا هو الوطن العربي بأكمله، واستناداً إلى التحديد الذي وضعه العالم الجغرافي (سبيكمان) لعناصره قوة الدولة أو (القوة القومية) فإننا نجدها – العناصر – متمثلة في [2]:

---

(1) ياسين سويد، كيف يتحقق الأمن القومي العربي، مرجع سابق، ص11.

(2) ياسين سويد، الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني، المجلد السادس، ص372-380,

أ-مساحة الوطن العربي.

ب- طبيعة حدود الوطن العربي (أو الأمة العربية) وشكلها.

جـ- حجم سكان الوطن العربي.

د- وجود المواد الأولية في الوطن العربي أو عدم وجودها.

هـ- التطور الاقتصادي والتكنولوجي للدولة أو الأمة.

و- القوة المالية للأمة العربية.

ز- التجانس البشري لسكان الوطن العربي.

ح- التكامل الاجتماعي لسكان الوطن العربي أو الأمة العربية.

ط- الاستقرار السياسي في ربوع الوطن العربي.

ي- الروح القومية ومدى تأصلها في نفوس أبناء الوطن العربي أو الأمة العربية.

وبعد أن أشرنا إلى مجموعة عناصر القوة القومية العربية فإننا نبدي الملاحظات التالية:

إن الأرض العربية مخترقة بالاحتلال والاغتصاب فهذه دولة الكيان الصهيوني محتلة ومغتصبة لفلسطين، وبقية الأقطار العربية واقفه تحت التهديد في كل وقت وحين، وعلى حدود الوطن العربي وتخومه تتربص به قوميات في حكم الإسلام ما هي إلا عصبيات ليست من الإسلام بشيء وهي: القومية الفارسية في الشرق والقومية التركية في الشمال والقومية الأريترية المتعصبة في الجنوب، ناهيك عن تمركز قوات غربية في شرقه وشماله وجنوبه سواء تلك التي في شبه الجزيرة العربية وهم من الأغراب من الغرب الطامع، أو في القواعد الأطلسية في تركيا وبقية الجزر التي تحف بالوطن العربي.

وأمـا بالنسبة للموارد العربية فالوطن العربي يمتلك الكثير، إلا أن زمـام الأمر بيــد الغرب الذي وضع يده كلياً على بترول الخليج، وتحكم بالباقي بعد حرب الخليـج الثانية التي خرج بها منتصراً، والأمة العربية خرجت مهزومة

مهانة، أضف إلـى أن الموارد العربية غير مستغلة لعدم توافر عنصر التكنولوجيـا لأسباب عدم تصنيعـه في الوطن العربي، واعتماد الوطن العربـي على ما يستورد من التكنولوجيا من الخارج، ولا يعطي مصدروها إلا ما أصبح بحكم الزمن خارج الخدمة لديهم.

وأما التطور الاقتصادي والتكنولوجي والقوى المالية فهذه العناصر بحكم الغائبة عن الوطن، وذلك لوقوع معظم الأقطار العربية تحت طائلة المديونية والفوائد المترتبة على الدين، وهذا بدوره يعود إلى هجرة المال العربي إلى أسواق المال الغربية، وفشل الخطط العربية، وعدم الثقة لدى المستثمرين بالمناخ الاستثماري في الوطن العربي لأسباب ربما تعود إلى عدم الاستقرار ورأس المال لا بد له من الاستقرار الكامل ليتوطن.

وأما بالنسبة للتجانس البشري والتكامل الاجتماعي، ففي اعتقادنا أن الوطن العربي يمتلك من مقومات التجانس والتكامل ما يجعله يتفوق على غيره من الأقطار، إلا أن الاستعمار أفسد هذه الخاصية، وخوّف الأقليات وبث الروع في نفوس الأثنيات حتى أخذت تطلب حماية الغرب، وأصبحت الأنظمة العربية مرعوبة اتخذت من عنصر التهدئة سياسة لا تحيد عنها عنوانها الوحدة الوطنية والحفاظ عليها.

وأما الاستقرار السياسي فالوطن العربي غير مستقر؛ لأن الدول الأجنبية تتدخل في شؤونه صباح مساء، ولا تستطيع الدولة القطرية كف يد التلاعب الخارجية في شؤونها الداخلية، وأما الروح القومية فقد انكفأت وذلك لصعود موجة الروح الوطنية، فالحديث عن القومية كلام لا يتعدى الفعل، لأن هناك تناقضاً في المصالح بين ما هو قومي وما هو وطني.

نخلص إلى نتيجة أن الأمة العربية تمتلك من القوة القومية الكثير الكثير، ولكنها غير قادرة على تفعيل هذه القوة في معركة الحياة، الأمر الذي يجعلنا في مركز نستطيع القول فيه، إن عناصر القوة القومية العربية غائبة عن مسرح الحياة العربية

رغم امتلاكها، وهذا ما يجعل الأمن القومي أبوابه مشرعه للداخل والخارج دون سؤال أو طلب التعرف على الهوية.

4- مظاهر اختراق الأمن القومي العربي:

إن هناك عدداً من خطوات التطبيق لاختراق الأمن القومي العربي وأهمها:

أ- هدم الكيان العربي بإخراج أكبر دولة عربية قوية من التنظيم القومي للعرب وهي مصر، والتي خرجت من حلبة الصراع العربي اليهودي عام 1979 على أثر توقيع اتفاقية كامب ديفيد.

ب- وقوف العرب وقفة المتفرج والاكتفاء بإطلاق بيانات الاستنكار والشجب، وعلى أثر اجتياح القوات الصهيونية لبنان ومحاصرة عاصمته بيروت عام 1982، وهذه أكبر محاولة جس نبض للوقوف على مدى هشاشة جدار الأمن القومي العربي.

جـ- قيام ثلاثة تكتلات عربية في فترة الثمانينات على أساس وظيفي ومصلحي، وكانت حسب ظن القائمين عليها بديلاً عن الوحدة العربية الشاملة وهذه التكتلات هي:

- مجلس التعاون الخليجي ويضم ست دول خليجية على رأسها السعودية بالإضافة إلى قطر والكويت والبحرين وعُمان والإمارات العربية.

- مجلس التعاون العربي ويضم أربع دول عربية هي العراق واليمن والأردن ومصر.

- اتحاد الدول المغربية ومكون من خمس دول عربية هي: مراكش، الجزائر، تونس، موريتانيا، ليبيا في الشمال الإفريقي.

د- نشوب الحرب العراقية – الإيرانية والتي دامت ثماني سنوات، وانقسام العرب بين مؤيد لموقف العراق وآخر لإيران، وتناسوا أن الأمن القومي العربي هو جزء من الأمن الإسلامي الشامل، وفي نهاية المطاف كانت الحرب العراقية- الإيرانية، أحد الأسباب التي قادت إلى أزمة الخليج "حيث

قال العراق إن الحرب كانت بمثابة درع وقاية للكويت والدول الخليجية من الوقوع فريسة لإيران، وبالتالي فإن الديون الخليجية يجب أن تشطـــب عن العراق تعبيراً عن المشاركة في بناء درع الحماية لها".

هـ- فزع الدول العربية سواء من شعوبها أو من بعضها البعض الأمر الذي جعلها تهرع للخارج باحثة عن حليف استراتيجي من أجل الاحتماء به.

و- أزمة وحرب الخليج الثانية التي جعلت العربي يقف في وجه أخيه العربي من أجل مصالح الأغيار، وهذه الأزمة والحرب أنهت كلياً التكتل الإقليمي العربي الذي كان يمثله الثقل البشري للعرب.

ز- هرولة العرب إلى مدريد طواعية أو قسراً وعقد عدة اتفاقيات ثنائية، هذا من شأنه جعل كل دولة عربية في مواجهة دولة الكيان الصهيوني، دون الالتفات إلى المصلحة العليا للأمة العربية، وقيام الكيان الصهيوني بمساندة الدول الغربية وأجهزة إعلامها في تسويق مصطلح "الشرق الأوسط" ليحل محل الشرق العربي والذي ينطوي على عدة محاذير ومفاهيم خاطئة، ومن شأنها تكريس مكانة الكيان الصهيوني في المنطقة، وفصم دول عربية أخرى بحجة أنها لا تعيش في المشرق العربي عن كيان الأمة، وربما يأتي يوم إلى حل الجامعة العربية، وإقامة جامعة للشرق الأوسط يجلس فيها المندوب اليهودي إلى جوار العربي كل منهم ينظر إلى مصلحة دولته دون النظر إلى مصلحة الأمة العربية بمجموعها.

نخلص إلى القول إنَّ الفرد العربي غير آمن والمجتمع العربي فزع والدولة القطرية العربية خائفة مذعورة في ظل معطيات الظروف الراهنة.

المبحث الثالث
الأمن المائي العربي

إذا كان الوهم النرجسي قد جعل بعض العرب يتصورون أنه بالإمكان عن طريق النفط، التحكم بعصب صناعة الغرب، فإن واقع العجز الغذائي المتفاقم قد أزال الغشاوة عن حقيقة أشد مرارة بكثير من حلاوة الوهم، وهي أن الغرب نفسه يتحكم بعصب وجودنا بالذات، وهو القوت والذي تزيد من إنتاجه الموارد المائية، وينخفض إنتاجه بندرة وقلة الموارد المائية، الأمر الذي يجعلنا ونحن نؤكد هذه العلاقة بين القوت والموارد المائية القول، إنه لا قوت للعرب بلا موارد مائية وكل القوت لهم بوجود تلك الموارد. إن قدر العرب انهم وقعوا فريسة للاستعمار فجزؤوا وطنهم الكبير، وبذلك حرمهم في ظل القطرية القائمة اليوم من الاستفادة من الكثير من مواردهم المائية والتي تذهب هدراً، وحسبنا أن نلاحظ أن مياه شط العرب تضيع هدراً في البحر بينما تنفق دويلات الخليج مبالغ طائلة على تحلية المياه بمعدل (6) دولار ككلفة إنتاج للمتر المكعب الواحد من الماء المحلى[1]، وقطرية العرب أيضاً زادت الطين بلة، فأدت إلى سرقة مياههم في وضح النهار - وحسبنا أن نرى مياه نهر الأردن قد حولت - دون أن نرى عملاً جماعياً عربياً هادفاً بشان ذلك. إن الثغرة المائية تزداد خطورة بسبب الجفاف الذي يعم المنطقة العربية وزيادة الحاجة إلى استعمال المياه.

1- تعريف الأمن المائي:

لقد شاع في الوطن العربي في الآونة الأخيرة مصطلح الأمن الغذائي، وذلك دلالة على أهمية هذه المسألة، وفي مرحلة تالية ومتممة دخل استخدام مصطلح جديد له ارتباط بالمصطلح السابق، ألا وهو مصطلح "الأمن المائي"، وخاصة وأن الماء أحد العناصر التي لا يمكن للحياة أن تستمر دونه.

---

(1) هيئة تحرير مجلة الوحدة، الأمن المائي العربي، مجلة الوحدة، العدد (76)، 1991، ص6.

والأمن المائي يعني: "المحافظة على الموارد المائية المتوفرة واستخدامها بالشكل الأفضل وعدم تلويثها، وترشيد استخدامها في الشرب والري والصناعة، والسعي بكل السبل للبحث عن مصادر مائية جديدة وتطويرها، ورفع طاقات استثمارها"[(1)]، فالأمن المائي لا يقل أهمية عن سواه، بل بالعكس فإن أهمية الأمن المائي يفوق كل ما سواه نظراً، لإمكانية تحقيق المزيد من الغذاء بطرائق زراعية وصناعية مختلفة، بينما تبقى إمكانيات زيادة المصادر المائية العذبة محدودة.

إن السياسات المائية في ظل الأوضاع المائية العربية الراهنة، لم تلحظ وضع خطط وطنية لاستثمار وحفظ الموارد المائية المتوفرة، بما يحقق التوازن مع احتياجات التطور الاقتصادي والاجتماعي، وقلة الاهتمام بتحسين إدارة الموارد المائية وحفظها وتنميتها، ونضوب المخزون المائي الجوفي وتناقص موارد المياه السطحية، وتدهور نوعيتها نتيجة للاستنزاف المستمر وحدوث التلوث، والحقيقة التي يقف أمامها الجميع بدهشة هي حالة النقص في الموارد المائية التي سيعيشها العرب خلال السنين القادمة. والتي بدورها تدفع إلى ارتفاع قيمة الفاتورة الغذائية نتيجة ازدياد استيراد العرب لغذائهم من الأسواق العالمية.

2- مظاهر العجز المائي العربي:

إن الناظـــر في معظم تقارير المركـز العربي لدراسات المناطق الجافة، والأراضي القاحلـة العربية والمنظمة العربية للتنمية الزراعية، ومنظمة الأمم المتحـدة للأغذية والزراعة المتعلقة بالمسألة المائية في البلاد العربية يدرك جيداً مـــدى تقلص الثروة المائيــة في البلاد[(2)]، إن الدراسات تشير إلى أن الوطن

---

(1) حسان الشوبكي، الأمن المائي العربي، مجلة الوحدة، العدد (76)، 1991، ص25.

(2) راجع ملخصات الأبحاث المقدمة أمام الندوة العربية الثانية للموارد المائية المنعقدة بالرباط بتاريخ (21-27)أيلول، 1981، منشورات المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة.

العربي من المناطق القليلة الموارد المائية والتي أهمها الأمطار والأنهار والمياه الجوفية، ويبدو أنّ الوضع المائي يزداد صعوبة عاماً بعد عام، وذلك بسبب زيادة الطلب على الماء، وبسبب كثرة المعيقات التي تحول دون استثمار الموارد المائية المتاحة بالشكل الأمثل[1]، إن الثغرة الكبيرة في حاجز الأمن المائي العربي تقع في الموقع الجغرافي للوطن العربي نفسه، فالوطن العربي يقع في الحزام الجاف وشبه الجاف في العالم، والموارد المائية المتجددة في الوطن العربي تقل عن (1%) من المياه المتجددة في العالم، ونصيب الفرد العربي منها لا يزيد عن (1744) م^3 سنوياً، بينما المعدل العالمي (12900) م^3، ومعدل هطول الأمطار فيه يتراوح من (5-450) ملم سنوياً، على حين أن هذا المعدل يرتفع في دولة معتدلة المناخ مثل فرنسا إلى ما بين (500-2000) ملم سنوياً، وفي أوروبا إجمالاً إلى ما بين (200-3000) ملم سنوياً، وتكتسب معطيات الموقع الجغرافي المزيد من الدلالة، متى علمنا أن نحو (79%) من الأرض العربية المزروعة تروى بماء المطر، وفضلاً عن ذلك فإن الصحاري تحتل من أرض الوطن العربي ما مساحته (600) مليون هكتار. وإذا علمنا أن المساحة الإجمالية للوطن العربي تبلغ (1394) مليون هكتار، فمعنى ذلك أن الصحراء تحتل منه (43%)، على حين أن الغابة، لا الصحراء هي التي تحتل من أرض دولة أوروبية مثل فرنسا - على سبيل المقارنة - نحو (27%)[2].

وتتفاقـــم مشكلة العجز المائي العربي خطورة من منظور الواقع الإقليمي للوطن العربي، والمشاريـــع المائية الحاضرة والمستقبلية لدول الجوار، وحسبنا أن نأخذ أعظم شريانيـــن يرويان قلب الوطن العربي في مصر (النيل)، ورئته الشماليـــة الشرقية (الفرات)، أضف إلى مشاريع دول الجوار وعامل الجفاف

---

(1) حسان الشوبكي، الأمن المائي العربي، ص25.

(2) هيئة تحرير مجلة الوحدة، مرجع سابق، ص4.

الإقليمي الذي لا يهدد المجرى المائي للنهرين والأنهار العربية الأخرى بل يهدد المنابع والأحواض المغذية لها، وهذا يجعل حصة العرب من المياه الإقليمية يبدو مرتهناً إلى حد كبير لإرادات غير عربية[1]، إن تفاقم مشكلة العجز المائي العربي تتأتى من التهديد الدائم والأكثر من العدو اليهودي القابع في فلسطين، فشراهة هذا العدو على الماء أكثر من شراهته للسيطرة على الأرض، ولا ننسى قول بن غوريون: "إن اليهود يخوضون مع العرب معركة المياه، وعلى نتيجة هذه المعركة يتوقف مصير إسرائيل، فإذا لم ننجح في هذه المعركة فإننا لن نبقى في فلسطين"[2].

إن مظاهر العجز المائي تتضح من خلال قلة الموارد المائية المستثمرة في الوطن العربي، فهي لا تتعدى (173) مليار م^3 في السنة، وإن حجم الموارد المائية هو (338) مليار م^3 في السنة، وإذا ما قورن هذا الرقم بالطلب في المستقبل، فإن هناك أزمة واضحة سوف تظهر، إذ يقدر العجز المائي في هذه الحالة بـ (100) مليار م^3 في السنة[3].

إن التقارير التي أعدها كثيرٌ من الخبراء، يرون أن العجز المائي قائم على مستوى الوطن العربي كله، وسيزداد باطراد مع مرور الزمن، وسيبقى الطلب في حدود الموارد المائية المتاحة حتى عام (2000)، ومم ثم يبدأ الخلل أو عدم التوازن بين مجمل الموارد المائية المتاحة والطلب عليها[4]، وهذا يعني مع دخول العرب القرن الحادي والعشرين أنهم اقتربوا من حالة عدم التوازن بين حجم الموارد المائية المتاحة والطلب عليها، وأصبحت مسألة تأمين المياه أمراً حيوياً واستراتيجياً يتطلب وضع خطة قومية شاملة، لمواجهة العجز المائي وتحقيق الأمن المائي العربي يعد من أول الخطوات نحو الاكتفاء الغذائي

---

(1) المرجع السابق، ص5.

(2) فرج بن لامة، المياه في السوقية الصهيونية، مجلة الوحدة، العدد (76)، 1991، ص75.

(3) المختار مطيع، ارتباط الأمن المائي بالأمن الغذائي في الوطن العربي، مجلة الوحدة، العدد (76)، 1991، ص18.

(4) فريق من الباحثين، الأمن المائي العربي، شؤون عربية، العدد (51)، 1987، ص33-35.

العربي.

3- الموارد العربية المائية المتاحة:

إن مصادر المياه في الوطن العربي تقسم إلى قسمين رئيسين هما: المصادر التقليدية، وهي المصادر المرتبطة بالأمطار والأنهار والمياه الجوفية، ومصادر غير تقليدية، أن المصادر الأخيرة تتعلق بإعادة استخدام المياه، وتحلية مياه البحر، والمياه ذات نسبة الملوحة العالية ونقل المياه بواسطة ناقلات البترول وتعديل الطقس، وربما كانت عملية تحلية مياه البحر أكثر انتشاراً الآن، وخاصة في دول الخليج والجزيرة العربية، ومن الواضح حتى الآن أن اقتصاديات تحلية المياه تبدو غير مجدية إذ تقدر كلفة إنتاج المتر المكعب الواحد بما يزيد على 6 دولارات، لذا سنولي المصادر التقليدية كل اهتمام، وتبدو الموارد المائية - التقليدية - في الدول العربية موزعة حسب مصادرها كما في الجدول[1]:

(1) المنظمة العربية للتنمية الزراعية، برنامج الأمن الغذائي، الجزء الثاني، الخرطوم، آب 1987.

الموارد المائية الحالية في الدول العربية موزعة حسب مصادرها

القطر	كمية الأمطار الهاطلة مليار م^3/سنة	الموارد السطحية مليار م^3/سنة	المياه الجوفية المساحة	المستغلة مليار م^3 / سنة
ليبيا	48.986	-	2.06	1.735
تونس	391.776	1.67	1.50	0.20
الجزائر	192.476	3.500	2.00	1.700
المغرب	82.352	16.00	7.50	2.5
موريتانيا	157.208	-	-	-
العراق	99.865	42.60	2.00	1.20
سوريا	52.740	9.35	3.00	2.528
الأردن	6.726	0.715	0.50	0.257
لبنان	6.835	3.80	1.00	0.500
فلسطين	8.021	-	-	-
مصر	15.255	55.50	3.674	0.760
السودان	1094.358	18.50	-	-
الصومال	190.07	8.20	-	-
جيبوتي	3.997	-	-	-
السعودية	126.786	-	-	-
الكويت	2.277	-	-	-
الإمارات	2.476	2.932	4.683	3.830
البحرين	0.006	-	-	-
قطر	1.890	-	-	-
عُمان	14.666	-	-	-
اليمن الشعبية	46.085	-	-	-
اليمن الديمقراطية	21.076	-	-	-
الإجمالي	2213.000	163.768	28.917	15.283

يمكن تقسيم الموارد المائية المتاحة حالياً في الوطن العربي، والتي يمكن تدبيرها مستقبلاً – جغرافياً – إلى قسمين[1]:

أ- الموارد المائية السطحية في حوض النيل وشمال أفريقيا وتضم البلدان التالية:[2] الصومال والسودان ومصر وتونس والجزائر والمغرب.

ولتوضيح أمر الموارد المائية العربية في هذه البلدان، علينا أن نولي أهم هذه الموارد أهمية خاصة بالبحث والدراسة والتي أهمها نهر النيل.

1- نهر النيل: يبدأ نهر النيل من منطقة خط الاستواء ويستجمع مياهه في ثلاثة أحواض رئيسية هي: هضبة الحبشة وهضبة البحيرات الاستوائية وحوض بحر الغزال، وتشترك في حوض النهر تسع دول هي: مصر والسودان وأثيوبيا وأوغندا وكينيا وزائير وراوندا وبوروندي وتنزانيا، وتمثل الهضبة الأثيوبية (الحبشة) أهم منابع النهر حيث تمده بـ (85%) من إيراده، وتأتي بالمرتبة الثانية هضبة البحيرات، ثم تليها منطقة حوض بحر الغزال[3]، ويبلغ طول النهر 6825كم[4]، وتتفاوت دول الحوض فيما بينها فمنها دول المنبع ودول المجرى ودول المصب، ويبلغ نصيب مصر 55.5 مليار م^3 ونصيب السودان 18.5 مليار م^3 حسب اتفاقية 1959 والمسماة "اتفاقية توزيع أنصبة النيل".

إن هناك مخاطر سياسية محتملة تحف بمياه نهر النيل وهذه المخاطر تتمثل بـ[5]:

أ- مشروع إنشاء الكيان الصهيوني في فلسطين، حيث ارتبط قيـام

---

(1) جان الكسان، والثروة المائية، الوحدة، الرباط، العدد (76)، 1991، ص115.

(2) الموارد المائية السطحية يقصد بها مياه الأنهار والتي تصل إلى (164) مليار م^3 حسب إحصاء عام 1987.

(3) مركز الدراسات الاستراتيجية، التقرير الاستراتيجي العربي 1988، القاهرة، المركز، 1989، ص439.

(4) آمال سعد متولي، المصادر المائية والصراع السياسي في المنطقة العربية، مجلة الوحدة (الرباط)، العدد (88)، 1992، ص91.

(5) حسان الشوبكي، مرجع سابق، ص34-35.

هــذا المشروع بالسعي للحصول على المياه العربية، بدءاً بمشروع هرتزل عام 1903، والذي تم التفاوض عليه بين هرتزل من ناحية واللورد كرمويل وبطرس غالي الأب من ناحية أخرى، بهدف تحويل مياه النيل إلى صحراء سينا لتوطين اليهود فيها.

ب- التوتر الحاد بين دول منطقة حوض وادي النيل، هذا التوتر منبعه الاثنيات العرقية أحياناً، والاختلافات العقائدية أحياناً أخرى، والأطماع السياسية في جانبها الأهم.

جـ- المشاريع الأثيوبية على نهر النيل سواء تلك التي تقوم بها أثيوبيا لوحدها، أم التي تقوم بها بالتعاون مع الشركات اليهودية في إطار التعاون الأثيوبي - الصهيوني.

2- المخاطر السياسية المترتبة على نهر النيل: إن لهذه المشاريع انعكاسات على كل من مصر والسودان[1].

أ- مصر: يبلغ إجمالي واردات مصر المائية 91.5 مليار م^3، يأتي منها 55.5 مليار م^3 من مياه النيل، وبسبب تزايد عدد السكان تخطط مصر لاستصلاح 2.8 مليون فدان حتى عام 2000، وهي لذلك تحتاج إلى 17 مليار متر مكعب من المياه، أي أنها تعمل لزيادة حصتها من مياه النيل كي تصبح 75 مليار م^3 سنوياً. وتسعى مصر لتوفير 4 مليارات م^3 من خلال قناة جونقلي و 7.5 مليارات م^3 من خزان البرت.

إن تنفيـذ المشاريع الأثيوبية سيلحق ضرراً كبيراً بالحياة البشرية والاقتصاديــة بمصر، وقــد أعلن وزير الحربية المصري الأسبق، أبو غزالـة "إن أي مساس بجريان النيل معنــاه الحرب". وقال بسيوني سفير مصر السابق معلقاً على المشاريع الأثيوبيــة: "إن أثيوبيا تقع في حزام الأمن الاستراتيجي لمصر. إن قيـام أيــة دولة من دول حوض النيل يعمل من شأنه تهديد حصة مصر من

---

(1) حسان الشوبكي، مرجع سابق، ص34-35.

المياه، وهذا سيفرض على العسكرية المصرية أن توسع تعريفها للأمن القومي المصري، بحيث يشمل دولاً أخرى يمكنها، من خلال التأثير على مياه النيل، التأثير على المصالح الحيوية والقومية لمصر".

ومهما كانت درجة خطورة هذا القول، فإن الجوهر الذي لا خلاف عليه هو الوجود الفعلي لأزمة مائية آخذة بالتزايد، وبإمكانها ترك آثار مدمرة على المجتمع بأسره، ولعل هذا الخطر الشديد الذي يمكن أن يحكم مستقبل مصر ومستقبل بلدان عربية أخرى هو الذي يفسر التنسيق الشديد بين إسرائيل وأمريكا في مجال التكنولوجيا المائية، والذي هو استمرار للتنسيق السياسي والعسكري بينهما.

ب- السودان: يتضاعف الطلب على المياه في السودان، وذلك بسبب تزايد أعداد السكان واتساع المساحات المروية وارتفاع مستوى المعيشة واستغلال المياه في الصناعة.

ففي عام 1960 بلغت مساحة الأراضي المروية في السودان 800.000 هكتار، وبلغ عدد السكان 12 مليون نسمة، وفي عام 1978 بلغت المساحة المروية من الأراضي السودانية 1.900.000هكتار، بينما وصل عدد السكان إلى 17 مليون نسمة، ويقدر استهلاك السودان الحالي من مصادر المياه وذلك بعد تنفيذ مشاريع الري الحالية، بـ 19 مليار م^3، وسيحتاج السودان إلى 11 مليارم^3 أخرى من المياه، بعد تنفيذ مشاريع الري المقترحة. وإذا علمنا أن حصة السودان من وادي النيل، هي 18.5 مليار م^3 ومع كافة فروعه وروافده هي 20.35 مليار م^3 من المياه سنوياً.

ب- الموارد المائية السطحية في أقطار المشرق العربي: وتضم، العراق وسوريا ولبنان والأردن واليمن. وفي سياق هذه الموارد سنولي مياه نهر الفرات والمياه الشامية شيئاً من الحديث.

أ- نهر الفرات والمخاطر المترتبة على شح مياهه وانعكاساتها:

أ- نهر الفرات: يبلغ طول نهر الفرات (2900) كم، ويمر بثلاثة دول حيث يبدأ من شمال تركيا ويبلغ طوله في العراق (1200) كم وهي دولة المصب وفي سوريا (675) كم وقد ترتب على مروره بهذه الدول الثلاث أن لكل منها حقوقاً طبيعية في مياه النهر إلا أن العراق يعتبر المستفيد الأكبر لطول مجراه في أراضيه[1]، وتبلغ كمية تصريف النهر (31830) مليون م^3[2].

لقد قامت عدة مشاريع مائية على نهر الفرات للدول الثلاث: تركية وسورية وعراقية، الأمر الذي أدى إلى بروز مشكلة مائية نتيجة زيادة الخطط المستقبلية لهذه الدول الرامية لاستغلال مياه النهر، سواء بإنشاء سدود أو محطات كهرمائية، وهذا بطبيعة الحال يفوق الإمكانيات الطبيعية للنهر، من هنا فإن أي استخدام من جانب دولة لمياه النهر دون تنسيق مع الدول الأخرى يؤدي إلى التأثير على حصصها[3].

إن لمياه نهر الفرات أهمية كبيرة تعود إلى عوامل منها[4]:

- إنها مياه دولية، وهي صفة تطلق في القانون الدولي على الأنهار التي تتجاوز إقليم الدولة، التي تنبع منها إلى غيرها من الدول مما ينزع عنها صفة (النهر الوطني)، وهذا يعطي كلاً من العراق وسوريا حق الانتفاع بمياهه.
- إنه نهر ذو تصريف مائي مرتفع فهو بذلك يشكل (80%) من مجمل الموارد المائية السورية، و (38%) من مجمل الموارد المائية العراقية، ونسبة عالية من مجمل الموارد المائية التركية.

---

(1) آمال سعد متولي، مرجع سابق، ص90.

(2) حسان الشويكي، مرجع سابق، ص36.

(3) آمال سعد متولي، مرجع سابق، ص90.

(4) نبيل خليفة، مياه الشرق الأوسط وحروب العقد القادم، مجلة الوحدة، الرباط، العدد (76)، 1991، ص44-45.

- إن نسبة انحدار النهر معقولة، وهذا يجعل الاستفادة من تصريف مياهه أكثر، حيث تشكل ما نسبته (33.3%) في حين درجة الاستفادة من شقيقه نهر دجلة لا تشكل إلا (25%).

ب- المخاطر السياسية المترتبة على شح مياه الفرات:

إن هناك مخاطر سياسية محتملة تحف بمياه نهر الفرات وتتمثل بما يلي:

1- التوسع التركي بإقامة السدود على مجري النهر، وهذا أدى إلى انخفاض كمية التصريف إلى 23 مليار م3 من أصل كمية التصريف الكلية والبالغة (31830) مليار م3 ويتوقع أن تصل كمية التصريف انخفاضاً إلى 13 مليار م3 وبهذا تكون تركيا قد حصلت على أكثر من 400% من حصتها من مياه الفرات[1].

2- ربط تدفق مياه نهر الفرات بالمشكلات السياسية في منطقة الحوض، وهذا يتضح من قول (تورجوت أوزال) الرئيس التركي عام 1989 الذي جاء فيه: "إن تركيا قد تمنع مياه الفرات عن سوريا إذا لم توقف دمشق نشاط الأتراك الذين يطالبون بالاستقلال في جنوب شرق العراق"[2].

3- التحالف الاستراتيجي التركي - اليهودي شكل كعامل ضغط على تركيا، لخلق حالة ضعف في الوطن العربي جوهرها المياه، وهذا في حد ذاته يعد مكسباً سياسياً اقتصادياً اجتماعياً لصالح اليهود.

4- من العوامل الأخرى التي دفعت تركيا للعب بورقة المياه، بالإضافة إلى التحالف مع اليهود، الهيمنة الأمريكية على المنطقة، وحب التقرب من الجماعة الأوروبية، وذلك من أجل إبقاء المنطقة العربية حائرة تعبة، وهذا ما يفسح المجال للقوى الخارجية في

---

(1) حسان الشويكي، مرجع سابق، ص36.

(2) خالد السرجاني، تركيا، العرب، صراعات العقد المقبل، مجلة المنار، العدد (62)، 1990، ص16.

التمكن من نهب خيراتها وإبقائها منطقة مصالح للآخرين، وهذا من أهم أهداف أعداء العرب.

جـ - انعكاسات المشاريع التركية على سورية والعراق[1]:

حاولت تركيا إقناع الرأي العام العالمي والعربي بأن مشاريعها المائية على نهر الفرات لن تؤثر على جارتيها العراق وسورية.

ولو نظرنا إلى الانعكاسات الاقتصادية للمشاريع التركية على نهر الفرات لوجدنا أنها تهدد 3/2 مجموع الأراضي المروية في سوريا التي تعتمد على مياه الفرات، وهي مصدر أساسي لزراعة القطن، والشمندر السكري والحبوب. كما أن هذه المشاريع تزيد من أزمة المياه التي أخذت بالظهور في سورية في السنوات الأخيرة، بسبب موجات الجفاف وتزايد الطلب على مياه الشرب والصناعة والزراعة.

ويتوقع أن تعاني سورية من عجز مائي يقدر بـ 1000 مليون م^3، وتقدر واردات المياه في سوريا حسب مصادرها على النحور التالي:

مياه أمطار 45825 مليون م^3، مياه الأنهار 33005 مليون متر مكعب (هنالك مصادر أخرى تقدرها بـ 224200 مليون م^3)، مياه جوفية 2069 مليون م^3، الينابيع 3868 مليون م^3.

وتتوزع المياه الجوفية في سورية على الأحواض التالية: حوض دمشق، حوض العاصي، حوض الساحل، حوض حلب، حوض اليرموك، حوض البادية.

أما بالنسبة لانعكاسات قطع المياه على الاقتصاد العراقي، فقد ألحقت ضرراً كبيراً بالاقتصاد، وأثر الإجراء التركي على 1.5 مليون مزارع عراقي، ويؤدي قطع المياه إلى إلحاق ضرر بمحاصيل الأرز والقمح.

---

(1) حسان الشويكي، مرجع سابق، ص37.

وإزاء رفض تركيا الاستجابة لمطالب العراق لتخفيض مدة قطع مياه النهر من أربعة أسابيع إلى أسبوعين، اضطرت السلطات العراقية إلى دفع كميات من مياه الحبانية إلى نهر الفرات للحيلولة دون انقطاع المياه نهائياً في مجرى النهر، ومن المعروف أن العراق يعتمد إلى حد كبير جداً، على نهري دجلة والفرات، في مجال الري والصناعة والإسكان، ومن أهم المشاريع المائية المقامة على نهري الفرات ودجلة في العراق سد الهندسية وسد الرمادي وسد سامراء.

وعندما كانت سوريا والعراق تطالبان بالتوصل إلى اتفاق حول تقاسم المياه مع تركيا، عملاً بالمواثيق الدولية ومن ضمنها معاهدة هلسنكي الموقعة عام 1973 بشان مياه الأنهار الدولية، ومقررات مؤتمر الأرجنتين لعام 1977 حول الموارد المائية، كانت تركيا تطلب من العراق إدخال واردات المياه من نهر دجلة في الحسبان واعتبار نهري دجلة والفرات حوضاً واحداً، وطالبت تركيا سورية بجدولة حاجاتها المائية وإدخال واردات المياه من نهر العاصي ضمن حسابات تقاسم المياه بين الطرفين.

ومع أن مجرد انعقاد اجتماع ثلاثي على مستوى وزاري للمرة الأولى منذ سنة 1984 يعتبر بحد ذاته حدثاً مهماً، فإن إيجابيات اللقاء لم تتعد كما يبدو الأهمية السياسية لعودة المباحثات على هذا المستوى الراهن، أن تركيا مستمرة في تصلبها إزاء موضوع تقاسم المياه، وحجم التدفقات التي يجب أن تسمح بانسيابها جنوباً، وعلى الرغم من البيان المقتضب الصادر عن الاجتماع، والقاضي بتكليف لجنة خاصة مشتركة لبحث طرق استخدام مياه الفرات، إلا أن المصادر التركية كانت حريصة على القول إن تقدم المباحثات كان بطيئاً وسيأخذ وقتاً.

2- الميـــاه الشامية: تتعدد الوحدات السياسية في بلاد الشام، وتتعدد الأنهار العربية فيهـا، ويختلف الموقف بالنسبة لأنهار هذه المنطقـة عنه بالنسبة لكـل من نهري الفرات والنيل اللذين تقع منابعهما في دول الجوار للوطن

العربي، وأما عن الوحدات السياسية في المنطقة هي: سورية ولبنان وفلسطين والأردن، والانهار العربية هي: نهر الأردن واليرموك والوزان والحاصباني بالإضافة إلى مصادر المياه الجوفية ومنابع المياه في الضفة الغربية وجنوب لبنان وجبل الشيخ (الجولان) وبحيرة طبريا والحولة التي تم تجفيفها من قبل سلطات الكيان الصهيوني[1].

إن الوضع المائي في البلاد الشامية مهدداً تهديداً خطيراً وذلك بسبب الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين، وطمعه في الاستحواذ على كل المياه الشامية خاصة، والعربية عامة، فهذا حاييم وايزمن في رسالته إلى لويد جورج - رئس وزراء بريطانيا يقول: "إن مستقبل فلسطين الاقتصادي كله يعتمد على موارد المياه للري والقوى الكهربائية، ويشمل موارد المياه بصورة رئيسية من منحدرات جبل حرمون ومنابع نهر الأردن ونهر الليطاني"[2] وهذا (بن جوريون) رئيس وزراء في الكيان الصهيوني، يقول: "علينا أن نذكر أنه من أجل مقدرة الدولة اليهودية على البقاء لابد أن تكون مياه الأردن والليطاني داخل حدودنا"[3].

وانطلاقاً من الفكر المائي الصهيوني، فقد عملت سلطات الكيان الصهيوني على سرقة المياه الشامية، بعد أن حددت معركتها مع العرب، بأنها معركة المياه وعلى نتيجة هذه المعركة يتوقف مصير كيانها الغاصب في فلسطين[4]، لذا فالاستراتيجية الصهيونية الاستيطانية تركزت على سرقة المياه العربية وتنفيذاً لهذه الاستراتيجية فقد قامت سلطات الاغتصاب بما يلي:

أ- **سرقـة مياه نهر الأردن:** فكر الكيان الصهيوني منذ عام 1953

---

(1) آمال سعد متولي، مرجع سابق، ص93.

(2) التقرير الاستراتيجي العربي، 1988، مرجع سابق، ص436، كذلك انظر - فرج بن لامة، المياه في السوقية الصهيونية، العدد (76)، 1991، ص75.

(3) المرجع السابق، ص437، فرج بن لامة، مرجع سابق، ص75.

(4) هاني الشواكبة، لبنان في الاستراتيجية الإسرائيلية، اليقظة العربية، أيلوب عام 1989، ص26.

بتحويل مجرى نهر الأردن، وبدأ بالمشروع بالفعل في بداية الستينات وعقـدت قمة عربية عام 1964 من أجل إفشال ما فكرت به السلطات الصهيونية[1]، فقرر المؤتمر تحويل، روافد نهر الأردن، وقرر أيضاً تحويل مياه الحاصباني إلى حوض الليطاني، وإنشاء ما يلزم لاستثمار ينابيع الوزاني وبانياس، وإنشاء سد المخيبة (سد خالد بن الوليد) في الأردن على نهر اليرموك، لاقتسام المياه بين الأردن وسورية وتوليد طاقة كهربائية منه، وتعلية قناة الغور الشرقية لمضاعفة تصريفها (10-20)م^3 في الثانية[2]، إلا أن عدوان 1967 أطاح بكل ما خطط له العرب في مؤتمرهم، وقد أسفر العدوان عن احتلال الضفة الغربية وجنوب لبنان والجولان وسينا، وفيما بعد احتلال جنوب لبنان، فخلق بذلك وضعاً جديداً يتعلق بالمياه والاستحواذ على مصادرها وخاصة مياه نهر الليطاني، وهي من أهم التطلعات اليهودية والتي قال فيها بن جوريون: "إن أمنيتي في المستقبل جعل الليطاني حدود إسرائيل الشمالية"[3].

إن عدوان 1967 أسفر عن استحالة تحويل مجرى نهر الأردن بعد احتلال هضبة الجولان، كما أسفر عن تحكم الكيان الصهيوني في نهر اليرموك وتوقف العمل بسد خالد بن الوليد، وأصبح الكيان الصهيوني يتحكم بمواقف الدول العربية، وتم تحويل مجرى نهر الأردن عبر مرج بن عامر وأصبحت مياهه تتدفق نحو النقب المحتل، وبذلك حرم الأردن من محصول زراعي في الأغوار، وكذلك لم يكن بمقدوره استصلاح أراضٍ أخرى، وأدى شح المياه إلى زيادة الفجوة ما بين الاستهلاك والإنتاج وارتفاع فاتورة الاستيراد من المواد الغذائية وخصوصاً القمح، وكذلك ارتفعت فاتورة استهلاك الطاقة نتيجة حرمان الأردن من توليد الطاقة على مياه نهر الأردن المتدفقة فيما لو استحسن استغلالها بالطرق الحديثة.

---

(1) آمال سعد متولي، مرجع سابق، ص93.

(2) جان الكسان، الثروة المائية، الوحدة، العدد (76) 1991، ص120.

(3) فرج بن لامة، مرجع سابق، ص75.

ب- سرقة مياه فلسطين: المعروف أن فلسطين ليست غنية بالمياه، من هنا فإن المهاجرين اليهود كانوا يتوجهون وفقاً لتخطيط مسبق إلى الأراضي القريبة من مصادر مياه نهر الأردن وبحيرة طبريا ومنطقة بيسان حيث كانت الخطط الصهيونية تتوجه إلى الاستيلاء على الأراضي هناك واستملاكها فيما بعد[1].

وبعد احتلال 1967 قامت السلطات الصهيونية بسرقة المياه الجوفية في فلسطين، فقد عملت على فرض رقابة على حفر الآبار من قبل العرب، وحددت كميات الاستهلاك، وزادت عمليات الاستيطان الصهيوني في المناطق العربية، وحفرت المزيد من الآبار في الأراضي المحتلة وسحبت مياهها إلى داخل المنطقة المحتلة عام 1948[2].

جـ- أهمية جنوب لبنان: ترتكز الاستراتيجية الصهيونية في نظرتها للجنوب اللبناني كجزء من المجال الحيوي للدولة، وهذه الاستراتيجية قوامها ثلاثة أمور هي[3]:

1- وجود منابع نهر الأردن ومجرى نهر الليطاني ومصبه في تلك المنطقة، وسهولة الدفاع عن الكيان الصهيوني بتوفر الموانع الطبيعية.

2- الأهمية العسكرية والاستراتيجية لهذه المنطقة بالنسبة للدولة الصهيونية.

3- التوسع السكاني الصهيوني وصلاحية الأرض اللبنانية من ناحية خصوبتها وطبيعتها وحيازة مساحة جغرافية واسعة للتوسع.

وعملاً بموجب هذه الاستراتيجية قامت سلطات الكيان الصهيوني عام 1978 بعملية الليطاني فغزت لبنان، وأضافت عام 1980 اغتصاباً جديداً فاغتضبت مياه نهر الوزان وغيرت معالم الأرض في محيط النهر

---

(1) جان الكسان، مرجع سابق، ص120.

(2) آمال سعد متولي، مرجع سابق، ص94.

(3) صالح زهر الدين، مياه الجنوب والأمن القومي الصهيوني، مجلة الوحدة، العدد (76)، 1991، ص81.

د- أهمية الجـــــولان السورية: إن احتلال هضبة الجولان يعني ضمان السيطرة على جميع منابع نهر الأردن والليطاني والحصباني، وبذلك ستتمسك السلطات الصهيونية بالهضبة وفي أية تسوية مقبلة ستكون الهضبة موضع مساومة، وأية نية للانسحاب يجب أن تكون ضمن شروط قاسية للجانب العربي[(1)].

إن سرقة المياه العربية له ما يُسوّفه في الفكر الصهيوني، لكون استهلاك المواطن اليهودي للمياه يفوق خمس مرات عن المواطن العربي، وبالتالي سيصل العجز المائي الصهيوني عام 2000 إلى 8 مليار م^3، وهذا يفرض على السلطات تأمين حاجتها من المياه[(2)]، إن تأمين هذا سيكون من موارد العرب وعلى حسابها، والتي هي في الأصل لا تكفي حاجاتهم، فالميزان المائي العربي في الأصل مصاب بالخلل[(3)]، وللوقوف على حال هذا الميزان انظر الجدول التالي[(4)].

---

(1) آمال سعد متولي، مرجع سابق، ص94.

(2) التقرير الاستراتيجي، مرجع سابق، ص435.

(3) يقصد بالميزان المائي هو الفرق بين كمية المياه المتوفرة وكمية المياه المستهلكة، فإذا كانت كمية المياه المستهلكة أكبر من كمية المياه المتوافرة يسمى ذلك (العجز المائي)، وإذا كانت كمية المياه المتوافرة أكثر من كمية المياه المستهلكة يسمى ذلك الفائض المائي.

(4) سعود شواقفة ورفقاه، جغرافية الوطن العربي: قضايا مختارة من البيئة والموارد، عمان: المطابع المركزية، 1995، ص59.

الموازنة المائية في الوطن العربي عام 1985 والمقدرة لعام 2030 م

الموارد المائية في الوطن العربي	استهلاك عام 1985 م مقدراً بالمليار $م^3$	الاستهلاك عام 2030م مقدراً بالمليار $م^3$
مياه سطحية	140	207
مياه جوفية	20	42
مياه أخرى	10	-
المجموع	170	249
زيادة الطلب على المياه		
الشرب	7	35
الصناعة	1	22
الزارعة	296	377
المجموع	304	434
عجز	134-	185-

وخلاصة القول ونحن نتحدث عن الأمن العربي، إن هذا الأمن مخترقٌ لسبب الموقع، وقد أشرنا إليه في المقدمة وكذلك لأسباب من عمل الإنسان ويتمثل بالسرقة المائية التي تقوم بها سلطات الاحتلال الصهيوني في فلسطين، وإن هذا له تأثيرات سلبية كبيرة على العالم العربي في ظل ما سبق منها:

1- عجز العالم العربي عن توفير المياه للشرب والزراعة والصناعة.

2- عجز العالم العربي عن توفير رغيف الخبر.

3- عجز العالم العربي عن توفير الطاقة الكهرمائية التي تتولد عادة من مجرى الأنهار.

4- ارتفاع فاتورة الاستهلاك الغذائي، وربما تضاف إليها فاتورة الاستهلاك المائي.

5- إن هذا الأمر يجعل العالم العربي عالة يتسول في أسواق الغرب الغني.

المبحث الرابع

الأمن الغذائي العربي

لقد أصبح الأمن الغذائي على المستوى العالمي بصورة عامة، والمستوى الإقليمي بصورة خاصة من أهم المشكلات التي تواجه العالم، فقد شهد العالم في مناطق متعددة نقصاً كبيراً في إنتاج المواد الغذائية، وهذا النقص سبب الكثير من المجاعات، كما حصل في أوائل السبعينات في عدة بلدان إفريقية. ولعل السمة السائدة في عالمنا اليوم هو اختلال التوازن بين احتياجات السكان من المواد الغذائية في كثير من البلدان، وبين مقدرة تلك البلدان على إنتاج ما يسد تلك الاحتياجات، ولذلك أصبح الإنجاز بالمواد الغذائية من أهم ركائز الاقتصاد العالمي بعد أن كان الاتجار بالمواد الصناعية مطمح كل بلد.

1- تعريف الأمن الغذائي:

وقد تطور مفهوم الأمن الغذائي مع تطور اختلال التوازن بين الإنتاج الوطني من المواد الغذائية لبلدٍ ما، واحتياجات السكان في ذلك البلد من تلك المواد، فقد بدأت البلدان التي ينقصها الغذاء في استيراده من الخارج، إذا كان لديها المال، كما تتلقى العديد من البلدان العاجزة عن إنتاج ما يكفيها من الغذاء مساعدات في صورة مواد غذائية من البلدان المنتجة لتلك المواد بمقادير وافرة. حيث بدأت قطاعات كبيرة من المجتمع الإنساني تعاني من نقص في نوع المواد الغذائية التي تتناولها، أو نقص في كمية تلك المواد، وانتشرت بذلك ظاهرة الجوع في أنحاء متعددة من هذا العالم، ومن هنا بدأ مفهوم الأمن الغذائي يتبلور، فهو يعني على المستوى العالمي توافر المواد الغذائية اللازمة لتغذية سكان العالم بشكل يلبي الاحتياجات الضرورية لنمو الإنسان وبقائه في حالة صحية جيدة، وهو يعني على المستوى الإقليمي أو الوطني

مقدرة البلدان أو البلد على تأمين المواد الغذائية الضرورية لسكانها[1].

هذا ويمكن القول في الأمن الغذائي بأنه: "ضمان توفير الغذاء الأساسي لكل فرد بالكميات التي يحتاج إليها، وفي كل الأوقات، وتمكينه من تحقيق ذلك، سواء من الناحية الاقتصادية أو من ناحية توفير الغذاء"، كما ويعرف بأنه: "مقدرة البلد على تأمين الغذاء لسكانه بمواصفات تحدد الكم والنوع والتوزيع لجميع فئات العمر والجنس وتتفق مع الحالة الاجتماعية والاقتصادية"[2]، وأما الاكتفاء الذاتي فيعرف هو الآخر بأنه: "أن ينتج البلد معتمداً على إمكاناته الذاتية ما يكفي لتغذية سكانه"[3]، ويرتبط بالأمن الغذائي ثلاثة أهداف هي:

1- كفاية الإمدادات.

2- استقرار الأسواق، وتوفير الإمدادات بشكل مستمر.

3- ضمان حرية الوصول إلى السلع[4].

هذا هو مفهوم الأمن الغذائي في أبسط صوره، ولكن هذا المفهوم قد تطور في عالم اليوم الذي تسوده الصراعات السياسية والاقتصادية، فقد أصبح الغذاء أحد الأسلحة المستعملة في الصراعات الدولية. فالبلد الذي لا ينتج ما يكفيه من المواد الغذائية، ولا يستطيع تأمين ما ينقصه من تلك المواد تهتز إرادته السياسية، إذ أصبحت أسعار الغذاء في السوق العالمي اليوم من نوعين: سعر اقتصادي أو مالي يدفعه المشتري من موارده الوطنية، وسعر سياسي يدفعه المشتري نفسه بما لديه من إرادة أو استقلال، وأما التطور الآخر في مفهوم الأمن الغذائي فهو مدى توافر مخزون المواد الغذائية الأساسية، فيستطيع البلد اللجوء إليه في حالة حدوث كوارث طبيعية،

---

(1) سعود شواقفة وفؤاد الهزايمة، دراسات في جغرافية الوطن العربي، عمان، دار عمار، 1991، ص 161.

(2) سعود شواقفة ورفقاه، جغرافية الوطن العربي، مرجع سابق، ص139.

(3) المرجع السابق.

(4) أحمد علي دلاشة، مرجع سابق، ص43.

أو في حالة تعذر حصول تلك البلد على المواد الغذائية التي تنقصه عن طريق استيرادها من الخارج[1].

2- المشكلة الغذائية في الوطن العربي:

تبرز في الوقت الحاضر مشكلة الأمن الغذائي العربي، وتزداد هذه المشكلة تعقيداً وتشعباً مع ازدياد حاجة الوطن العربي إلى استيراد الحبوب، وبعض المواد الغذائية الأخرى من الدول الغربية وعلى الأخص الولايات المتحدة وكندا وأستراليا التي تملك الفائض الغذائي العالمي.

وقد تفاقمت أزمة الغذاء، وتعمقت مشكلتها خلال فترة ظهور أزمة الغذاء العالمية التي بدأت طلائعها بالظهور منذ عام 1972، حيث أدى سوء الأحوال الجوي إلى انخفاض الإنتاج العالمي للأغذية، وقد تفاعل هبوط الإنتاج مع انخفاض المخزون العالمي بسبب السياسات المعتمدة للدول الكبرى المنتجة للمواد الغذائية، لا سيما الولايات المتحدة الأمريكية، فزادت من حدة الأزمة. فضلاً عن الطلب المتزايد على الغذاء بسبب زيادة السكان وارتفاع الدخل الفردي حيث أدى إلى تغيير نمط الاستهلاك الغذائي في الدول المتقدمة، وارتفاع حاد في الأسعار، مما أثار المصاعب والمشاكل الاقتصادية للدول النامية، ومما ساعد على قيام هذه المشكلة احتكار المواد الغذائية ورفع أسعارها بهدف زيادة أرباحها من قبل الدول الرأسمالية وتعود مشكلة الأمن الغذائي العربي إلى الأسباب التالية[2]:

- سوء استغلال قطاع الإنتاج الزراعي في الوطن العربي لموارده الأرضية المتاحة.

- تخلف الأساليب والأدوات المستخدمة في الإنتاج.

- قلة استخدام المخصبات والأسمدة الكيماوية.

---

(1) سعود شواقفة وفؤاد الهزايمة، مرجع سابق، ص163.

(2) المرجع السابق، ص163.

- عدم اتباع دورات زراعية ملائمة.

- نقص في مشاريع التخزين والري والصرف والاعتماد على الأمطار.

- نظام الزراعة التقليدي الذي يترك جزءاً من الأراضي دون زراعة.

- قلة الأجهزة الإرشادية.

- عدم توفر النظم التمويلية والتسويقية السليمة بالدرجة الكافية، التي يمكن بواسطتها دفع عجلة الإنتاج قدماً، عن طريق توفير المحسن والجديد من عناصر الإنتاج.

- عدم وجود مشروعات مشتركة للأمن الغذائي العربي.

- عدم وجود استيراد منظم ومدروس على أساس جماعي.

- معاناة الفلاح العربي من الفقر والجهل.

- الزيادة السكانية الهائلة خلال العشرين سنة الماضية في الوطن العربي، يقابلها تخلف الإنتاج الغذائي بالنسبة إلى معدلات نمو السكان.

- تزايد دخل الفرد في معظم البلدان العربية عاماً بعد عام، حيث أدى ذلك إلى الإفراط في الاستهلاك، وخصوصاً المواد المستوردة.

ونظراً لما يحتله الأمن الغذائي العربي من أهمية كبرى، فيتحتم على الوطن العربي الزاخر بإمكاناته، الزراعية وثرواته الحيوانية أن يعمل على إستثمار تلك الإمكانات لسد الفجوة الغذائية، عن طريق زيادة إنتاج السلع الغذائية الأساسية المكونة لهذه الفجوة، خاصة القمح والسكر والمنتجات الحيوانية والزيوت النباتية.

3- مشكلات الزراعة والأمن الغذائي العربي:

إن البحث في مشكلات الزراعة والأمن الغذائي العربي يقودنا إلى الحديث عن مشكلات العاملين في هذا القطاع، وبذلك يبرز لدينا الكم الهائل من المشكلات، وهي بحاجة لدراسة ومعالجة وأخص من المشكلات ما

يلي[1]:

1- الحصة الزهيدة التي يحصل عليها الفلاح من الناتج الزراعي.

2- كثرة الضرائب والرسوم.

3- خضوعه لمشيئة كبار الملاك ورأسمالية وشيوخ العشائر وعجزه عن الهروب من سيطرة هذه الطبقات.

4- خطط الطرق المتبعة في الزراعة، وربما مرد ذلك تخلف الفلاح الفكري.

5- سوء الحالة الصحية بسبب الغذاء والسكن.

6- سيطرة الأفكار والتقاليد والعادات القديمة على حياة الفلاح اليومية.

7- سيطرة الأمية والتي تمثل العامل الأساسي في تكريس هذا الواقع.

4- التبعية الغذائية العربية للأسواق العالمية:

مجموعة المشاكل السالفة تجعل الفلاح العربي يعيش في أزمة حقيقية، تنعكس بدورها على القضية الزراعية، فيكون الناتج أزمة أيضاً، وهذه الأزمة تبرز في صورة تبعية غذائية للوطن العربي للأسواق الخارجية، ويمكن توضيح الصورة بالأرقام الخاصة بحجم التبعية العامة للوطن العربي، فالتبعية الغذائية تتضح من خلال الأرقام العالية التي يدفعها العرب يومياً ثمناً للأغذية المستوردة، حيث تبلغ (37) مليون دولار يومياً، وقد أشارت بعض الدراسات أن الاحتياج اليومي للوطن العربي يزيد عن (268) ألف طن من المواد الغذائية، وإن إنتاج الوطن العربي يقدر بحوالي (75%) من مجمل الإنتاج، والباقي يستورد من الخارج، وقد استهلك الوطن العربي عام 1980 حوالي (20) مليون طن من القمح، منها (55%) مستورد، كما استورد الوطن العربي عام 1990 حوالي (38) مليون طن من المواد الغذائية،

(1) علي نوح، مشكلات الزراعة والإنتاج الزراعي وعلاقتها بالأمن القومي العربي، مجلة الوحدة، العدد (84)، 1991، ص87.

قدرت قيمتها بـ (8)مليار دولار، وفي عام 2000 ستصل الكمية المستوردة من المواد الغذائية إلى حوالي 83 مليون طن، بقيمة إجمالية قدرها (17) مليار دولار، وذلك وفق الأسعار الجارية، وإذا زادت نسبة الأسعار بنسبة (10%) في العام، فإن فاتورة القمح المستورد ستصبح بحدود (42) مليار دولار في عام (2000)م[1].

إن ما يقلل من شأن هذه التبعية هو رفع المستوى المتدني للتقنيات المستعملة في الإنتاج من حيث الكم والنوع، لكون هذه المستويات متدنية فعلاً إذا ما قيست بالمعدلات في البلدان التي تتمتع بمستويات عالية من الإنتاجية، وأهم من ذلك تفاوت عدد المزارعين الذين يستعملون التقنيات من محصول إلى آخر، ومن بلد إلى آخر، ورفع كفاءة استعمالات المياه ومصادرها، وعدم توسيع العمران على حساب الأراضي الزراعية وهذا يؤدي إلى تقليص مساحاتها مما يؤدي إلى تفاقم المشكلة ويزيد من حدتها، والعمل على التنوع في زراعة المحاصيل، وعدم الاعتماد على محصول واحد بعينه، وكذلك العمل على توطين رأس المال العربي وتوظيفه لصالح المشاريع الزراعية العربية.

وأخيراً: فإن مشكلة الغذاء إحدى أبرز مظاهر الأزمة الاقتصادية في الوطن العربي، وعلامة من علامات فشل السياسات الاقتصادية والتنموية العربية، وقد بدأت المشكلة في الاستفحال، غداة حصول الأقطار العربية على استقلالها السياسي، حيث انخرطت في سياسات زراعية تنموية صناعية مختلة، أدت بالتدرج إلى عدم الاكتفاء الذاتي في مجال الغذاء، إن تجاوز هذا العجز يتطلب التفكير الجدي في مطلب التكامل الاقتصادي العربي، من أجل تحسين الواقع الغذائي العربي، الذي أصبح اليوم يتطلب معالجات عقلانية لأنها تمس العيش اليومي لفئات واسعة من السكان.

---

(1) صحيفة الدستور الأردنية، الصادرة بتاريخ (27) تشرين الثاني، 1992.

المبحث الخامس

الحدود

تبلورت فكرة الحدود لدى الإنسان منذ زمن بعيد، وظهرت إلى حيز الوجود حين عرفت المجتمعات الإنسانية فنون الزراعة، وما يتمخض عنها من صناعات وتجارة، حيث فرض تعاطي الزراعة والعمل بها على تلك المجتمعات، الإقامة الثابتة الطويلة في مكان العمل، وهذا يعني أن الحدود بشكل عام وليدة ظهور حاجة الإنسان إلى التملك والحيازة وارتبطت بها ارتباطاً لا تنفصم عراه، فالتملك والحيازة فردياً كان أم جماعياً أوجد الحاجة إلى حدود أو فواصل من صنع الإنسان، تميز الملكيات عن بعضها وتحددها. إذ بدت المجتمعات في تلك الأيام تشعر بأن حقوقها وسلطانها له مجال أرضي محدد لا يجوز أن تتعداه، وهذا المجال يخضع لسلطانها تمارس حقوقها فيه وتعتبره حقاً خالصاً من حقوقها، لا يجوز للآخرين التعدي عليه، لذلك كان أي خرق من قبل أي طرف خارجي يقود إلى الخصام والاقتتال، من هنا نشأت مسألة الصراعات الحدودية سواء كانت هذه الصراعات تبدأ بالشعارات أو بالاقتتال الفردي أو بالاقتتال المنظم كما هو معهود لدى الدول الحديثة اليوم.

إن الصراعات الحدودية ظاهرة دولية بمعنى لا تقتصر على دولة دون أخرى أو دول إقليم دون إقليم أخر، ولا تقتصر على دول الجنوب وتتعافى منها دول الشمال، بل الأسرة الدولية جميعاً قد تنتابها مثل هذه الصراعات، نتيجة غريزة الاستحواذ على ملك الآخرين فطرية في نفسية الإنسان.

وعلينا أن نعرف الحدود وبيان وظائفها وأنواعها وطبيعة الحدود العربية وعلى النحو التالي:

أولاً: تعريف الحدود.

قبل الحديث عن الحدود وتعريفها علينا أن نفرق بين الحدود والتخوم، فهناك فوارق بينهما وتعتبران مادة هامة تدرس في الجغرافيا السياسية، فالتخوم عبارة عن مساحات من الأرض بين الدول، في حين أن الحدود خطوط مرسومة على الأرض، والتخوم طبيعية لأنها أجزاء من سطح الأرض، والحدود من صنع الإنسان، والتخوم لا يمكن تحريكها أو زحزحتها لأنها قد تفقد بعض الخصائص التي أعطتها صفة التخوم، ولكنها تظل في موضعها على عكس الحدود التي تتغير وتتبدل ولا تظل على حال، وخاصة في مناطق الصدام[1].

إن الدول الحديثة لابد لها من حدود لا تخوم، لكون الحدود تبين المدى الذي تمارس فيه الدولة سيادتها، بل واللغة التي سيتكلمها الملايين، والأفكار التي ستلقن للناشئة، والكتب والصحف التي سيتمكن السكان من قراءتها، والعملة التي سيستعملونها، والجيش الذي سينتمون إليه، والأرض الذي سيدافعون عنها، أي أن الحدود تعتبر الفاصل بين سيادة دولة وأخرى، فهي ذلك الخط المحدد الذي تتقابل عنده سيادتان[2]. إذن الحدود تعني الخطوط التي تحدد كيان الدولة وإقليمها الأرضي وتحدد مساحتها الأرضية أو المائية حيث تباشر الدولة سيادتها، فالحدود موضع جغرافي تلتقي عنده قوى دولتين، وينتهي عند هذه الحدود نفوذ كل دولة وقوانينها.

---

(1) أحمد علي دلاشة، مشكلات معاصرة، عمان: مكتبة النهضة الإسلامية، 1985، ص153.

(2) محمد عبد الغني سعودي، الجغرافيا والمشكلات الدولية - القاهرة، د. ت، 1976، ص143- انظر أيضاً - فليب رفله، الحدود الدولية ومشكلاتها السياسية، المجلة الجغرافية، عدد (3)، 1970، 74-75.

ثانياً: وظائف الحدود:

هنـاك وظائف عدة تقدمها الحدود لبنى الإنسان وخاصة بعد أن عـــــرف هذا الإنسان الدولة الحديثة وهذه الوظائف هي[1]:

1- تحديد نوعية الأفكار والصحف والجماعات والمنتجات التي تريدها الدولة لتنشر داخل تلك الحدود، وتمنع من انتشار غيرها من أفكار وصحف، ومنع تسلل جماعات غريبة إلى داخلها، وأدوات المنع الجيش، المرابط هنا وهناك بالقرب منها للدفاع عنها.

2- تنظيم انتقال الأفراد سواء أكان هذا الانتقال للمهاجرين أو رجال الأعمال والمزارعين، ولذلك ظهرت تصاريح المرور وجوازات السفر في الحرب العالمية الأولى، وانتشرت فأعاقت انتقال الإنسان عبر ما سماه الحدود.

3- تنظيم الاتصال الدولي سواء للمصالح المشتركة عبر نهر من الأنهر، واستخدام مياهه أو الكهرباء المتولدة منه، أو تنظيم الصيد في المياه الإقليمية.

4- تمنع اختلاط الملكية والسيادة بين الدول المتجاورة، فتقلل نزعات الحدود، لكون تلك الخطوط تعتبر مرجعية لكلا الدولتين.

ثالثاً: أنواع الحدود

يجب أن نعلم أن الحدود ليست من نوع واحد، ولا تقع في قائمة تقسيم واحدة، نظراً لطبيعة الأرض التي ترسم فوقها هذه الحدود، وللنزاع الذي ينشب بسببها، وكذلك للمعطيات الإنسانية والمواقف التي يواجهها الإنسان في حياته ذات المتغيرات اليومية وهذه الحدود تقع في أكثر من تقسيم، إلا أننا سنتناول أكثر التقسيمات دراسة وشيوعاً، وهو التقسيم الذي يميل إلى الحدود الطبيعية والمصطنعة

---

(1) أحمد علي دلاشة، مرجع سابق، ص156.

وذلك بالنظر إلى مظاهر التنوع في سطح الأرض.

1- الحدود الطبيعية:

وسميت هذه الحدود بهذا الاسم، نتيجة مسيرتها حسب مظاهر الطبيعة مثل[1]:

أ- **الحدود الجبلية:** وهي الحدود التي تساير المناطق الجبلية وخطوط تقسيم المياه مثل: ما هو بين سوريا وتركيا والعراق وإيران، وفرنسا وإسبانيا (جبال البرانيس)، وتمتاز هذه الحدود بأنها وعرة التضاريس.

ب- **الحدود المائية:** سواء كانت بحيرات أو أنهاراً ومثالها: نهر الراين والمصالح المشتركة حوله لفرنسا وألمانيا، ونهر الأردن بين فلسطين والأردن حيث أصبح عامل (وحدة الضفتين)، ونهر كلورادو الذي اتخذ جزءاً من مجراه ليؤدي وظيفة الفصل بين الولايات المتحدة والمكسيك.

2- الحدود الاصطناعية:

وهذه الحدود من صنع الإنسان وتقسم بدورها إلى عدة أقسام هي[2]:

أ- **الخطوط الفلكية** أي خطوط الطول ودوائر العرض مثل الحدود بين مصر والسودان.

ب- **الخطوط الهندسية** أي خطوط مستقيمة وخطوط منكسرة مثل الحدود القائمة بين الجزائر وموريتانيا وتونس والصحراء الغربية وموريتانيا.

جـ- **خطوط الاتفاقية** وهي الحدود التي يتم الاتفاق عليها بين دولتين أو أكثر وتُرسم بناء على ذلك الاتفاق.

بعد أن قمنا بتقديم فهم عام بالنسبة للحدود من حيث تقديم تعريف للحدود

---

(1) أحمد دلاشة، مرجع سابق، ص156-157.

(2) ساطع الزغول، إشكالية الحدود العربية العربية عمان مؤسسة البلسم للنشر والوزيع، 1998، ص18- انظر أيضاً - أحمد علي دلاشة، مرجع سابق، ص157-158.

ووظائفها وكذلك الأقسام التي تقسم إليه لابد من إعطاء خصوصية للحدود العربية وما يتعلق بها ضمن سياق الحدود هذا.

رابعاً: صناعة الحدود العربية

معظم الحدود السياسية حدود ذات طبيعة قومية أي تفصل بين قوميتين، باستثناء حدود المستعمرات أو التي كانت خاضعة للاستعمار، والبلاد العربية دول كانت مستعمرة، ويكون تحديد الخط وتغييره في هذا الجانب أو ذاك تبعاً لاختلاف وتطور موازين القوى على جانبه، تحدث التغيرات في الحدود أو تنشأ حدود جديدة نتيجة لاتفاقات أو معاهدات بين الدول المعنية، ومثل هذه الحدود قد تكون مفروضة على دولة أو على طرف من الأطراف أو أمة من الأمم، ومع ذلك وقّعها ذلك الطرف ووافق عليها، نتيجة للظروف التي يمر بها كما حدث لألمانيا بعد الحرب الكونية الثانية[1].

إن ما حدث للأمة العربية والوطن العربي، لا يخرج بأي حال من الأحوال عن الرضوخ لإرادة المستعمر (بكسر الميم) ومشيئته، فعلى أثر هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى، جرى تقسيم المنطقة العربية بين الدول الحليفة، والتي كانت من قبل تطمع باقتسام ممتلكات الإمبراطورية العثمانية، فدفعها قُدماً هذا الطمع إلى اختلاق الأسباب والمسوغات التي تضفي شرعية الامتلاك والضمّ.

فعقدت الاتفاقيات فيما بينها كاتفاقية سايكس بيكو عام 1916[2]،

---

(1) أحمد دلاشة، مرجع سابق، ص154.

(2) سايكس - بيكو اتفاقية وقعت عام 1916 تقوم على تقسيم المنطقة العربية إلى عدة مناطق: زرقاء (فرنسية) وحمراء (بريطانية) يباح فيهما لكل من الدولتين إنشاء من ترغبان فيه من شكل الحكم المباشر أو غير المباشر بعد الاتفاق مع الدولة أو إتحاد الدول العربية. وتشمل المنطقة الفرنسية سوريا الساحلية من اسكندرونة وحتى رأس الناقورة، وتضم جبل لبنان وكيليكيا وجزءاً من الجنوب الشرقي لآسيا الصغرى، أما المنطقة البريطانية فتشمل جزءاً كبيراً من العراق من البصرة إلى بغداد ومينائي عكا وحيفا، أما المنطقة الثالثة (السمراء) فتشمل ما تبقى من فلسطين وتقام فيها إدارة دولية بعد التشاور مع روسيا وممثلي شريف مكة وبقية الحلفاء، والمنطقة الرابعة (أ) تتألف من سوريا الداخلية، وولاية الموصل، والمنطقة (ب) الأخيرة تضم ما تبقى من العراق، ويقام في هاتين المنطقتين (أ) و (ب) دولة عربية أو اتحاد دول عربية تدعمه فرنسا وبريطانيا، على أن يكون للأولى في منطقة (أ) وللثانية في منطقة (ب) الأفضلية في تنفيذ المشروعات الاقتصادية وتقديم القروض والمستشارين - انظر -

وأردفت هذه الاتفاقية بوعد بلفور والذي صدر في 2 تشرين الثاني عام 1917 وذلك لفصل آسيا العربية عن إفريقيا العربية[1]، وبعد اتفاقية لوزان عام 1924 والتي بموجبها تنازلت تركيا عن معظم الأراضي التي كانت تابعة لها خارج الإطار الحدودي التركي، ونتيجة هذه التطورات السياسية حصلت بعض الولايات والأقاليم على استقلال منقوص مثل نجد والحجاز والسودان ومصر، ووضع البعض الآخر تحت الانتداب البريطاني، والبعض الآخر تحت الانتداب الفرنسي، ووضع البعض الآخر تحت الحماية سواء كانت هذه الحماية حماية بريطانية أو حماية فرنسية، في حين ظلت بعض المناطق خاضعة للاستعمار مثل: ليبيا وأرتيريا والصومال الجنوبي التي خضعت للاستعمار الإيطالي، أو الصحراء وسبته ومليلة في منطقة المغرب العربي التي خضعت للاستعمار الإسباني، والجزائر، وموريتانيا

Haward. Morley Sachar, The Emercence of the middle East (1914-1942), 2 end-ed London, Allenlance penyuin, 1970, p, 158 . - Look too - Document on British foreign policy (D.B.F.P) 1 st Series vol. 4 (1919-1939). P.P. (241-251)

(1) جاء في الوعد متمشياً مع توصيات مؤتمر لندن (1905-1907) وسيأتي الحديث عنه لاحقاً، ويتطابق مع تقسيمات اتفاقية سايكس بيكو الآنفة الذكر، ومما يجدر ذكره أن آرثر بلفور كان وزيراً الخارجية بريطانيا، ومتحمس للصهيونية أكثر من الصهاينة أنفسهم إلى حد أنه ذهب إلى أميركا، واتصل بزعماء اليهود، داعياً إياهم إلى نصرة الصهيونية، والالتفاف حول زعمائها، وذهب إلى أكثر من ذلك فأطلق في خطاب له في واشنطن عام 1917 قولته المشهورة (إنني صهيوني)، وكذلك رئيس وزراءه لويد جورج رائم الوعد هو الآخر متشبع بالجنس اليهود حيث قال في إحدى خطبه: "لقد تربيت في مدرسة، تعلمت فيها عن تاريخ اليهود أكثر بكثير مما تعلمته من تاريخ بلادي أنا، وفي وسعي أن أخبركم بجميع ملوك إسرائيل، كل التشبع بتاريخ الجنس العبري"، ولا ننسى أن حزب العمال البريطاني قد دعا إلى إجلاء العرب عن فلسطين، من أجل إيواء اليهود فيها، ومجلس اللور أصدر وثيقة عام 1944 جاء فيها: (إن على العرب أن يرحلوا من فلسطين وإلا تعرضوا المنهج الإبادة) من هنا علينا أن ندرك لماذا ساسة إنجلتر تدعم اليهود وتحميهم، وتعمل على إنجاز أهدافهم - انظر - جورجي كنعان وثيقة الصهيونية في العهد القديم - بيروت: دار النهار 1982، ص11، 135.

والصومال الفرنسي - جيبوتي - التي خضعت للاستعمار الفرنسي، في حين خضعت الصومال الشمالي للاستعمار البريطاني[1].

وبسبب هذه الظروف والمتغيرات، حولت الدول المنتدبة حدود المنطقة العربية الإدارية إلى حدود ذات صفة سياسية لتكون بين مناطق الانتداب، دون أن يكون للسكان رأي أو وجهة نظر في ذلك، حيث انفردت السلطات الانتدابية بتعيين هذه الحدود بموجب معاهدات لتوزيع النفوذ مثل اتفاقية سايكس بيكو - المشار إليها[2] - ووعد بلفور كذلك.

- وسيأتي الحديث عنه فيما بعد – إن آلية السلوك الاستعماري الذي لف نفسه بصورة الدول المنتدبة، قد ارتكز إلى إحداث اختراقات شاملة هنا وهناك في هيكلية النظام الإقليمي العربي، إن هذا النوع من الاختراقات، كان يمثل في حقيقته حلقة من الحلقات التنفيذية للمشروع الاستيطاني اليهودي في فلسطين على قاعدة إحلال عنصر غريب يلغي مع الزمن الطابع الحضاري للمنطقة وتراثها العربي الإسلامي.[3]

خامساً: الحدود العربية:

إذ نظرنا إلى الوطن العربي وحدوده السياسية، أمكننا أن نميز بين عدة أنواع من الحدود السياسية، منها الحدود الخارجية التي تميز الأرض العربية عن القوميات المجاورة، ومنها الحدود الداخلية بين الأقطار الشقيقة، وهي مجرد إطارات وضعت

---

(1) ساطع الزغول، مرجع سابق، ص7-8.

(2) وصفت الاتفاقية في حينها بأنها: (اتفاقية مروعة وليدة الجشع في اسوأ صورة، وصورة مرعبة للمخادعة والجشع) - انظر جورج انطونيوس: يقظة العرب: تاريخ الحركة القومية، ط8، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس - بيروت: دار العلم للملايين، 1987، ص353، ووصفها لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا بقوله: "إنها وثيقة مجنونة". محمد عوض الهزايمة مرجع سابق، ص88.

(3) محمد مراد، اتفاقية سايكس – بيكو .. ووعد بلفور، مجلة المنطلق، العدد (89/88)، 1992، ص47.

لبلورة الكيانات القطرية وهذه الحدود.

1- الحدود الخارجية ويمكن تقسيمها إلى قسمين هما[1]:

أ- الحدود المائية: وهي تميز حدود الوطن العربي من حيث، الوضوح، ومن حيث قلة الاحتكاك، وانتفاء مشاكل الجوار، وهي المسطحات المائية وتبدأ هذه الحدود غرباً بالجبهة المائية **للمحيط** الأطلسي لمسافة تزيد على ثلاثة آلاف كيلو متر أمام سواحل موريتانيا والصحراء المغربية والمغرب حتى طنجة، أما سواحل البحر المتوسط فهو الحد الشمالي للجناح الأفريقي من الوطن العربي، وتبلغ جبهته نحو خمسة آلاف كيلو متر فيما بين طنجة وغزة، وكذلك يحد الساحل الشرقي للبحر المتوسط الجناح الآسيوي للوطن العربي من غزة إلى الاسكندرية، بمسافة طولها ستمائة كيلو متر تقريباً، ولا تعد مياه البحر الأحمر وخلجانه وخليج عدن حدوداً خارجية للوطن العربي، حيث أنها تفصل بين أرض عربية على جانبيها، وفي الجنوب تحد مياه المحيط الهندي وبحر العرب كلاً من الصومال وأقطار جنوب شبه الجزيرة العربية.

ب- الحـــــــدود البرية(2): تتميز حدود الوطن العربي البرية بطولها المفرط وعـــــدم وضوحها في بعض المناطق، ففي القسم الشرقي من الوطن العربي، تم الاتفـاق بين العراق وإيران مؤخراً على اعتبار خط أعماق مياه شــط العرب الحـد الفاصل بينهما في هذه المنطقة، بعد أن كانت مثار نزاع يحتدم بـــين حين وآخر، وأما في الشمال من عربستان وقـرب مشارف لواء ميسان العراقي، فـإن الحدود العراقية الإيرانية تتبع فواصل طبيعية حيث قواعد جبال زاجروس، ثم إلى الشمال من خانقــين تتبع ذرى جبال زاجروس حتى أقصى شمال إيران فتنحرف إلى الغرب لتفصل بــين العراق وتركيا أول الأمر، ثم بين

---

(1) صلاح بحيري ومحمد الرياني، جغرافية الوطن العربي - عمان المطابع المركزية، 1987، ص14.

(2) المرجع السابق، ص16-17.

سورية وتركيا بعد ذلك، وفي أقصى الغرب يتعرج الحـد قبل أن ينعطف بحده نحـو الجنوب، تاركاً لواء الاسكندرونة لتركيا، بعد أن كان دائماً أرضاً سورية، فضلاً عن أنه المرفأ الطبيعي للتجارة الخارجية لكل من سوريا والعراق، وظل كذلك حتى اقتطعته فرنسا لتركيا منذ عام 1939,

أما الحدود البرية للأرض العربية في إفريقيا، فهي حدود طويلة لأنها تخترق القارة في أقصى عرض لها من الغرب إلى الشرق، فتقطع بضعة آلاف من الكيلو مترات ابتداء من حدود موريتانيا - السنغال على الأطلسي، وانتهاء برأس قصار على ساحل البحر الأحمر بين ارتيريا والسودان، تستقيم الخطوط، وعندما يراد لها تغيير الاتجاه (تنكسر) بزوايا حادة وهي نموذج للنمط الهندسي الاصطناعي من الحدود السياسية، التي لا تستند إلى معالم تضاريسية واضحة.

2- الحدود الداخلية:

إن الحدود الداخلية بين الدول القطرية العربية وضعها الاستعمار حسب المخططات التي تم وضعها في مكاتب وزارات خارجيته، حيث جاءت الحدود وفقاً للمخططات التي أرادوها ويمكننا إبراز خصائص هذه الحدود بالآتي:

1- حدود قائمة على مبدأ فرق تسد حيث جاءت الحدود عاملاً أساسياً من عوامل تفتيت الأرض بين العديد من الوحدات الصغرى، وترسيخ النعرات الإقليمية والخلافات الطائفية، واختلاق مشكلات الحدود لتعكير صفو علاقات الجوار بين الدولة القطرية العربية وشقيقاتها الأخرى، واختتم الاستعمار أهم فصوله في الوطن العربي، بوضع اسفين مزّق وحدة أرضه، وفصل ما اتصل منها ونعني بذلك قيام دولة الكيان الصهيوني في فلسطين[1].

2- تـــــرك مواطن احتكاك: حيث عمدت سلطات الاستعمار البريطاني

(1) المرجع السابق، ص23-24

مثلاً، أثنـاء حكمها للعالم العربي على إيجاد ظروف من شأنها خلق سوء تفاهم، ومشاحنات بين الجيران، وربما كانت أبرز أمثلة ذلك، المنطقتين المتحايدتين بين السعودية والكويت، وبين السعودية والعراق، والواقع أن نقطة (محايدة) لا يعني واقع الأمر في هاتين المنطقتين تماماً، بل الأجدى هو وصف الحكم فيهما قائم على الازدواجية، أو بمثابة الإدارة المشتركة، أي أن لكلا الدولتين على الأرض حقاً وسلطاناً متساوياً، ومن أمثلة مواطن الاحتكاك والخلاف هذه الحدود بين مصر والسودان في منطقة (حلايب)[1].

وخلاصة القول: إنَّ الحدود الفاصلة بين الأقطار العربية باتت أسوأ ظاهرة على خريطته، وأًصبحت إزالتها من هنا وهناك أُمنية لا يختلف عليها اثنان من أبناء الأمة الواحدة، كما لا يخالف أحد منهم، إنها خطوط وهمية وضعها الاستعمار ورعتها القيادات، لكونها تحقق لها امتيازات، فيما لو محيت هذه الخطوط وسلبت امتيازاتها منها، فهي والحالة هذه ترعاها، وتحافظ عليها أكثر من الاستعمار الذي وضعها.

سادساً: مشكلات الحدود العربية:

إن الملاحظ في طبيعة الحدود العربية، يجد ما بين السطور عدة مشاكل تبرز بين حين وآخر، بفضل الرسم المشوه للحدود القطرية العربية، والتي نشأت نتيجة كون المنطقة العربية التي كانت خاضعة للاستعمار، فالحدود السورية مع تركيا حدود سياسية لا تتماشى مع المظهر الطبوغرافي لقواعد جبال طوروس وهضبة الأناضول، بقدر ما يتبع خط سكة حديد الموصل - حلب، وفي أقصى الغرب ينعطف بحده نحو الجنوب، تاركاً لواء الاسكندرونه لتركيا، بعد أن كان دائماً أرضاً سورية، وهذا بطبيعة فعل فرنسا الاستعمارية، وكذلك نجد الحدود الصومالية مع الحبشة عبارة عن تركة استعمارية ثقيلة ورثتها الصومال عن النفوذ السابق، لكل من ألمانيا وفرنسا

---

(1) المرجع السابق، ص25.

وإيطاليا وبريطانيا في القرن الإفريقي، وكان نتيجة ذلك أن عاش ربع مجموع أفراد الصوماليين خارج حدود أرضه، حيث تحكم اثيوبيا نصف مليون من هؤلاء الرعايـــا الصوماليين في إقليمي أوجادين والحوض.

وكذلك الحدود بين مصر والسودان المشوهة، فصلت عبابدة السودان عن تجمهرهم الرئيسي في مصر، وفصل بشارية مصر عن تجمهرهم في السودان، وهذا ينطبق على الحدود الأردنية - السورية التي وضعها الأنجليز عام 1923، فقد وضعت قرية جابر الأردنية داخل الحدود السورية، ووضعت قرية نصيب السورية داخل الحدود الأردنية[1]. وإذا ما تطرقنا إلى شبه الجزيرة العربية نجد نفس الخريطة المشوهة للحدود بين أقطار شبه الجزيرة، وكذلك الحال في المغرب العربي ويمكننا إبراز هذه المشاكل التي نجمت عن هذا الرسم الحدودي بالآتي:

أ- إشكالية الحدود السعودية: واجهت السعودية عدة مشاكل مع جيرانها فمن الناحية الشرقية هي[2]:

- **السعودية والبحرين:** ومحور النزاع الحدودي كان يدور حول (فيشت أبو سعفة)، التي تقع بها حزيرتان هما:جزيرة لبينة الكبرى وجزيرة لبينة الصغرى.

- **السعودية وسلطنة عُمان:** ومحور النزاع الحدودي كان يدور بين البلدين في صحراء الربع الخالي.

- **السعودية والإمارات:** وكان محور النزاع بين البلدين على واحة البريمي، وهي عبارة عن منطقة واسعة مساحتها (985) كيلو متراً مربعاً تفصل الخليج العربي عن خليج عُمان.

- **السعودية وقطر:** ويدور النزاع بني البلدين حول موقع الخضوص، الذي يقع بالقرب من الطريق المؤدي **إلى** قاعدة بحرية صغيرة أقامتها السعودية مؤخراً في خور

---

(1) أحمد علي دلاشة، مرجع سابق، ص155.

(2) ساطع الزغول، مرجع سابق، ص63-71.

العديد، وهو خليج صغير في جنوب قطر كان تابعاً لدولة الإمارات العربية قبل أن تتنازل عنه السعودية بموجب اتفاقية عام 1974.

هناك نزاع حدودي في الجهة الشمالية التي تحيط بالسعودية ويتمثل بـ [1]:

- **النزاع السعودي - الكويتي:** وكان النزاع يدور حول المنطقة المحايدة بين الدولتين، وكان الاقتراح السعودي يقضي بتشكيل مجلس إداري من أربعة أشخاص للإشراف عليها، إلا أن الكويت رفضت الاقتراح وطالبت بتقسيم المنطقة المحايدة بين الدولتين.

- **النزاع السعودي العراقي:** لا تعتبر الحدود بين البلدين مثار نزاع بينهما والسبب الرئيسي هو بعد هذه الحدود الشاسع عن أماكن العمران، ومع تدفق النفط في السعودية والعراق، أعلن في الرياض عام 1975 أن السعودية والعراق، توصلتا إلى اتفاق ينص على تقسيم المنطقة بين البلدين بالتساوي، عن طريق خط مستقيم قدر الإمكان[2].

- **وهناك نزاع بين السعودية واليمن في الجنوب** هذا النزاع يدور حول عدة موقع هامة: وهي عسير ونجران والجوف وقارب[3] وغيرها، من المناطق الحدودية الأخرى.

- **النزاع الحدودي القطري - البحريني،** ويتركز النزاع بين البلدين حول ثلاث جزر رئيسة غنية بالمياه والبترول وهي: فشت الديبل، وحوار، وجرادة إضافة إلى منطقة الزبارة.

- **النزاع العراقي - الكويتي** وكان النزاع بينهما يدور حول الخط الحدودي المشوه المرسوم بينهما، سواء في منطقة الرميلة، أو الشعور العراقي بضألة ساحله على الخليج العربي، والحدود بين البلدين كانت تاريخياً مبهمة وجالبة للمتاعب أدت

---

(1) المرجع السابق، ص72.

(2) المرجع السابق، ص73.

(3) المرجع السابق، ص84.

هذه الحدود إلى نشوب أزمة الخليج الثانية[1].

- **نزاع حدودي يمني - عُماني - سعودي:** وهذا النزاع أقطابه ثلاث دول عربية، تمثل برفض اليمن اتفاق 1990 بين السعودية وعُمان، والذي جرى حول مساحات من الربع الخالي تقع بين البلدين، وهذا الرفض جاء بحجة يمينية أن المنطقة المتفق عليها بين السعودية وعُمان، منطقة يمنية يطلق عليها اسم "الصحراء الكبرى"، ولا توجد أية حدود في هذا الجزء بين السعودية وعُمان، وأن اليمن تحتفظ بحقها في هذا الشأن[2].

- **النزاع الحدودي المصري - السوداني** وهذا النزاع يدور حول منطقة حلايب والتي تفجرت بها أول أزمة عام 1958، ويذكر أن السودان انفصل عن مصر عام 1956[3].

- **نزاع حدودي سوري - لبناني:** إن الحدود السورية - اللبنانية حدود مائعة بمعنى لا يوجد خط متعارف عليه وثابت بين البلدين، الأمر الذي سجل حالة من حالات الصدام العسكري حول الحدود عام 1949[4].

- **نزاع حدودي سوري - أردني محتمل:** إن تخطيط الحدود السورية - الأردنية بالصورة التي هي عليه الآن، وبإدخال منطقة جابر ضمن الأراضي السورية وهي تابعة لإقليم الأردن، وإدخال منطقة نصيب ضمن الأراضي الأردنية وهي تابعة لإقليم سوريا، إن المستقبل يحمل في خباياه دفائن قد ينشب نزاع بين الطرفين، إن تم اكتشاف ثروة نفطية في أحد المناطق قد تقوم الدولة المقابلة بالمطالبة به، لكون هذا الإقليم تاريخياً وجغرافياً كان تابعاً لإقليمها.

---

(1) المرجع السابق، ص101.

(2) المرجع السابق، ص64.

(3) المرجع السابق، ص116.

(4) المرجع السابق، ص33.

- **النزاع الحدودي المغاربي:** في أقصى الغرب من العالم العربي هناك دول عربية فيما بينها نزاع حدودي وهذا النزاع:

- **نزاع حدودي بين تونس والجزائر:** ومكمن الخلاف بينهما هو النقطـــة (233) التي تسلمتها الجزائر من الإدارة الفرنسية بعد الاستقلال وهي تمثل رقعة مساحتها (17) كم^2.

- **نزاع حدودي بين الجزائر وليبيا:** ويدور هذا النزاع حول توغل الدوريات الجزائرية للحدود الليبية عند قرية (إمباس) في منطقة الحدود المشتركة بين البلدين.

- **نزاع حدودي بين ليبيا وتونس:** ومحور النزاع الحدودي بين البلدين كان يدور حول الجرف القاري في المياه الإقليمية، والرصيف القاري في البحر الأبيض المتوسط.

- **نزاع حدودي بين الجزائر - والمغرب:** هذا النزاع هو أكثر قضايا المغرب العربي حدة وسخونة، وقد وصل إلى حد الاشتباك المسلح منذ عام 1963، وقد اختلف الجانبان حول منطقة تندوف التي كانت تحت يد الجزائر عند استقلالها[1].

- **نزاع حدودي بين المغرب وموريتانيا:** ويتمحور النزاع حول ضم فرنسا مناطق مغربية إلى موريتانيا التي كانت تعرف باسم (شنقيط) قبل أن يستبدل الاستعمار الفرنسي هذا الاسم باسمها الحالي عام 1899.

وجاء ضم الأراضي المغربية إليها في إطار الحكم الذاتي الذي كانت تمنحه فرنسا لإفريقيا الغربية.

سابعاً: مدى أمن الحدود العربية:

إن الحـدود العربية سواء تلك التي تفصلها بين القوميات الأخرى، في ظـــل احتكام الشعوب لقومياتهـــا والتخلي عن الاحتكام للإسلام، لكون

---

(1) المرجع السابق، ص134.

القوميات بالصورة الدارجة بين الأمم والشعوب ما هي إلا دعوات هدامة لا يقبلهــا الإسلام، واعتبرها دعوات جاهلية وتلك التي تفصلها عن بعضها البعض – تعني الحدود القطرية – تعتبـر حدوداً غير آمنة، وهي بمثابة الهاجس الذي يؤرق صناع القرار في الدولة القطرية العربية.

فبالأمس نشبت حرب حدودية بين العراق وإيران دامت ثماني سنوات في العقد التاسع من القرن الماضي، أكلت الأخضر واليابس في كلا البلدين من الشباب والاقتصاد، وبالأمس القريب حشدت القوات التركية حشودها على الحدود السورية بحجة أن سوريا تعبث بالأمن التركي نتيجة دعمها لحزب العمال الكردستاني بقيادة (أوجلان)، في العقد العاشر من العقد المنصرم، وبالأمس تفجرت مشكلة الحدود بين الصومال وأثيوبيا ولا تزال، وفي الجانب القطري تخشى الدول العربية بعضها البعض، فالعراق حشد جيشه بمواجهة الكويت وغزاها عام 1990، وسوريا حشدت قواتها في مواجهة الأردن على اعتبار الأردن يدعم الإخوان المسلمين في سوريا - حزب المعارضة للحكم السوري - وقابل الأردن الحشد بالحشد وكان هذا عام 1982، وقد سبق هذا صدام ما بين المغرب والجزائر عام 1963، وفي عام 1986 بدأت البحرين بردم (فشت الديبل)، لكن الحكومة القطرية أدركت خطورة هذا الإجراء فأرسلت طائراتها الحربية لقصف المنشاءات الأولية التي أقامتها البحرين، وفي عام 1977 شهدت الحدود المصرية الليبية حرباً حدودية، وكما شهدت الحدود بين اليمن سنة 1972 صداماً عسكرياً، ويتجدد الصراع حول حلايب بين وقت وآخر بين السودان ومصر، إن هذه نماذج ليست صراعات الحدود القطرية بين الدول العربية بل هي جزء من كل.

إن الدارس لواقع الحدود العربية يجد أنها غير آمنة وهذا أدى بالدول العربية إلى:

1- لجــوء الدول العربية للبحث عن حليف استراتيجي من خارج

المنطقــة، وغالباً ما تكون دولة كبرى، فقد احتلت الولايات المتحــدة مركز الصدارة في الاختيار، فما من دولة عربية وإلا ولها حليف استراتيجي، فإما أن تكون الولايات المتحدة أو بريطانيــا أو فرنسا أو دولة أوروبية أخرى، بعد أفول وانهيار الاتحاد السوفياتي، وهذا التحالف نوع من الاستعمار ولكن بصورة مقنعة.

2- القبول باستضافة الخبراء والاستشاريين من الدول الحليفة ذوي الصفة العسكرية، وهؤلاء يعملون بطبيعة الحال كعيون لبلادهم، وتكون مشورتهم لا تتعارض ومصالح دولهم.

3- ارتفاع فاتورة التسليح ويكون هذا على حساب خطط التنمية، والذي بدوره يؤدي إلى إغراق الدولة بالدين وفوائده.

4- استنجاد الدول العربية بالقوى العسكرية العالمية، وأزمة الخليج الثانية خيرُ دليل، الأمر الذي جعل كافة أقطار الوطن العربي الآن تحت رحمة القوات العسكرية الغربية بعد أزمة الخليج الثانية، مما زادَ الطين بلة، فتمركزت جيوش الاستعمار في مشارق الوطن العربي (دول الخليج)، ولا ننسى في وسطه يقع الكيان الصهيوني وفي شماله القواعد الأمريكية في تركيا وإيطاليا وبقية البلدان الأوروبية، وفي الغرب والجنوب القواعد الأمريكية، فهو بذلك أسير هذه القوات، إن هذا جعل حدوده مفتوحة لكل تدخل في كل وقت وفي أي مكان دون أية مسائلة.

الفصل الرابع

المشكلات والقضايا الدولية

الفصل الرابع
المشكلات والقضايا الدولية

إسلامياً إن التشتت والضياع الـذي يعيشـه العـالم الإسـلامي أمـرٌ طبيعـي، لأن قيادة هذا العالم تخلت طائعة أو مُكرهةً عن أسباب قيادة العالم؛ تلك الأسباب التـي تكمن بقوة الإيمان المستمدة من العقيدة الإسلامية، لذا فالعالم الإسلامي اليوم يمـر بمرحلة حرجة، نتيجة للأزمات الكثيرة التي تعصف به والنكبات الزاخرة بالأحداث في ظل غيـاب العلـماء القـادرين عـلى رد المسـلمين إلى الجـادة، بـدعوتهم للرجـوع إلى حقيقـة الإسـلام، وغيـاب القيـادة الواعيـة، لخطـورة الموقـف والأزمـات الاقتصـادية والسياسية والاجتماعية والفكريـة والروحيـة التـي تعـتري العـالم الإسـلامي، وتزيـده ضعفاً وذلاً وهواناً وضياعاً وغلبة للأعداء، يوماً بعد يوم.

إن المسلمــين اليوم يفقدون تمكنهم في الأرض التي يعيشون عليها، ويفقـدون أمنهم وطمأنينتهم وأموالهم، إنهم في الحقيقــة سائرون في ذات الطريق الذي بدؤوه منذ أربعة قـرون أو أكـثر، منـذ طَـرْدِ المسـلمين مـن الأنـدلس، ثـم بـدأت الحـروب الصليبية الجديدة، لمطـاردة المسلمين في بقية الأرض، وإخضاعهم لسـيطرة الصـليبية الحاقدة، وإذلالهم انتقاماً من الهزيمة الساحقة التي تلقاهـا الصـليبيون، في حـروبهم الأولى، إن الاختــراق الناجح للغرب، في قلب العالم الإسـلامي، وإقامتـه دولـة غريبـة عن الوسط الديمغرافي والجغرافي، واحتـلال أفغانسـتان، وتنفيـذ المـذابح الجماعيـة في البوسـنة والهرسـك، وإشـعال حـرب أهلــة ضروس، في جنـوب السـودان؛ ومصـادرة القــرار السياسي الشيشاني المستقل، وإقامة أمـاكن آمنـة في جنـوب وشـمال العـراق، والتنكيل المستمــر بالأقليات الإسلامية، في بلغاريا والفلبين وتايلند

وقبرص وغيرها، لدلائل ضعف وعلامات تجريبية قاسية، ولا أشد مـرارة منهـا، تغشى العالم.

وقد تناولنا القضايا الإسلامية لأن معظم مشـكلات العـالم وقضـاياه إن لم تكـن كلها إسلامية وإن 80% من اللاجئين في العالم هم من المسلمين، ولهذا سـوف نتنـاول القضايا العربية الإسلامية وعلى النحو التالي:

أولاً: القضية الفلسطينية:

1- انبعاث فكرة الوطن وقيام الدولة:

إذا كان قيام دولة إسرائيل رسمياً قد تم في 15 أيار / مايو 1948، فإن التحضير لذلك بدأ قبل نحو خمسين سنة من ذلك التـاريخ، أي عنـدما أقـر المـؤتمر الصـهيوني الأوّل الذي انعقد في مدينة (بال) في سويسرا في شهر أيـار مـايو عـام 1897، وحضره أكثر من 200 منـدوب، يمثلـون الجاليـات اليهوديـة في 17 دولـة، مبـدأ إنشـاء وطـن للشعب اليهودي في فلسطين، يحميه القانون العام[1].

ويعتبر ثيودور هرتزل، وهو يهودي مجري، تلقى ثقافته في فينـا، أول من حَوّل آمال العودة لدى اليهود إلى (أرض الميعاد) من مجرد هـدف دينـي، إلى هـدف سياسي، يصار إلى بلوغه عن طريق العمل في هذا الميدان.

وقد أثرت الحركات القومية الأوروبية في عـدد مـن المفكـرين اليهـود، ومـنهم (Moses Hess) الذي تأثر بالدعوة القوميـة الإيطاليـة، فقـام ينـادي بإيجـاد قوميـة ودولة يهودية[2].

غيـر أن الصهيونية السياسية بقيـت، مـع ذلـك، فكـرة معزولـة عـن جماهـير اليهـود حتى أوائل ثمانينات القرن الماضي، حين اضطر عدد كبير منهم إلى

(1) يوسف هيكل، فلسطين قبل وبعد - بيروت: در العلم للملايين، 1971-ص90.

(2) عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - الطبعة الثانية - بيروت 1981 ص30.

الهجرة من روسيا نتيجة الحملة التي شنتها السلطات الروسية ضد اليهود، إثر حادث اغتيال القيصر ألكسندر الثاني عام 1881. وقد توجه ثلاثة آلاف من اليهود الروس المهاجرين إلى فلسطين حيث أسسوا مستوطنة قرب يافا[1].

أما (هرتزل) فقد عبّر عن تطلعاته، في كتاب، أصدره في صيف عام 1895 بعنوان (الدولة اليهودية) ودعا فيه إلى إنشاء وطن قومي لليهود في الأرجنتين أو فلسطين، تدعمه بريطانيا. ولما شعر (هرتزل) أن قسماً كبيراً من اليهود حبذ فكرته، بدأ يسعى لعقد مؤتمر عالمي للصهاينة، فكان له ما أراد، وانعقد مؤتمر (بال)، وقد تضمن البرنامج الذي طرحه (هرتزل) في المؤتمر النقاط الآتية:

1- استيطان يهودي لفلسطين، منظم وعلى نطاق واسع.
2- تأمين حق شرعي للاستيطان معترف به دولياً.
3- إنشاء منظمة دائمة لتوحيد جهود اليهود، من أجل خدمة قضية الصهيونية.
4- اتخاذ الخطوات التحضيرية للحصول على الضمانات الحكومية اللازمة لتحقيق أهداف الصهيونية[2].

وفي أعقاب مؤتمر (بال) قال (هرتزل): "لو أردت أن أختصر مؤتمر (بال) في كلمة واحدة، وهذا ما لن أفعله صراحة، لقلت: في (بال) أسست الدولة الصهيونية. ولو أعلنت ذلك اليوم لقابلني العالم بالسخرية والتهكم، ولكن بعد خمس سنوات، على وجه الاحتمال، وبعد خمسين سنة، على وجه التأكيد، سيرى هذه الدولة جميع الناس.

أما اختيار فلسطين، لتكون الوطن القومي لليهود، بعد استبعاد الأرجنتين أو غيرها، فيستند إلى أن اليهود يعتبرون:

---

(1) ألن تايلر، تاريخ الحركة الصهيونية، ترجمة بسام أبو غزالة، دار الطليعة بيروت 1966، ص11-12.

(2) المرجع السابق، ص14.

1- أنها أرض الميعاد.

2- ما يربط اليهود بهذه الأرض المقدسة من روابط تاريخية[1].

شكل مؤتمر (بال) انعطافاً تاريخياً في مسيرة الحركة الصهيونية التي توجهت بعده، للعمل على جبهتين متوازيتين، هما:

1- العمل على كسب أوسع تأييد عالمي، لفكرة إقامة دولة يهودية في فلسطين.

2- تأمين أكبر عدد ممكن، من اليهود الراغبين بالهجرة إلى فلسطين، وتوفير كافة الأجواء والتسهيلات اللازمة لتأمين هجرتهم.

وقد توجه (هرتزل) في مستهل تحركه نحو ألمانيا التي كانت ترتبط بعلاقات صداقة مع السلطات العثمانية، لإقناعها، لكن قيصر ألمانيا قابل طرح هرتزل بفتور، فقرر هرتزل بعدها التوجه للسلطات العثمانية مباشرة، وقد رده السلطان عبد الحميد خائباً، عندها واجه (هرتزل) خيبة مريرة، ولكنه لم يقنط، بل تابع جهوده الدبلوماسية لدى الدول الاستعمارية، فوجه أنظاره نحو إنجلترا حيث كانت الحركة الصهيونية تتلقى تشجيعاً من بعض كبار السياسيين البريطانيين، بدأ هرتزل نشاطه بالاتصال مع أعضاء مجلس اللوردات، ثم تمكن عام (1902)م من مقابلة وزير المستعمرات (جوزيف تشمبرلين)، وعرض عليه مخططه الصهيوني والمزايا التي ستحققها بريطانيا، من جراء وقوف اليهود إلى جانبها، ولما وجدت بريطانيا أنه بالإمكان استثمار الحالة السائدة في المنطقة العربية، بعد تأكدها من الضعف المزمن الذي أصاب الإمبراطورية العثمانية، وهذا يسمح ببقاء الحضارة الغربية في حالة ازدهار، اتخذت عدة خطوات، تُوِّجَتْ بمؤتمر لندن عام (1905-1907)، والذي دعا إليه السير كامبل بنرمان[2] الدول ذات المصالح الاستعمارية، وهي:

---

(1) عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق، ص36.

(2) السير كابل بنرمان سياسي بريطاني ينتمي إلى حزب الأحرار، وتزعمه، كما ترأس الحكومة البريطانية (1905-1908)م مات بعد استقالة حكومته بـ (17) يوماً وكان ذلك في 22 نيسان / أبريل في العام نفسه - انظر دائرة المعارف البريطانية لعام 1965، حرف (ك).

(بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وإيطاليا وإسبانيا) باعتبار التعاون البريطاني ضرورياً مع هذه الدول، من أجل إيقاف المد الاستعماري الألماني الجديد، ولضمان تنسيق السلوك الاستعماري البريطاني، من جهة أخرى.

لقد وافقت الدول المعنية على فكرة المؤتمر، وبعثت بكبار علمائها من مختلف التخصصات ومشاهيرهم، في علم الاجتماع والجغرافيا والاقتصاد والتاريخ والنفط والزراعة والآداب والاستعمار[1]، وفي خطاب الافتتاح نبّه بنرمان إلى انحلال وفناء الحضارة الأوروبية، وطلب تقديم المقترحات لضمان استمرار الحضارة الغربية، والحيلولة دون سقوطها، مع تلمُّس الوسائل الممكنة لإدامة الزخم الاستعماري الأوروبي، للمناطق البكر اقتصادياً في العالم[2]. بعد ذلك عكف المؤتمرون على دراسة تاريخ الإمبراطوريات متتبعين ظروف نشأتها، وتطورها وازدهارها وأسباب قوتها وعوامل ضعفها وانحلالها، وجغرافية البلاد التي قامت فيها، وسكانها، ومواردها الطبيعية، وقدمت اللجنة تقريرها الخاص متضمناً مقدمة ومحتوى وتحاليل، ثم التوصيات التي توصلوا إليها، لقد كانت المنطقة العربية محط الأنظار - فأوصت لجنة المؤتمر بشأنها، بما يلي[3]:

- على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزئة المنطقة.

---

(1) يلاحظ أن هناك شمولية في تخصصات الحضور، وذلك من أجل تقديم تقارير ودراسات وتوصيات شاملة، تخلو من الثغرات، لأن نجاح الفكر الاستعماري يتطلب حسابات دقيقة لضمان نجاحه.

(2) جامعة دمشق، الثقافة القومية الاشتراكية: مقررات السنة الأولى والثانية في الجامعات السورية (1972-1973م) - دمشق: جامعة دمشق: د. ت ص71 وما بعدها - انظر أيضاً - أمين النفوري، استراتيجية الحرب ضد إسرائيل والعمل العربي الموحد - دمشق - مطبعة طربين، 1970، ص48-49.

(3) عبد الله عبد الدايم، موقف الصهيونية وحركة القومية العربية، مجلة شؤون عربية، العدد 255 أيلول 1988 - ص11- انظر أيضاً - موسى كاظم التونسي، وثائق التدخل الأجنبي في الوطن العربي، ج1، دمشق: د. ن، 1972- ص47-48.

- إبقاء شعب هذه المنطقة على ما هو عليه من تفكك وتأخر وجهل[1].
- إقامة حاجز بشري قوي وغريب، يحتل الجسر الذي يربط أوروبا بالعالم القديم، ويربطهما معاً بالبحر المتوسط، بحيث يشكل في هذه المنطقة، وعلى مقربة من قناة السويس، قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة، وبذلك يتم الفصل بين قارتي آسيا العربية وإفريقيا العربية.

2- الإجراءات والممارسات التنفيذية:

بموجب معاهدة سايكس بيكو[2]، حدّت بريطانيا من أطماع فرنسا في فلسطين، بأن اعترفت بإقامة إدارة دولية بمنطقة القدس وما حولها، واحتفظت لنفسها بمنطقة نفوذ، تمتد من البحر المتوسط عند عكا إلى الحدود المصرية[3]، وكانت تهدف إلى إيجاد حاجز صحراوي، لحماية مصر من الجهة الشرقية[4]. ولما اكتشفت عدم جدوى هذه الحواجز، انتهزت الفرصة للتخلص من ارتباطاتها السابقة، والتي التزمت بها في اتفاقيات (الحسين - مكماهون) و (سايكس بيكو)، وخصوصاً بعد ظهور وَهْنِ الإمبراطورية العثمانية، في نهاية الحرب العالمية الأولى، الأمر الذي أدّى إلى تعاظم أطماع الأعداء والخصوم بأملاكها، فتحفز البريطانيون لذلك، بعد بروزهم في نهاية الحرب الكونية الأولى، كدولةٍ استعمارية لها من المنعة والنفوذ ما يؤهلها لتقوم بدور اللاعب القوي، على المسرح الدولي.

(1) إن التجزئة والتخلف هما المناخ الطبيعي والملائم الذي يعيش فيه الاستعمار، وإن سياسة الكيانات الصغيرة تبقى دوماً إلى حد كبير، مهما تحررت، مجرد رفض سلبي للسياسة الاستعمارية، وهذا الرفض لا يؤثر في دفع مضاره. فالوحدة والوعي هما الرد الحقيقي على التجزئة والتخلف، وهما السبيل الذي ينقل النضال ضد الاستعمار من مجرد الرفض السلبي الدفاعي إلى الرفض الإيجابي الهجومي، والذي من شانه أن يكشف نوايا الاستعمار تمهيداً لإفشال مخططاته.

(2) لقد سبقت الإشارة إلى هذه الاتفاقية الجنونية، كما وصفت في فصل سابق.

(3) نجيب صدقة، قضية فلسطين، بيروت: د. ن1946، ص44.

(4) محمود حسن منسي، تصريح بلفور، القاهرة: دار الفكر، 1970، ص73.

فلابد والحالة هذه من العمل على ملئ الفراغ الذي سينشأ نتيجة انحسار النفوذ العثماني في فلسطين، فتقدمت جيوشها لهذه الغاية، وقبل استكمالها السيطرة على فلسطين[1]، أعلنت وعد بلفور، كنتيجة لدوافع استعمارية محضة[2]، لتقيم بموجبه حاجزاً بشرياً، يدين لها بالولاء، ويعمل على فصل المغرب عن المشرق العربي خوفاً من تهديد مصالحها ومناطق نفوذها، فيما إذا تمت الوحدة بينهما مستقبلاً، حسب قرارات مؤتمر بنرمان أو ما يعرف بمؤتمر لندن السابق.

بعد ستة أسابيع من إعلان وعد بلفور، دخل الجنرال اللنبي وبعثته العسكرية القدس، وبالتحديد في 11 كانون الأول لعام 1917|[3]، حيث شهد ذلك اليوم توتراً عربياً في المدينة، وكتب مرافقوه للحكومة المركزية البريطانية مخاوفهم من الآثار السلبية التي قد تنجم عن هذا الوعد[4]، لكن الحركة الصهيونية استغلت انتصار الحلفاء في الحرب، ونجحت في الحصول على الدعم البريطاني المتمثل في منح المساعدات وتقديم التسهيلات للوكالة اليهودية المشرفة على إدارة الهجرة والاستيطان[5].

وفي عام 1924م، وقعت المعاهدة الأنجلو - أمريكية، والتي تضمنت موافقة ودعماً أمريكياً جديداً لوعد بلفور[6]، وعلى الرغم من ذلك فقد استطاعت بريطانيا ضمان عدم فقدان حسن نية العرب، فاتجهت بالمنطقة نحو عهد جديد من عهود العلاقات الدولية، وصراعٍ حمل في ثناياه الويل

---

(1) أسعد رزوق، إسرائيل الكبرى، بيروت، مركز الأبحاث، منظمة التحرير، 1968، ص373.

(2)Esco, Foundation for, Palestine, A study of Jewesh, Arab And British Policies, 2 Vols. New Heven/Yele University Press 1949. p4.

(3) عيسى السفري، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، يافا، د. ن 1937، ص26.

(4) عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق، ص103-104.

(5) إبراهيم الشريقي، اورشليم وأرض كنعان حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل (لندن، باريس)، د. ن- ص239.

(6)Deconde Alxender, A history of America Forign Policy New York, Charle, Scribner and Sons 1963 p. 745.

والدمـــــار لسكانها وسكان المنطقة، وقد بدأ هذا العهد مع بداية الانتداب، والـذي جـاء بـه قـرار المجلـس الأعـلى للحلفـاء[1]، فمارسـت الحكومـة البريطانيـة مسؤولياتها، كدولة منتدبة على فلسطين، فعنـدها نقلـت بريطانيـا وعـد بلفـور مـن إطاره النظري إلى الواقع العملي التطبيقي، بعد أن أصبحت مسؤولة عن وضع الـبلاد في الأحوال السياسية والإدارية والاقتصادية، ولعل استجابتها لطلب الصـهاينة بإقامـة إدارة مدنية بفلسـطين، تحـل محـل الإدارة العسـكرية، لتضـمن تـدخلهم في الحكـم مباشرة وباستمرار، كخطوة أولى على الطريق، لتهيئـة الظـروف نحـو تحقيـق الوعـد المشؤوم[2].

وعملت الحكومة البريطانية على تشجيع انتقال الأراضي لليهـود، بحيث سنت القوانين والتشريعات الكفيلة التي تضع العرب بحالة من الفاقة والإفلاس، بحيث تجعلهم يتخلون عن أراضيهم وبيعها للوكالة اليهودية والمنظمات الصهيونية الأخرى، كما أثقلت كواهلهم بالضرائب، وكبّلتهم بالقيود، وطلبت منهم دفع القروض التي استلفوها من الحكم العسكري، ومن بنك (أنجلو جبشيان)، كما طالبتهـم بتسديد قروض البنك العثماني الزراعي التي اقترضوها قبل الاحتلال البريطاني[3]، فرفعت بذلك نسـبة

---

(1) بعد انتصار الحلفاء في الحرب الكونيـة الأولى، قـرر المجلـس الأعـلى للحلفـاء، المنعقـد في "سـان ريمـو" في 25 مـارس 1920م وضع فلسطين تحت الانتداب البريطـاني - دون أخـذ رأي سـكان فلسـطين، وقـد وضـع اليهـود للحكومـة البريطانية (صيغة الانتداب) البريطاني على فلسطين، والـذي نـص بصراحة عـلى إقامـة الـوطن القـومي اليهـودي بفلسطين وموافقة دول الحلفاء عليه، على أن تكون بريطانيا مسؤولة عن التنفيذ، ومجلـس الحلفـاء مكـون مـن الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا، وقد أقر مجلس عصبة الأمم صك الانتداب البريطـاني عـلى فلسطين، في 24 تموز عام 1922م، انظر - عباس الكرد، مرجع سابق، ص231، وانظر أيضاً - حسين جميـل، بطـلان الأسس التي أقيم عليها وجود إسرائيل وسلامة الموقف العربي د. م: وزارة الإعلام والثقافة، د. ت، ص49.

(2) أحمد طربين، فلسطين، في خطط الصهيونية والاستعمار 1897-1922، القاهرة، معهد البحـوث والدراسـات العربيـة، 1970-، ص130.

(3) أحمد طربين، فلسطين: في خطط الصهيونية والاستعمار: الانتداب البريطاني في خلفية الدولة اليهوديـة 1923-1939، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، 1971، ص27-28.

الملكية اليهودية للأراضي في نهاية عام 1948 إلى 14% بينما كانت النسبة في القدس عام 1918م لا تتعدى نسبة 4%[1].

عمدت بريطانيا، بعد تسهيل انتقال الأراضي، إلى إصدار قانون الهجرة الأول، لينظم عملية دخول اليهود رسمياً لفلسطين[2]، فعمدت للتهريب والزواج والسياحة، كطرق متبعة، لتحقيق هذه الغاية فأخذت النسب الديمغرافية للسكان، تتحول تدريجياً لصالح اليهود، بعد أن كانوا الأقلية في فلسطين، ففي القدس مثلاً كان عددهم عام (1918) عشرة آلاف، وهذا يمثل (25%) من سكانها مقابل (75%) مسلمين ونصارى، وقد أصبح عددهم (30.000) وما بين الأعوام (1920-1925) زادت نسبة اليهود إلى (33%)[3].

وقامت حكومة الانتداب بتوفير الحماية الاقتصادية لليهود، وذلك بتقديم المساعدات اللازمة للتنمية، مقابل قتل الإنتاج العربي، فخفضت رسوم المواد الخام التي تحتاجها الصناعة اليهودية من الخارج، وأعطت امتيازات متعددة لليهود، منها السماح بتسليحهم، وتجفيف بحيرة الحولة، ومشروع روتنبيرغ، والحصول على امتياز من الحكومة البريطانية، ولمدة سبعين عاماً، لاستغلال مياه نهر الأردن واليرموك عام 1926م، وعدلت الحدود الشمالية لفلسطين، لتسهيل عملية تحويل مجرى نهر الأردن، ومنحهم امتياز نهر العوجا قرب يافا، من الحكومة البريطانية[4].

---

(1) اللجنة الملكية لشؤون القدس، تطورات النشاط الاستعماري الاستيطاني في الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة، اللجنة الملكية نشرة خاصة، 1985، ص22.

(2) لقد حدد هذا القانون الفئات المسموح لها بدخول فلسطين وهي:

أ- الأشخاص الذين تضمن المنظمة إعالتهم لمدة عام.

ب- الأشخاص الذين تتوفر لديهم الموارد المستقلة، أو الذين يقدمون دليلاً على إعالة أنفسهم.

جـ- رجال الدين الذين تتوفر وسائل إعاشتهم في فلسطين، انظر:

E, S, C, O Foundation Op. Cit Vol. I PP. Cit PP 315-316.

(3) اللجنة الملكية، نشرة خاصة، مرجع سابق، ص22.

(4) عبد الحميد محمد، النهر الذي وحد العرب: نهر الأردن الخالد ومشاريع التحويل، ط1، القدس، دار أخبار الأسبوع 1964، ص60.

وبحكم الترابط العضوي بين الصهيونية والاستعمار البريطـاني، والصـداقة التـي كانت تربط حاييم وايزمن رئيس الصهيونية بلويد جورج وزير التجهيزات العسكرية البريطانية وبلفور وزير الخارجية، فقـد تـم تعيـين هربـرت صـموئيل منـدوباً سـامياً بريطانياً على فلسطين، ما بين (1920-1925)م[1] وبذلك تكون بريطانيـا قـد صـنعت الإطار الملائم لتنفيذ وعد بلفور، وتركت الجـوهر لأهلـه، ليصـمموه كـما يشـاؤون[2]، فهي تعمل على تعيين المندوب السامي صـهيونياً، ليضـمنوا تنفيـذ الوعـد الرامـي إلى خلق الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي[3].

وعلى آثـر فشل المفاوضات العربية البريطانيـــة، أحيلت القضية الفلسطينية إلى أروقـة الأمم المتحدة، وكان موضــوع مستقبل الحكم في فلسطين محل مناقشة، في دورة خاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة، عقدت في أواخـــر شهر نيسان وأوائل أيار عام 1947م، وعينت لجنة، دعيت باسم (لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين)، وقدمت هذه اللجنــة في أيلول، من العام نفسه، تقريرها الذي يتضمن مشروعين مقترحين، لمستقبـل الحكم في فلسطين، وهما مشروع الأكثرية ومشروع الأقلية، فالأول يتضمن إنهـاء الانتــداب وتقسيم فلسطين، وإنشاء دولة يهودية ودولة عربية، وكيان منفصل

---

(1) يعقوب كاتس وموشيه هرشكو، إسرائيل والشعوب (عبري)، ج3، تل أبيب، مؤسسة (اقر)، 1971، ص255-256.

(2) إن جهاز الإدارة المدنية تحت إمرة هربرت صموئيل كان مكوناً من عشرة أشـخاص سـتة مـنهم يهـود وهـم: ديـدز سكرتير الإدارة المدنية، سمولود سـكرتير الإدارة الماليـة، نورمـان بنتـوتش نائـب عـام، هـراري للتجـارة والصـناعة، وسلمون للمخزونات، ويجلند وينجت قائد مقاطعة حيفا والأربعة الآخرون أنصاف يهـود هـم: جرانـت للأشـغال العامة، بومن للتعليم، ستورز قائـد مقاطعـة القـدس، سـتيرلنغ قائـد مقاطعـة يافـا، انظـر: عبـد الله التـل، خطـر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية - القاهرة: دار القلم، 1965 - ص241.

(3) أحمد طربين، محاضرات في تاريخ القضية الفلسطينية، القاهرة، مطبوعات معهد الدراسـات العربيـة العـالي، 1959، ص108-109.

لمدينة القدس تخضع لنظام خاص تديرها هيئة الأمم المتحدة[1]، وأما المشروع الثاني فيتضمن إنهاء الانتداب وقيام دولة اتحادية عربية يهودية عاصمتها القدس، وقد قبل العرب برأي الأقلية ورفضوا رأي الأكثرية على عكس اليهود.

بعدها اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها رقم (181) في يوم 29 تشرين الثاني / نوفمبر عام 1947، والذي يقضي بتقسيم فلسطين باتفاق (33) صوتاً ضد (13) صوتاً وامتناع (10) عن التصويت[2]، فهذا القرار بجوهره يقوم على ما اقترحه تقرير الأغلبية مع تعديلات إقليمية طفيفة[3].

وفي هذه الأثناء كانت فلسطين قد وصلت إلى حالة شديدة من الفوضى، وأعلنت حكومة الانتداب عن نيتها الانسحاب من فلسطين في 15 أيار عام (1948)م، ورفضت القيام بمهمة تنفيذ قرار التقسيم على الرغم من الضغوط الأمريكية بهذا الخصوص[4].

الملاحظ أن حكومة الانتداب قد بلغت أقصى مدى من التحيز للوكالة اليهودية، فنجدها قد حاربت فكرة جامعة الأقصى في القدس، والتي نادى

---

(1) لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين United Nation Special Comnitte of Palestine, (U.N.S.C.O.P). وتكونت في (أستراليا، كندا، تشيكوسلوفاكيا، غواتيمالا، الهند، إيران، هولندا، بيرو، السويد، بورغواي، يوغسلافيا) وأما مشروع الأكثرية فقد تبنته (كندا، تشيكوسلوفاكيا، غواتيمالا، هولندا، بيرو، السويد، بورغواي) ودافع عن هذا المشروع جورج غراسيا غرانا دوس، مندوب غواتيمالا، وزعم أن الولايات المتحدة لم تقم بالضغط على أي من الدول لتحقيق القرار. أما مشروع الأقلية فقد تبنته (الهند، إيران، يوغسلافيا) ودافع عن هذا المشروع محمد ظفر الله خان مندوب الباكستان - انظر - كامل أبو جابر، الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، القاهرة، معهد البحوث والدراسات، 1971، ص74-75.

(2) صوتت ضد المشروع الدول العربية وأفغانستان وكوبا واليونان والهند وإيران وباكستان وتركيا، ورفضت الإدلاء بصوتها دول أخرى من بينها بريطانيا والصين، ومن بين الدول التي صوتت لصالح المشروع الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وفرنسا.

(3) كامل أبو جابر مرجع سابق، ص75، وللإطلاع على كامل مشروع التقسيم، انظر: عباس كرد، مرجع سابق، ص233.

(4) كامل أبو جابر، مرجع سابق، ص78.

بهـــا بعض مفكري العرب ورجـالاتهم، بيـنما نجـدها تـدعم فكـرة الجامعـة العبرية وتبارك أمرها، وأغدقت عليهـا مسـاعدات منقطعـة[1]، وقـد تـم وضـع حجـر الأساس لها في 24 تموز/ يوليو 1918، وكـان يتكـون مـن أحـد عشرـ حجـراً[2]، كرمـز لأسباط اليهود الأحد عشر وهم "أولاد يعقوب" وقام بافتتاحها بلفور في آذار / مـارس عام 1925[3]. إن مخالفة دولة الانتداب لميثاق عصـبة الأمـم واضـحة سـواء بتسـهيل نقل ملكية الأراضي لليهود أو زيادة الهجـرة، ومـا الأعـمال البريطانيـة إلا أعـمالٌ غـير مشروعة ومخالفة للأعراف والقوانين الدولية، ولميثاق عصبة الأمـم المتحـدة وللـمادة (22) والمتضمنة عدم التنازل أو تأجير أو وضع تحت تصرـف أي دولـة أجنبيـة وبأيـة صورة أرض الدولة التي تحت الانتداب.

ولاشك أن اليهود نجحوا في مخططاتهم واستطاعوا انتزاع الأرض وإقامة دولـة، وهذا يقودنا إلى دراسة الفكر العقائدي اليهودي المرتكز على مبدأ شعب الله المختـار والذي كان السرّ وراء النجاح الذي يحققه اليهود غالباً.

3- مرتكزات الفكر العقائدي الصهيوني:

أ- الثوابت العقائدية:

لقد حرصت الصهيونية منذ البداية على إرساء قواعد ثابتة، تعـــــد بمثابة مرجعية عنــد صياغة أهدافها، فبدأت الدوائر الصهيونية تروج لفكرة، ترى في الحركـة الصهيونية رمزاً لنهاية مسيرتها الطويلة، وتضع حداً لمرحلة الشتات،

---

(1) حسن صبري الخولي، سياسة الاستعمار الصهيوني تجاه فلسطين في النصف الأول من القـرن العشرـين، ج1، القـاهرة، دار المعارف، 1973، ص509.

(2) Bentwich, N, England and Palestine - London 1932 p86.

(3) اقترح فكرة إنشاء الجامعة العبرية عالم الرياضيات هيرمان شبيرا سنة 1882، وفي مؤتمر فينـا اليهـودي سـنة 1913م، تقرر بناء الجامعة، وقد تأسسـت سـنة 1918، ودشـنها بلفـور سـنة 1925م. كلياتهـا: العلـوم الإنسـانية والعلـوم الطبيعية والطب والصيدلة والزراعة والتربية والحقوق والعلوم الاجتماعية، ولها فـروع في القـدس ورحبـوت وتـل أبيب، انظر: يوسف مروه ونورمان دندن، المؤسسات العلمية والثقافية في إسرائيل، بيروت، مركز الأبحـاث، 1967، ص7-9.

فكانت فكرة الدولة الصهيونية، التي يتحقق فيها وعد الخلاص الذي جاء به أنبياء بني إسرائيل، وتصديقاً لسلسلة الأحداث التاريخية التي رسمها آباء الصهيونية على شكل حضارة، لها خصائصها المميزة والتي ترتبط باليهود وحدهم. لذا فقد حددت الحركة الصهيونية ثوابت أيديولوجية وفق معطيات، لها دلالاتها في عقلية الصهيونية، تمثلت بما يلي:

1- التوراة[1]: عملت الحركة الصهيونية على تحويل العقيدة اليهودية إلى نظرية سياسية تطالب بحق تاريخي، وتستند إلى وعد إلهي، ولهذا اعتبر الدين اليهودي قاعدة أيديولوجية، ارتكز عليه الفكر التوسعي للكيان الصهيوني القائم، مسوغاً جميع خطواته العدوانية بوعود الرب لأنبياء بني إسرائيل، والذي قطع فيها العهد على نفسه بتملكهم أرض فلسطين والعرب، ففي وعده لإبراهيم يوم اجتيازه لأرض شكيم، وكان يقطن فيها الكنعانيون قال: "ارفع عينيك وانظر في الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وغرباً، لأن جميع الأرض الذي أنت ترى، لك أعطيها، ولنسلك إلى الأبد، واجعل نسلك كتراب الأرض"[2]، ومثل هذا الوعد أعطي لإسحاق وموسى الذي حدد لهما حدود أرض إسرائيل بقوله: "كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم من البرية ولبنان، من النهر نهر الفرات إلى البحر العربي تخومكم"[3].

وكذلك وعد الرب يوشع خليفة موسى[4] وداوود وولده سليمان من

---

(1) تعني التوراة التعاليم أو الشريعة عدد أسفاره (39) سفراً وجملة إصحاحاته (929) ويقسم إلى ثلاثة أجزاء: الجزء الأول يضم الأسفار الخمسة الرئيسية وهي: التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية، والجزء الثاني مجموعة أسفار الأنبياء المتقدمين والمتأخرين، وأما الجزء الثالث يحوي حكم وآداب وأمثال وأخبار تاريخية ويشكل هذا الجزء الأول من الكتاب المقدس - أي العهد القديم - في حين يشكل الإنجيل الجزء الثاني - انظر - سهيل ديب، التوراة بين الوثنية والتوحيد - بيروت: دار النفائس، 1985، ص11-12.

(2) سفر التكوين، الإصحاح 13: (14-18).

(3) سفر التثنية، الإصحاح 11: (23، 34).

(4) سفر يوشع، الإصحاح 1: (1-4).

بعده[1]، وعللوا كل ذلك باختيار الرب لهم من دون البشر[2]، والغريب بـالأمر كيف يؤمن اليهود بهذه التي جاءت على لسان أنبياء كذابين زنـاة سـارقين عـلى حـد وصفهم لهم[3].

إن النصوص التوراتية تحولت إلى نظرية سياسية أقنعَ اليهودُ بصحة نصوصـها الغَربَ، فآمنوا بها نتيجة إيمانهم بالكتـابِ المقـدس الـذي يؤلـف التـوارة شِـقَّهُ الأول، فحصلوا على المساعدات وذللوا الصعوبات واجتازوها وصولاً للوطن القومي اليهودي في فلسطين.

2- التاريخ اليهودي: إن التاريخ اليهودي القديم كما تصوره التـــــوراة تاريـــخ عسكري، فجنود موسى ويهودا وداود لم يتوقف القتال حتى فيما بينهم، فلم يكونوا متساهلين حتى مع أعدائهم المهزومين، ويهوا إله الكيان الصهيوني كــــان أيضاً إله الجيوش اليهودية الذين قاتلوا ضد الآشوريين والبابليـــين والمصريين والفارسيين والرومان[4]. ويقول بن غوريون[5]: "إن كل

(1) سفر الملوك، الإصحاح 1: (9-13).

(2) لقد زعم اليهود أنهم شعب الله المختار أو صفوة الـرب وأن بـاقي الشـعوب (جـوييم) أي بهـائم ومطايـا لهـم، وإن اسمهم جاء من أبيهم (إسرائيل) يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، وإسرائيل كلمة عبرية مركبـة مـن (إسرأ) بمعنـى عبد أو صفوة، (وايل) بمعنى الله فيكون معنى الكلمة صفوة الله. وهذه الفكرة لها نتائجها الخطيرة، لأنهـا تشـجع معتنقيها على العدوان واستغلال الآخرين وارتكاب الآثام استناداً لهذا التفضيل، كما تدفعهم إلى احتقار الشـعوب الأخرى والحط من شأنهم، والحق أن التفضيل الذي قصـد إليـه القـرآن تعـالى: ﴿ وَأَنِّي فَضَّـلْتُكُمْ عَـلَى الْعَـالَمِينَ﴾ (البقرة:47)، هو تفضيل موسى وأتباعه المُوحِّدين على فرعون وأتباعـه الكـافرين. وقـد علـل بعـض العلـماء هـذا التفضيل بكثرة أنبيائهم، ولكن الكثرة حجةٌ عليهم ودليلُ اتهـام عـلى سـوء عنصرهـم المتمثـل بمحـاربتهم للأنبيـاء وقتلهم وهذا سيجلب لهم الويل يوم القيامة للمزيد - انظر - عبد الأحد داود، محمد في الكتاب المقدس، ترجمة فهمي شما - قطر: دار الضياء، 1985، ص59-60.

(3) للإطلاع على موقف بني إسرائيل من أنبيائهم - انظر - السموأل بن يحيى المغربي، إفحام اليهـود وإسـلام السـموأل، تقديم وتعليق محمد عبد الله الشرقاوي - الرياض: إدارة البحوث، 1407هـ ص149-150.

(4) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية العسكرية الصهيونية، المجلد الثاني - القاهرة، مؤسسة الأهرام 1974 ص18-22.

(5) بن غوريون: ولد في بولندا ودرس القانون في جامعة استنبول عام 1912م وتسلم عـدة مناصـب في الإدارة اليهوديـة كسكرتير للهستدروت ورئيس للوكالة اليهودية. ومهمة الأمـن في الوكالـة اليهوديـة، وعضـواً في الكنيسـت ورئيسـاً لوزراء الكيان الصهيوني مات عن خمس وثمانين عاماً - انظـر - شخصـيات صـهيونية. ط1 - ترجمـة عبـد الكـريم النقيب - عمان - دار الجليل للنشر، 1987، ص150-153.

تاريخ إسرائيل القديم يرويه لنا الكتاب المقدس، إنْ هو بالدرجة الأولى إلاّ تاريخ إسرائيل العسكري، لقد حارب اليهود الأوائل الآشوريين والبابليين والمصريين والكنعانيين والعموريين والفرس والإغريق والرومان، وعندما هزموا على يد تيطس قتلوا أنفسهم في مسعدة رمزاً لإراداتها"، لذا دأب العسكريون الإسرائيليون على ربط معارك اليهود في الماضي السحيق بمعاركهم في الزمن الحاضر ليقنعوا أنفسهم قبل غيرهم بأنهم أصحاب مهمة ربانية [1]. لقد استلزم الواقع من دعاة الحركة الصهيونية تثبيت مثل هذه المفاهيم في وجدان المواطن الصهيوني، وخلق رباط تاريخي متين بين الماضي السحيق وحاضرهم. لان الحرب حتمية تاريخية لا محيد عنها لإنجاز الرسالة اليهودية وتحقيق أماني الحركة الصهيونية، ولهذا عقدوا المقارنات بين فرسان داوود وسليمان ودبابات موشيه ديان عام 1967م.

إن منظري الحركة الصهيونية رأوا في تلقين الجيش الإسرائيلي، دروس التاريخ العسكري اليهودي القديم جنباً إلى جنب مع الدروس الحربية المستقاة من التاريخ العسكري العالمي القديم والحديث، أمراً تقتضيه الضرورة ومستلزمات المرحلة التاريخية، التي هي بمثابة امتداد لمراحل التاريخ اليهودي وامتداد لتاريخ داود وموسى وشاؤول الذين جابوا أرض فلسطين قبل مئات السنين منتصرين، فقيمة المعارك التي خاضوها والنظريات التي طبقوها لا تقل شأناً عن معارك يهود اليوم مع أعدائهم، ونظريات التاريخ العسكري الحديث تدلل على صدق تلقينهم[2].

لذا صاغوا تاريخهم الدموي في مذابح كفر قاسم وقبية ودير ياسين

(1) مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية - مرجع سابق - ص16.

(2) هيثم الكيلاني، المذهب العسكري الإسرائيلي - دمشق - وزارة الدفاع السورية، 1962، ص65.

وصبرا وشاتيلا، على غرار صياغة يوشع بن نون لهذا التاريخ في (عاي) و (أريحا) عام (1260) ق. م[1]. هذا مضمون تاريخهم الذي انبرت عشرات الكتب والدراسات التاريخية تردد أن لليهود حضارة وتاريخاً عريقاً مستقلين، إليهما يرجع الفضل في حفظ الهوية اليهودية عبر مئات السنين، فهم يعزون سبب تخلف منطقة شرق البحر المتوسط نتيجة رحيلهم عنها، وقرنوا تقدمها بعودتهم إليها[2].

لقد أدرك اليهود أهمية وقيمة العِرْض عند العرب فأشاعوا الخوف حول هذه القيمة، فأخليت قرى كاملة خوفاً من اعتداءات اليهود على أعراضهم[3]، فجعلوا من ذلك نصراً ضموه لتاريخهم وتفاخروا به، لتكتمل صورة التاريخ اليهودي الحديث مع صورته القديمة القائمة على القتل والتشريد والتخريب، وهذا في حد ذاته مرفوض لدى المؤرخين وأهل الفكر.

إن ما يمكن تفسيره لدى الصهاينة بالاعتماد إلى سند تاريخي كمنطلق لصياغة أيديولوجيتهم، هو ما يحمله التاريخ من مصداقية ذاتية تجعله أحد العوامل الحاسمة في تكوين المواقف والاتجاهات المبنية على ما يتوهم المرء أنه من حقائق التاريخ.

ب- المنطقات العقائدية:

لقد انطلقت الأيديولوجية الصهيونية من ركنين أساسيين هما التاريخ اليهودي والتوراة، وبنت عليهما جُلّ أفكار الصهيونية السياسية، لذا فقدت عمدت إلى التاريخ وصاغته بما يلائم هذه الفكرة، وجاءت بالنصوص التوراتية لتلبس ذلك الحدث ثوب القدسية، وعلى الرغم من هذا فالحركة

---

(1) محمد عوض الهزايمة، القدس في الصراع العربي الإسرائيلي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية: قسم العلوم السياسية 1989، ص8.

(2) قاسم عبده قاسم، البعد الثقافي للصراع العربي - الإسرائيلي - مجلة الوحدة، 25 أيار / مايو 1989 - ص35.

(3) المرجع السابق، ص37.

الصهيونية لا تعبر عن أيديولوجية مترابطة أو متناسقة، وإنما تضم اتجاهات تعبّر كل منها عن فكرة فضفاضة تتسع لكل الآراء الناقدة[1]، لذا فقد عمدت إلى جوانب متعددة ضمتها معاً لتؤلف البنية الأساسية للانطلاقة الصهيونية عبّرت عنها بأحداث مستقاة من التاريخ أو من الواقع الدولي وهي:

1- رحلة الشتات (الدياسيورا): إن أبرز المواقف في حياة اليهود هو السبي البابلي بقيادة (بختنصر) الكلداني عام 576 ق. م وفي هذه الغزوة حرّف اليهود التوراة، ثم التدمير الروماني بقيادة (تيطس) الروماني عام (80 و 135)م، وكان هذا آخر عهدهم بفلسطين وبدأت رحلة الشتات[2]، فمنهم من ذهب إلى الجزيرة العربية، وأجلاهم المسلمون عنها لغدرهم وخيانتهم ونقضهم للعهود، ومنهم إلى شواطئ البحر المتوسط في بلاد شتّى، إلاّ أنهم ما كادوا يستقرون في بلد حتى يطردهم أهل تلك البلاد منها[3].

لقد سوغ منظرو الحركة الصهيونية من خلال الدوائر التابعة لها ترويجاً لفكرة ترى في الحركة رمزاً للخروج من العزلة وحياة الجيتو[4]، كما يرون فيها أيضاً تحقيقاً لتحرير اليهود من الشتات ونهاية لحياة المنفى، وبداية الاستقرار[5] ويعني هذا في التحليل الأخير أن فكرة الصهيونية في تصورهم

---

(1) عادل الجارد، دراسة في الأيديولوجية الصهيونية، مجلة العلوم السياسية، العدد 2 - 1988 ص145.

(2) أنور الجندي، المخططات التلمودية، اليهودية الصهيونية - القاهرة - دار الاعتصام - 1977 - ص31.

(3) لقد طردوا من إنجليز نهائياً عام (1275) م وعام (1700)م وطردوا من فرنسا سنة (1306)م. ومن سكسونيا سنة (1348)م، ومن هنغاريا سنة (1360) ومن سلوفاكيا سنة (1380)م وعام (1744)م، ومن النمسا سنة (1420)م، ومن هولندا وبلجيكا سنة (1944)م، ومن إسبانيا عام (1492)م، ومن ليتوانيا سنة (1495)م، ومن البرتغال سنة (1498)م، ومن إيطاليا سنة (1540)م، ومن بلغاريا سنة (1551)م - انظر - داود عبد العفو سنقرط، جذور الفكر اليهودي - عمان: دار الفرقان، 1987 - ص132-133.

(4) أخذ الوجود اليهودي داخل المجتمعات أشكالاً متعددة مثل حارة اليهود في البلاد العربية و (الشنتل) وتعني المدينة و (القهال)وتعني الجماعة و (مناطق الاستيطان والجيتو)- للمزيد عن حياة اليهود في مناطق سكناهم - انظر - عبد الوهاب المسيري - الأيديولوجية الصهيونية، القسم الأول - الكويت، عالم المعرفة، 1982، ص32-44.

(5) قاسم عبده قاسم، نحو رؤية عربية للمشروع الصهيوني، البُعد الثقافي في الصراع العربي الإسرائيلي -الوحدة - العدد 56 أيار / مايو 1989، ص34.

امتداد للفكر الخلاصي في اليهودية الوارد في سفر التكوين والذي يتلخص في جمع اليهود معاً من ديار الشتات.

2- **معاداة السامية:** إن مسألة استغلال معادة السامية مسألة حديثة، أوجدها اليهود الغربيون وخاصةً أولئك الذين يعيشون في أوروبا وأمريكا، وذلك كسباً لعدة أغراض منها الحصول على امتيازات خاصة كالتخلص من أعدائهم ومنافسيهم بزعم العداء الذي يظهره غير اليهود بسبب نقاء جنسهم واتساع مداركهم وتفردهم بامتلاك الثروة والمال[1].

إن هـذا الطرح الأيديولوجي (اللاسامية) حسب اعتقادهـــم حقـق مكاسـب منهـــا: أدى إلى تعـــاون اليهـود فـيما بيـنهم، وحفـظ هـويتهم مـن الضـياع، كـما ويعتبر حافزاً ومحركاً لتجـاوز حياة المنفى، ويـرى بـن غوريـــون أنـه لـو تـــرك لـه الخيـار لإرسال بعض الشبان اليهودي متنكرين إلى بلاد الديـاسبورا[2] ليرسموا صـلباناً معكوفة على جـــدران معابد اليهود[3]، ليضـطرهم للعـودة إلى الأرض المقدسـة ولما تأخـرت في ذلك[4]. لذا فقد استغل اليهود عدة مواقف يشهرونها في وجوه خصـومهم مثل مسألة (معاداة السامية)

---

(1) عبد العفو سنقرط، المرجع السابق، ص45-47.

(2) الدياسبورا كلمة يونانية معناها (تشتت أو تفرق) تطلق على اليهـود المنتشرـين خـارج فلسـطين بعـد السـبي، كـما تطلق على اليهود المنتشرين خارج فلسطين، ثم صـارت تطلـق عـلى اليهـود خـارج فلسـطين عبر التـاريخ (سـفر التثنية) إصحاح 28: (25) - انظر - دي لاسي أو ليري، جزيرة العرب قبل البعثة، ترجمة موسى علي الغول - عمان: وزارة الثقافة، 1990، ص88.

(3) أراد بن غوريون بهذا الاستفادة من أحداث التاريخ وبالـذات مـما ألحـق بألمانيـا النازيـة مـن تهمـة حـرق اليهـود، والواقع إن اليهودية الصهيونية وجدت أن التضحية باليهود الأرثوذكس الذين كانوا يعيشون في بولندا وألمانيا أمـرٌ لابد منه من أجل الحصول في النهاية عـلى تعـاطف وتسـويغ عـالمي يسـوغ لهـم الحصـول عـلى وطـن قـومي في فلسطين - للإطلاع على المزيد ووجهات النظر الدامغة في هذا الصدد انظـر - تقريـر فريـق نـورث بوينـت، درع الصحراء، والنظام العالمي الجديد، ترجمة محمد الظاهر ومنية سماوة - عمان: دار الكومل، /1991 - ص24-29.

(4) عبد الوهاب المسيري، الأقليات اليهودية بين التجارة والادعاء القـومي - القـاهرة: دار نـافع للطباعـة، 1975، ص78-ص188.

أو الاتهام (بالنازية)[1]، وذلك من أجل الحصول على مواقف سياسية أو مكاسب لا يستطيعون تحقيقها إلاّ بمثل هذه الطرق.

3- **المسوغات القانونية:** استندت الحركة الصهيونية إلى عدد من المسوغات القانونية لتضفي عليها الطابع الدولي، لتسويغ فكرة (الحق التاريخي) وترتكز عليها لتأكيد شرعية الكيان الصهيوني وهي[2]:

أ- وعد بلفور الذي صدر على شكل رسالة موجهة للصهيوني روتشلد، وأدمج فيما بعد في صك الانتداب الذي شمل فلسطين، وهذا الإدماج هو إنكار لأبسط قواعد العدالة، فتبني مبدأ وطن قومي يهودي في فلسطين يتعارض مع مبدأ حق كل شعب في تقرر مصيره من جهة[3]، كما ويعد التصريح وثيقة بمقتضاها قطعت أمة وعداً رسمياً لمجموعة من الناس بمنحها بلاد أمة ثانية[4].

ب- الاستناد إلى قرارات الأمم المتحدة بعد إشراك بريطانيا وفرنسا ثم أمريكا في تحقيق أهداف الحركة الصهيونية مثل: قرار الأمم المتحدة

---

(1) لقد اتهم بمثل هذا الاتهام كورت فولدهايم أمين عام الأمم المتحدة السابق (1972-1982). عندما رشح نفسه لانتخاب الرئاسة النمساوية، ولكنه تخطى هذه الاتهامات وخاض المعركة الانتخابية وفاز بالرئاسة.

(2) عبد الحسين شعبان، إسرائيل والشرعية الدولية، مجلة الوحدة، العدد 56 أيار / مايو 1989، ص58.

(3) هنري كتن، فلسطين، في ضوء الحق والعدل، ترجمة وديع فلسطين - بيروت، مكتبة لبنان، 1970، ص18.

(4) لقد صدر هذا الوعد في 2 تشرين الثاني / نوفمبر 1917 وينص على: "تنظر الحكومة البريطانية بعين العطف على إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وهي لن تدخر جهداً لتسهيل تحقيق هذا الهدف، على أن يكون واضحاً أن لا يؤول ذلك إلى إلحاق الضرر بالحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية الموجودة في فلسطين أو بالحقوق التي يتمتع بها اليهود والأوضاع السياسية التي لهم في أي بلد آخر"

- Leonard J. Stein, The Balfour Declaration - Lonon, Valeline new - York, Salmon, 1961 - p. 548-549,and look too - Judge Gerlad Sparrow, Modern Jordan - London, George Allen and Unwin (LTD), 1961-p. 59.

والقاضي بتقسيم فلسطين[1] بعد قيام أمريكا والدول الاستعمارية بتوجيه من الصهيونية إلى إقناع الدول للتصويت إلى جانب القرار.

جـ - حق الشعب اليهودي في إقامة دولة كباقي شعوب العالم استناداً لوعد بلفور وقرارات الأمم المتحدة اللاحقة، لا سند له في القانون الدولي، فحق كل شعب في التطور الحر والمستقل لا ينبغي أن يكون على حساب تشريد شعب عن أرضٍ له فيها حقٌّ تاريخي ثابت، فضلاً عن أنه لا يتم على أساس تجميع شتات شعب من قوميات مختلفة ومن جنسيات ودول في كيان مصنوع خصيصاً.

ووفقاً لهذا المبدأ فقد جاء طرح الزعيم الروحي هرتزل فكرة استيطان شعب بلا أرض على أرض بلا شعب، وبعد عدوان 1967 ذهب القادة الصهاينة إلى إنكار وجود الشعب الفلسطيني، في حين صرحت غولدامائير بالقول: "إنني لا أعترف بوجود الشعب الفلسطيني، إنهم لا وجود لهم"[2].

4- الاعتماد على دولة قوية: من المعلوم أن اليهود يسعون دوماً إلى الاستعانة بمراكز القوى في العالم، فقد دقت الحركة الصهيونية أبواب بريطانيا لتجد الاستجابة المتمثلة بتلاحم مصالح الاستعمار البريطاني مع الأطماع الصهيونية، لتبدأ حركة التخطيط الذي عكسته مذكرة وايزمن للحكومة البريطانية عام 1916م، والتي ضَمَّنها آراءه ومقترحاته بشأن فلسطين بقوله: "وإنا نضع قرارنا هذا بين أيديكم.. فَنِكلُ مصيرنا القومي الصهيوني إلى وزارة الخارجية البريطانية وإلى المجلس القومي الإمبراطوري، آملينَ النظرَ في القضية على ضوء المصالح الإمبراطورية ومبادئ الحلف"[3].

---

(1) صدر قرار التقسيم في 29 تشرين الثاني / نوفمبر 1947 وقد كان مع القرار (33) صوتاً ضد (13) صوتاً وامتناع (10) عن التصويت - انظر -

- L. Larry Leonard. The United Nations and Palestine International Conciliation - New York": Carnage Endowment for International Peace - 1949, P. 603-786.

(2) عبد الحسين شعبان، مرجع سابق، ص63-64.

(3) هاني الهندي، حول الصهيونية وإسرائيل، ط1 - بيروت: دار الطليعة، 1971، ص45.

ومع نجاح اليهود في إقناع بريطانيا بضرورة كسب تأييدهم عن طريق تعزيز المصالح المشتركة تبنت طموحاتهم وأصدرت وعدها المعروف.

اتجهت الجهود الصهيونية لكسب قوى عالمية أخرى كفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة لتنجح في مسعاها[1].

ولما بدت أمريكا لاعباً قوياً على المسرح الدولي توجهت الصهيونية إلى أمريكا للاعتماد عليها، فغزتها بالعقيدة بادئ الأمر وزرعوا في مسيحي أمريكا فكرة انبعاث المسيح من جديد بعد عودة اليهود إلى فلسطين، والحكم بها مدة ألف عام وبعدها يعم العالم السلام[2]، كما أنها استغلت التوراة وما فيها من وعود للتأثير على الرأي العام الأمريكي في انتزاع ما تريده من الإدارة الأمريكية[3]، ناهيك عن دور الأصوات اليهودية في الانتخابات الأمريكية، وما تلعبه من دور في كسب الإدارة الأمريكية لجانبها بحيث أقنعت أمريكا أن الصراع العربي - الإسرائيلي ما هو إلاّ صراع بين الشرق والغرب. كما استثمر اليهود حالة العداء الأيديولوجي الأمريكي - السوفياتي، فلوحت لأمريكا بأنها في نفس الخندق المعادي للشيوعية[4].

فالدارس لطبيعة الفكر الصهيوني من خلال منطلقاته الأيديولوجية، يجد أن التاريخ اليهودي كما صوروه مبني على الحروب والقتل والنهب والتشريد، فهم بلا شك عازمون على محاربة الأمم للظفر مرة أخرى بالمجد

---

(1) من مظاهر نجاح اليهود في هذا المسعى تمثيلهم أمام المجلس الأعلى للحلفاء عام 1919م، وإشراكهم في صياغة مواد صك الانتداب الذي يتألف من (28) مادة جميعها لصالح قيام وطن يهودي بفلسطين. للإطلاع على مواد الصك ومعلومات أخرى حوله - انظر

- عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط2 - بيروت: المؤسسات العربية للدراسات والنشر 1973 - ص388-398 - انظر أيضاً -

- Lard Sdenham of Combe, the Tragedy of Palestine, The Nineteenth Century and After - London, May 1930, p. 603.

(2) الأرقم الزعبي، حقائق عن اليهودية، ط1 - دمشق - الدار المتحدة، 1990 - ص111.

(3) هنري كتن، مرجع سابق، ص24.

(4) المقدم الهيثم الأيوبي، المرجع السابق، ص35-36.

القديم الذي فقدوه، وبتفعيل التوراة يعني إضفاء طابع القدسية على كافة الأعمال الموجهة تجاه تحقيق الأهداف الصهيونية[1]، والدارس لتلك الطبيعة من خلال منطلقاتها الأيديولوجية، يجد بطروحات رحلة الشتات وجمع الشمل هذا يتطلب أرضاً لقيام دولة، وبمعاداة السامية يقتضي شّنَّ حملة تشهيرية ضد من يقف أمام تنفيذ مخططاتهم، وبالاستناد إلى مسوغات قانونية أرادوا استغلال كل ما يمكن استغلاله في خدمة أهدافهم، وبالاعتماد على دولة قوية هذا من شأنهم جعل الآخرين في خندقهم الأول، من هنا نجد ذلك كله يصبّ في هدف عام ألا وهو إقامة إسرائيل الكبرى انطلاقاً من فلسطين.

الاستقلال المحلي بفلسطين، وفي (14) أيار / مايو عام 1948 أخذ المندوب السامي يطوي اوراقه استعداداً للرحيل، بدأ بعدها الجو العام يوحي بميلاد حقيقي لدولة غريبة في الوسط العربي، وفي (15) أيار / مايو 1948 وقف الرئيس الأمريكي (ترومان) ليقول: "أنه على الاستعداد للاعتراف الفوري بدولة إسرائيل إذا ما تسلم طلباً بذلك)، فما كان من ممثل الوكالة اليهودية (إلياهوإيلات) إلا أن قدم للرئيس ترومان ذلك الطلب، وعلى الفور أعلنت دولة إسرائيل وتتابعت دول العالم بالاعتراف بها. وأصبحت عضواً في هيئة الأمم، وانهالت عليها المساعدات الدولية الغربية فيما بعد، لتسابق الزمن من أجل بناء كيان الدولة للوقوف على قدميها كبقية دول المنطقة.

لقد دخلت إسرائيل أول معركة حربية عام 1956 ضد مصر بالاشتراك مع بريطانيا وفرنسا، (العدوان الثلاثي) بعد تأميم قناة السويس،

---

(1) وصمت الصهيونية في (10) تشرين الثاني / نوفمبر 1975 بأنها شكل من أشكال العرقية والتمييز العرقي، حيث صدر بذلك قرار يحمل الرقم (93379) عن الجمعية العمومية للأمم المتحدة، إلاّ أن قوة الضغط الصهيوني على صنّاع القرار في الغرب وفي مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية، والنفوذ القوي الذي تمارسه الصهيونية العالمية على صعيد هيئة الأمم المتحدة، تم في عام 1992 إلغاء القرار المشار إليه - للإطلاع على تفاصيل القرار - انظر - (ما هو القرار 93379)، مجلة المنابر (بيروت)، العدد (10)، كانون الأول / ديسمبر 1986 - ص89-91.

ولكنها انسحبت من الأراضي المصرية كما فعلت ذلك بقية دول العدوان.

يعتبر المشرق العربي الإسلامي والذي تعد فلسطين والقدس بالذات الأرض المباركة لقوله تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ) (الاسراء:1)، المسرح الجغرافي للسياسة الاستيطانية الصهيونية، فبعد استيلاء اليهود على الجزء الساحلي الفلسطيني بمساعدة الدول الغربية، أخذت أنظارها تتجه للاستيلاء على كامل فلسطين، فأعدت العدة وتذرعت بالأسباب، وشنت عام 1967 حرباً خاطفة على البلاد العربية، فالأطماع الصهيونية يمكن تقسيمها إلى: أطماع دينية حددتها المضامين التوراتية وينادي بها المتدينون اليهود فحدودها من نهر مصر إلى نهر الفرات، وأطماع تاريخية ينادي بها العلمانيون اليهود وهي الأرض التي شملت مملكة داود وحدودها من دان إلى بئر السبع[1]، وهذه تشمل أجزاء من سوريا ولبنان والعراق والأردن[2]، ويجدر بنا أن نذكر أنه لن يكون لمفهوم أرض إسرائيل مضمون إقليمي محدد، وإن كانت تعني دائماً رقعة جغرافية أوسع من فلسطين، فحدود الوطن القومي ظلت تتحدد بأقصى ما تسمح به الظروف وطبيعة المشروع الصهيوني.

4- تطويع العقيدة لمعركة الوطن وإقامة الدولة:

كثير من المسيحيين الغربيين إن لم نقل أغلبهم، قد آزروا الصهيونية، لاعتقادهم بأن نبوءات التوراة حول عودة اليهود إلى فلسطين، واقعة حتماً.

---

(1) المقصود بنهر مصر هو الذي يقع بالقرب من مدينة العريش في سيناء على البحر المتوسط، ودان بلدة تقع في سوريا وعلى سفوح جبل حرمون من الجهة الجنوبية الغربية، وبئر السبع عاصمة النقب الفلسطيني - انظر - الكتاب المقدس، خارطة افلسطين في العهد القديم - دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط - 1987، ص1 - انظر أيضاً - الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني المجلد السادس، 1991، ص551.

(2) للإطلاع على حدود الدولة في نظر العلمانيين انظر - محمد عوض الهزايمة، الأيديولوجيا والسياسة الخارجية (دراسة مقارنة)، رسالة دكتوراه دولة (غير منشورة) تونس: كلية الحقوق والعلوم السياسية 1994-ص 105-106.

ولذلك قال وايزمن: "إن من الأسباب الرئيسية لفوز اليهود في الحصول على تصريح بلفور من بريطانيا، بإنشاء الوطن القومي اليهودي، هو شعور الشعب البريطاني المتأثر بالتوراة"[1].

ولا ننسى أن ساسة بريطانيا المتصهينين، بفعل صهيونية التوراة، التي تَشرَّبوها في البيت، وفي اجتماع الكنيسة، وفي المدرسة. قد وجهوا سياسة إنجلترا لخدمة الصهيونية وتحقيق مآربها. فقد ظهر اهتمام بلفور باليهود قبل ظهور الصهيونية الهرتزلية. وكان من أثر اهتمامه البالغ بالفلسفة اليهودية، أن رأي الدين والحضارة المسيحيين، يدينان لليهودية. ولعل هذا الاهتمام يعود، كما تقول ابنة أخته، إلى دراسة أمه للعهد القديم، وإلى تربيته الأسكوتلاندية[2]. وطالما كان رفاقه يرونه غارقاً في سفر أشعياً. يتغنى بالشوق والحنين إلى "أرض الميعاد". وكان يرى في اليهود شعباً منفياً، وأنه من الواجب إعادتهم إلى وطنهم.

وللشعب الأمريكي عطف خاص على اليهود، لأن أكثريته من البروتستانت، المتأثرين، إلى حد بعيد، بتنبؤات التوراة، بعودة اليهود إلى فلسطين. حتى أن رجال الكنيسة البروتستانية أخذوا يتدخلون متشددين، لتأييد القضية اليهودية. ففي عام 1945 وقع نحو خمسة آلاف قسيس منهم، مذكرة رفعوها إلى الحكومة طالبين فيها فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية.

والحقيقة أن أغلب سكان البلدان الجرمانية والأنكلوسكسونية، خاصة طائفة البروتستانت، وجميع الفرق المنشقة عنها أو المتحدرة منها، قد نشأوا في تواصل حميم مع التوراة. مما وَلَّد في نفوسهم عطفاً على الصهيونية. فالسياسي الإنجليزي لورنس أو ليفانت صاحب كتاب "أرض جلعاد"، 1880 هو من أبوين إنجيليين. استوطن حيفا، وفيها مات عام 1881. حاول

---

(1) جورجي كنعان، وثيقة الصهيونية في العهد القديم - بيروت: دار النهار للنشر، 1982 - ص133-135.

(2) Blanche Dugdale: "Arthur Balfor". 1936. p. 433.

الحصول على براءة من السلطان العثماني، تقضي بمنح اليهود جنوبي سوريا، لاستصلاح الأراضي وتعميرها. وكان من شدة إيمانه بالعنصر اليهودي، وبمقدرته على التفوق والتعمير، أن جعل شعاره "تجديد شباب تركيا بواسطة اليهود وتحت إشراف بريطانيا".

متنبئ آخر مثل هتشلر، هو فرانك جناوي. أكد في مقالاته وكتبه أن الحركة الصهيونية هي العلامة الدالة على قرب مجيء المسيح، ليبسط سلطانه على العالم من على عرشه في القدس. وقال: "إن هجرة اليهود إلى أرض كنعان تمثل التحقيق المطلق لتلك النبوءات، فيما يتعلق بعودة اليهود إلى أرضهم، قبل مجيء المسيح المنتظر إلى هذا العالم[1]".

وبعد فرض الانتداب البريطاني على فلسطين، أصدر عام 1922 كتاب "فلسطين والعالم". طبع شعاره على الغلاف "أرض إسرائيل لشعب إسرائيل".

وجناوي كان الناطق باسم الطائفة الدينية المعروفة بـ "إخوة المسيح". وقد تركزت دعواتها التبشيرية على تفسير نبوءات الكتاب المقدس، خاصة سفر الرؤيا. ومحاولة تطبيقها على الأحداث الجارية والمستقبلية.

وسياسي آخر مثل بلفور هو المستر سكوت، رئيس تحرير صحيفة المانشستر غارديان. يقول وايزمن: إنه اجتمع به، وبسط أمامه بعض الأفكار الصهيونية. فانبرى الصحافي الإنجليزي، ذو النفوذ القوي والواسع، قائلاً: إنه مستعد لمساعدتنا في أي مسعى نبذله لصالح اليهود.

---

(1) Frand Jannaway: "Palestine and the Jews". or: "The Zionist Movement an Evidence that the Messiah will soon appear in Jerusalem to rule the whole therefrom". 1914

لماذا؟

مستر سكوت مسيحي، تَقلَّبَ في إيمانه تحت وطأة مجموعة من التأثيرات. فهو مرة رافض لعقيدته المسيحية. ومرة شاك في ما يتعلق بالآخرة. وكان قد نوى في شبابه، الانتساب إلى سلك الكهنوت. ثم تراجع، لأنه لم يمل إلى مثالية المسيحية وأخلاقية المسيح. بل استهوته الديانة اليهودية. أولاً: لأنه تَشرَّبَ بالتوراةَ منذ نشأته. وثانياً: لان العقيدة اليهودية، حسب تفكيره تفوح منها رائحة العنف، وصفاء العرق، واختيار العنصر، قد تفاعلت في نفسه، فوافقت هواه. وتجاوبت مع ميوله. وهكذا وقف من وايزمن وقفة هتشلر من هرتزل. فكان، بحكم عمله الصحفي، يمثل صلة الوصل بين حاييم وايزمن وبين شخصيات بريطانيا وقادتها السياسيين، من مثل لويد جورج وسواه.ويقول عنه وايزمن: "إنني تعرفت على رجل قيمته لا تقدر بالنسبة للحركة الصهيونية، لأن عطفه على المثل العليا اليهودية كان عظيماً، ونفوذه الشخصي العام كان هائلاً"[1].

كـان أغلب زعماء بريطانيا ينادون بالصهيونية، ويبشرون بها في المحافل والمؤتمـــرات، أكثر من الصهيونيين أنفسهم. وهذا بفعل ربط التوراة بالإنجيل، حيث رسخ في الأذهان تقريباً في الشرق والغرب، أن عودة اليهود إلى فلسطـين، وإقامة دولة لهم، وإعادة بناء الهيكل المزعوم، إنما هو حق ديني وإرادة إلهيـة.. لأن تراث اليهود أو ما يسمى (التوارة) أخذه المسيحيـون، وأطلقـوا عليه اسم (العهد القديم). كما أطلقوا على إنجيلهم اسم (العهـــد الجديد) وجمعـوا العهدين في ما يسمى (الكتاب المقدس)[2]. إن التأثر بهذا الكتاب المقـدس هو الذي دفع بلفور صاحب الوعد المشهور، لأن يذهب إلى

---

(1) Paul Goodman & Arthur Lewis: "Zionism". 1916. p. 3 وانظر ما كتبـه في هـذا الموضـوع الـدكتور أسـعد رزوق في كتابه: إسرائيل الكبرى. منشورات مركز الأبحاث - بيروت.

(2) جورجي كنعان، مرجع سابق، ص12.

أمريكـا، ويتصل بزعمـاء اليهود، داعياً إياهم إلى نصرة الصهيونية، والالتفاف حول زعمائها، لدرجة أنه أطلق، في خطاب له في واشنطن سنة 1917 قوله المشهور: إنني صهيوني[1].

ومثله كان لويد جـورج، الـذي قـال في أحـد خطبـه: "لقـد تربيـت في مدرسـة تعلمت فيها عن تاريخ اليهود أكثر بكثير مما تعلمته من تاريخ بلادي أنا، وفي وسعي أن أخبركم بجميع ملوك إسرائيل، ولكني أشك في مقدرتي على أن أسمي لكم ستة من ملوك إنجلترا، لقد تشبعنا كل التشبع بتاريخ الجنس العبري)[2] رب سـائل يسـأل: مـا السر الذي جعل السياسة البريطانية تزرع إسرائيـل في فلسـطين وتسـلمها إلى أمريكـا تدعمها وتؤازرها وتعطف عليها، فـالجواب مـن عنـد وايـزمن رئـيس دولـة إسرائيـل بقوله: "من حقك أن تسأل ما هي أسباب حماسة الإنجليـز لمسـاعدة اليهـود، وشـدة عطفهم على أماني اليهود في فلسطين؟ والجواب أن الإنجليز، لا سيما أصحاب المدرسة القديمة، هم أشد الناس تأثراً بالتوراة، وتدين الإنجليز هـو الـذي سـاعدنا في تحقيـق آمالنا، لأن الإنجليزي المتدين يؤمن بما جاء في التوراة، مـن وجـوب عـودة اليهـود إلى فلسطين، وقد قدمت الكنيسة الإنجليزية من هذه الناحية أكبر المساعدات"[3].

إذا كـان هذا في بريطانيا، فماذا عن الساسة الأمريكان ومـدى العلاقـة التـي يقيمونهـا بين إنشاء إسرائيل والتوارة؟ في هذا يقول الـرئيس الأمـريكي ويلسـون: (أنـا صهيونـي)[4] وقال الرئيس جيمي كارتر: "إن إنشاء دولة

(1) المرجع السابق، ص135.

(2) المرجع السابق، ص11.

(3) مذكرات وايزمن ص18.

(4) مذكرات وايزمن ص18.

إسرائيل هو إنجاز النبوءة التوراتية وجوهره"[1]، وقال الـرئيس ريغـان: "إننـي أستمد دعمي لإسرائيل من الكتاب المقدس"[2].

إن الدعم الغربي اللامحدود لإسرائيل مصدره الكتاب المقدس حيث شكل أهم المرتكزات أو القواعد التي بنيت عليها الخلفية الفكرية عنـد الإنجليـز، فهـي ما اقتطع من كتاب العهد القديم، من عبارات ومضامين، تخدم مصالح اليهـود وتحقـق مآربهم. مثل: اختيار الله لهم.. وحقهم المقدس بأرض فلسطين..

فكتاب العهد القديم كان له أكبر الأثر في تأسـيس وتكـوين القاعـدة الفكريـة عند الإنجليز. حتى أن كبار رجال السياسة كانوا صـهاينة أكـثر مـن اليهـود أنفسـهم. وكانوا يرون في إعادة اليهـود إلى فلسـطين، وإنشـاء دولـة لهـم، ونشرـ ظـل الحمايـة والعطف والعون لهم. إنما هو تحقيق لوعود الله في الكتاب المقدس، وتنفيـذ لإرادتـه ورغبته. وفي ذلك منتهى التدين والإيمان.

وقد أدرك اليهود هذه الناحيـة، واسـتغلوها، فعنـدما بـدأت الصـهيونية تبـث الـدعوات، مرتكـزة عـلى وعـود التـوراة ونبوءاتهـا، كانـت عقـول الساسـة الإنجليـز والأمريكان، أرضاً خصبة لتقبل هذه الدعوات، والعمل على تحقيقها[3].

لذا فكيان إسرائيل الديني كان، ولا يزال متجذراً في صدور المسيحيين الغربيين، للعلاقة القائمة بين التوراة وبين الإنجيل، لقد أخذ هذا الكيان ينمو ويكـبر مـع نشـوء القوميات في القرن التاسع عشر، حتى صار كياناً أساسياً عملت بريطانيا على زرعه في فلسطين، وجاءت أمريكا تسقيه وترويه من عيون أبنائها ومن دمائهم.

ومن خلال الاستعراض السابق للقضية الإسلامية الفلسطينية يمكننا الوقوف

---

(1) إبراهيم صبحي الشهابي، نقاط على الحروف في الصراع العربي - الصهيوني - دمشق: دار الآدهم - 1986 - ص54.

(2) الارقم الزعبي، حقائق عن اليهودية ص 12 وما بعدها.

(3) جورجي كنعان، مرجع سابق، ص137.

على عدة حقائق هي:

1- إن المعركة التي كسبها اليهود وخسرها العرب هي معركة دينية قلباً وقالباً. فقد عملوا فيما بينهم على أن قيام الكيان القومي اليهود لا يقوم إلا على أساس الدين وقد نجحوا، وأما العرب فقد حيدوا الدين فخسروا الخسران المبين.

2- إن الطرف الذي يأخذ بعقيدته الدينية يلقى تأييد وتآزراً من كل أبناء عقيدته، أينما كانوا وحيثما حلوا، والطرف الذي يأخذ بقوميته المنقطعة عن عقيدته، فإنه لا يلقى ذلك التأييد وتلك المؤازرة، فالعرب بهذا السبيل خسروا الدعم المعنوي والمادي بكافة أشكاله وكما يجب أن يقدم بناءً على شرعة الإسلام من الدول الإسلامية خارج إطار العالم العربي.

3- إن الدين يبني ممالك كبيرة وإمبراطوريات، فالدولة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والراشدين وبني أمية والعباسيين كان دينها الإسلام وبالإسلام كان مجدها، والتخلي عن الدين يتنزّل الضعف والذل والهوان، فخلافة العثمانيين قامت بالدين وانهارت بسبب ضعف التمسك به، لذا فلا عجب من ضياع فلسطين فقد ضاعت من قبلها الأندلس، وستبقى أرض الإسلام تنقرض شيئاً فشيئاً حتى يفيق المسلمون ويغيروا ما بأنفسهم، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) (الرعد:11).

4- إن إزالة الكيان السياسي اليهودي، لا يتم إلا مترافقاً مع إزالة هذا الكيان من عقول الغربيين ومن عواطفهم، لأن الدول الكبرى وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا مؤمنة بهذا الكيان، ويصعب على العرب مقارعة هذه الدول العين بالعين والسن بالسن، فلا يبقى

إلا عملية غسل أدمغــة الغربيين مـن الأباطيـل التـي حشـتها فيـه اليهوديـة المتصهينة وتنقية عواطف الغربيين التي أفسدها عهر اليهـود ودعـارتهم، وقضـية تنقيـة العواطـف مـن فسـاد التـوراة المحرفـة، وتنـوير العقـول المظلمة بالوعي والحق والمعرفـة. وتفتـيح العيـون الكليلـة عـلى حقيقـة التوراة ليست بالأمر، السهل لأن هذه التوراة متجـذرة في نفـوس معظـم الغربيين[1].

إن اليهود أخذوا بكل أسباب القوة، وفي مقدمتها إشراك اليهـود في كـل أنحـاء المعمورة وأصدقائهم ومن يواليهم في سبيل امتلاك الوطن وإقامة الدولة، سـواء كـان ذلك بدعاوى دينية وغير دينية، وأشعلوها فيما بينهم حرباً دينية ضـد العـرب ومـن يواليهم، وارتضى العرب بأن تكون حربهم مـع اليهـود حربـاً قوميـة فأسـموا القضـية باسم القضية الفلسطينية، وحرموا أنفسهم من مساعدة المسلمين خارج إطار الـوطن العربي، ولو أخرجوا قضيتهم بثوب عقائـدي يسـتند عـلى الـدين لشـاركهم في المحنـة دول إسلامية، ومتطوعون من دول إسلامية، وآخـرون مـن دول خـارج حـدود العـالم الإسلامي.

5- محطات سياسية في تاريخ القضية:

لقد مرت القضية الفلسطينية بعدة محطات سياسية، والبحث فيها يحتاج إلى وقت وجهد كبيرين، ولكننا في هذه الدراسة، سنتناول بعضاً منها والتي كان لهـا كـبير الأثر في مسيرة القضية الفلسطينية، حتى وصـلت إلى مـا وصـلت إليـه اليـوم، وهـذه المحطات هي:

أ- مؤتمر القمة العربية 1974، الذي أسفر عن قرار فلك الارتبـاط، واعتبـار منظمـة التحرير الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني:

أهــم التطورات السياسية في تاريخ القضية قرار فك الارتباط بخصوص الضفة الغربيـة مع الأردن بعد استمرار العلاقة السياسية حتى عام 1967م،

(1) جورجي كنعان، مرجع سابق، ص15.

حيث اجتاحت القــوات الصهيونية الأراضي العربية، وأنهت السلطة الفعليـة الأردنية على الضفة الغربيــة، أصبح فيما بعد مجالٌ للعمل الفدائـــي، وهذا أسـهم في إبراز منظمة التحرير الفلسطينية كفاعل سياسي عـلى السـاحة العربيـة، لقـد رأت منظمة التحرير ضرورة انفرادها بتمثيل الشعب الفلسطيني مستغلة بذلك توجهات الأردن بتأيده لغة الحوار السياسي من أجل استعادة الأراضي المحتلة على أساس قـرار مجلس الأمن الـدولي رقـم (242)، حيـث شـكل الـرفض العـربي للغـة الحـوار موقفـاً معادياً للسياسة الأردنية - وانعكـس هـذا عـلى الوضـع الـداخلي لـلأردن مـن خـلال تصعيد العمليات الفدائية ضد الكيان الصهيوني، وقد أرادت منظمة التحرير ممارسـة شبه سلطة داخل الأردن، فتوترت العلاقة بـين الطـرفين الأردن والمنظمـة، وتصـعدت حالة التوتر عام 1970م، وأخرج الأردن على أثرها المقاومة من أراضيه، بعدها سعت منظمة التحرير إلى اعـتراف أردني، وتأيـد عـربي في توجهها السـياسي لتصبح الممثـل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وأيدتها دول عربية أخرى شكلت معاً ضغوطاً عربية تنادي بفك الارتباط السياسي الأردني مع الضفة الغربية لتتوج تلك الضغوطات بإجماع عربي يؤيد هذا التوجه في مؤتمر الرباط عام 1974م، وفي خطاب الملك حسين في (21) تموز / يوليو 1988 أعلن قرار فك ارتباط الضفة الغربيـة رسـمياً مـع الأردن، باستثناء الأماكن المقدسة خشية إلحاقها بوزارة الأديان اليهوديـة،[1] واعتـبرت بعـدها منظمة التحرير الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

ب- اتفاقية كامب ديفيد:

تعتبــر هزيمة حـرب عـام 1967 نهايـة المـد القـومي العـربي وبدايـة التراجـع القومــي والتي مثلت اتفاقية كامب ديفيد حلقة هامة من حلقات هذا التراجع،

---

(1) خطاب الملك انظر - سائد درويش، المرحلة الديمقراطية في الأردن - عمان: دانه للنشر، 1990-ص232-235.

وقد مهــد لهذه الاتفاقية حرب رمضان عام 1973م / 1393 هـ والتي اجتازت بها القوات المصرية خط بارليف والقوات السورية خط وقف إطلاق النار[1] ووقفت الولايات المتحدة والغرب إلى جانب اليهود، وقد استمرت الحرب من (6-22) تشرين الأول/ أكتوبر 1973 حيث توقَّف إطلاق النار، وتم الفصل بين القوات يوم 28 تشرين الأول عام 1973 على الجبهة المصرية[2]، وتم توقيع مصري - إسرائيلي على فصل القوات في كانون الثاني / يناير 1974 تبعه توقيع آخر في أيلول / سبتمبر 1975 وعلى أثره تعهدت مصر وإسرائيل بعدم الالتجاء إلى التهديد، وعدم استخدام القوات لمدة ثلاث سنوات وسمح للبواخر غير الحربية المتجهة إلى إسرائيل بعبور قناة السويس، وفي عام 1977 أعلن الرئيس المصري أنه يزمع القيام بزيارة للقدس من أجل البحث عن السلام وتمت الزيارة في (19) تشرين الثاني / أكتوبر من العام نفسه (9) ذي الحجة 1397هـ وكانت أكثر أحداث التاريخ إثارة لاستغراب الرأي العام العربي والإسلامي والعالمي.

لقد تواصلت اللقاءات المصرية - الإسرائيلية، كما توالت الضغوطات الغربية على مصر لتحقيق الإنجاز الأكبر الذي لم تكن لتحلم به إسرائيل، ألا وهو توقيع اتفاقية كامب ديفيد، والذي بدأت بحضور محمد أنور السادات الرئيس المصري، ومناحيم بيغن رئيس الوزراء الإسرائيلي، وجيمي كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، من (5-17) أيلول / سبتمبر، واتفق الأطراف الثلاثة على وثيقتي كامب ديفيد[3]، وبذلك خرجت مصر من دائرة الصراع العربي -

---

(1) أطلق على هذه الحرب عدة تسميات مختلفة تمثل فكر الأطراف المتحاربة ففي الأدبيات العربية اشتهرت بحرب تشرين في الأدبيات السياسية السورية، وحرب أكتوبر في الأدبيات السياسية المصرية، أما الأدبيات السياسية الصهيونية فعرفت باسم حرب (يوم الغفران) وهذا الأخير ينم عن بعد ديني عقائدي يعني أن اليهود بدؤوها حرباً دينية ولا تزال وستستمر حرباً دينية، لأنهم بالدين حققوا المكاسب وأقاموا الدولة.

(2) تم فصل القوات على الجبهة السورية على أثر تلك الحرب عام 1974م.

(3) للإطلاع على نصوص وثيقتي كامب ديفيد انظر - جميل عبد الله المصري، مرجع سابق، ص348-351.

الإسرائيلي، ليصار بالقضية بعدها في توجه آخر.

جـ- الحرب العراقية الإيرانية، دخول القوات العراقيـة - الكويـت، حـرب التحـالف، مؤتمر مدريد للسلام:

لقد أجج الغرب المتربص وأعوانه حربـاً ضروسـاً بـين العـراق وإيـران في بدايـة عقد الثمانينات، فالعراق رديف قوي وحاربت قواته المسلحة في كل الحروب العربية الإسرائيلية من أجل فلسطين، وإيران رفعت شعارات تحمل في ثناياها المناداة بتحرير فلسطين والقدس، وطردت أعضاء السفارة اليهوديـة هنـاك وأحلـت محـل سـفارتهم سـفارة لفلسـطين، وانقسـم العـرب بـين مؤيـد للعـراق كـدول الخلـيج العـربي وفي مقدمتهم العربية السعودية لخشيتهم من قيام إيران بتصدير ثورتها للخارج والأردن الذي اعتبر العراق بوابة الوطن العربي الشرقية، وأما سوريا فوقفت إلى جانب إيـران. أدى هذا الحدث - الحرب- إلى إفراز سـلبيات خطـيرة لحقـت بالقضـية الفلسـطينية أهمها: انشغال الأطراف الإسلامية بقضايا جانبية وهي قضايا الحدود وهـذه القضـايا كما عرفناها من صنع الاستعمار وتخطيطه، وخسـارة أي طـرف مـن أطـراف الصراع ربح في ميزان اليهود، وبقدر هذا الربح بقدر خسارة الطرفين معاً.

بعد ثمـان سنوات من الحرب توقفت الحرب بين الطرفين، وخرج العراق قوياً، ولديه تجربة حربية كبيرة ووصل إلى د متقدم في عمليات التصنيع والتكنولوجيـا العسكرية، وعلى أثر خلاف يمكن حله بسهولة ويسر بـين العـراق والكويت على حقول الرميلة النفطية، استغلت الولايات المتحدة هذا الخـلاف فأوحت سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية في بغداد للرئيس العراقي صدام حسين، أن هذا الخـلاف لا علاقة للولايات المتحدة، به على اعتباره عربياً عربياً، وفي الموقع الآخر كانت تحرض الكويت لعـدم الاسـتجابة للمساعي الرامية إلى إنهاء الخلاف، فتقدم الجيش العراقي واحتل الكويت في

(2) آب / أغسطس عام 1990، الأمر الذي حدا بالولايات المتحــدة، إلى إصـــدار عدة قرارات دولية عن طريق مجلس الأمن الدولي، واستطاعــت تجييش جيوش العالم فيما أطلق عليه (حرب التحالف)، واستطاعت إخراج العراق من الكويت وتحجيم القوة العسكرية العراقية، والتي كانت تشكل ثقلاً عسكرياً هاماً في مواجهة إسرائيل، وأحدثت انقسامات كبيرة بين صفوف الدول الإسلامية، مما أدى إلى إضعاف القضية الفلسطينية، وخاصة الانتفاضة الإسلامية (حماس) داخل فلسطين، عكست مجريات الأزمة والحرب في الخليج ونتائجها حجم الهيمنة الأمريكية على النظام العالمي الجديد، مما رشح الولايات المتحدة لتكون طرفاً وحيداً ومنفرداً في التوجه والتأثير على مسار الصراع العربي - الإسرائيلي في مرحلة ما بعد حرب الخليج الثانية.

بعد أن خرج التحالف بقيادة الولايـات المتحـدة منتصراً بحربـه مـع العـراق، أعلن الرئيس الأمريكي بعد أيام قلائل على انتهـاء الحـرب في (6) أذار / مـارس 1991 عن مبادرة أمريكية جديدة لحـل الصراع العـربي - الإسرائـيلي، تسـتند إلى القـرارات الدولية (242) و (338)، والقائمة على مبدأ الأرض مقابـل السـلام، قـام بعـدها وزيـر خارجيته جيمس بيكر في (8) آذار / مارس بجـولات متعـددة بعواصـم البلـدان ذات العلاقة، وتمت موافقة الجميع وحضروا إلى مدريد العاصمة الإسبانية، وافتتح المـؤتمر في (30) تشرــين الأول / أكتــوبر 1991 بحضــور الــرئيس الأمــريكي جــورج بــوش والسوفياتي ميخائيل غورباتشوف، ووفود عن الأردن وسوريا ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية ومصر ودول الخليج العربي ودول السوق الأوروبيـة المشـتركة وإسرائيـل، وكانت فكرة المؤتمر كما ورد في خطاب الدعوة إليه: "تحقيـق تسـوية سـلمية شـاملة ودائمة وعادلة من خـلال مفاوضـات مبـاشرة، تأخـذ مسـارين بـين إسرائيـل والـدول العربيــة، وبــين إسرائيــل والفلســطينيين، كــما حــدد المــؤتمر فكــرة "الحكــم الــذاتي الفلسطيني"، محوراً ترتكز إليه المفاوضات السياسية بين الفلسطينيين

وإسرائيل.

د- انهيار الاتحاد السوفياتي وتفككه:

إن هذا هدف استراتيجي أمـريكي وذلـك مـن أجـل الانفـراد بقيـادة العـالم[1]، وبعد تفكك أوصاله ذَهَبَت الولايات المتحدة تصوغ العالم من جديد، وبالطريقة التي تحقق بها أعظم المكاسب لها ولحلفائها، انعكس هذا سلبياً على القضية الفلسطينية، حيث كانت منظمة التحرير الفلسطينية تعتمد إلى حد كبير على السـلاح السـوفيتي، ومكاسب أخرى على الأصـعدة السياسـية الدوليـة حيـث وجـد الاتحـاد السـوفيتي - السابق - من قضية الصراع فرصة ليضع له قدماً في منطقة تعج بالمصالح الغربية[2].

هـ- توقيع عدة اتفاقيات واعتراف بالكيان الصهيوني:

كان من نتائج مؤتمر مدريد، حيـث فـتح نوافـذ الاتصـال بـين الـدول العربيـة وإسرائيل وخاصة منظمة التحريـر فأسـفرت الاتصـالات واللقـاءات والمباحثـات عـن توقيع عدة اتفاقيات أهمهـا: اتفـاق غـزة - أريحـا أولاً واتفـاق أوسـلو بـين إسرائيـل ومنظمـة التحريـر الفلسـطينية، واتفـاق وادي عربـة بـين الأردن وإسرائيـل فـاعترف الأردن بإسرائيل.

---

(1) في حديث بتاريخ (16) آذار / مارس 1980 حدد (هارولد براون) وزير الدفاع البريطاني هـذه الاسـتراتيجية - انظـر - الفريق سعد الدين الشاذلي، الحرب الصليبية الثامنة - الدار البيضاء عيون المقالات، 1991 - ص13.

(2) هناك عدة محطات سياسية أخرى في تاريخ القضية لا تقل أهمية عما ذكرنا أهمها: مؤتمر بال بسويسرا عام 1897م والذي حدد به فلسطين دون غيرها للاستيطان، مؤتمر كامبل بنرمان (1905-1907) والذي قرر إقامة دولة غريبـة عن المنطقة تفصل آسيا العربية عن إفريقيـا العربيـة، هـدم الخلافـة الإسـلامية العثمانيـة عـام 1908، حيـث أن السلطان عبد الحميد آخر خليفة عارض إعطاء فلسطين كوطن لليهود، اتفاقية سـايكس بيكـو عـام 1916 والتـي قضت بتقسيم الدول العربية المشرقية، وعد بلفور عام 1917، صك الانتـداب عـام 1922، وهـو خطـوة لتحقيـق وعد بلفور، معاهدة لوزان عام 1923 وفيها تخلت تركيـا رسـمياً عـن الـدول العربيـة، قيـام إسرائيـل عـام 1948 رسمياً، العدوان الثلاثي عام 1956 حيث أخذت إسرائيل موقعها جنباً إلى جنب مع فرنسا وبريطانيا، ولادة منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964، الحرب العربية الإسرائيلية عام 1967والحرب العراقية - الإيرانية ... الخ.

إن الاتفاقيات العربية - الإسرائيلية أدت إلى ما يلي:

1- كسر طوق العزلة السياسية الإقليمية عن إسرائيل.

2- امتداد إسرائيل إلى دول عربية خليجية - وعقد مباحثات وصفقات معها كقطر وعُمان.

3- إلغاء المقاطعة الاقتصادية العربية.

4- تشجيع الدول الأخرى إسلامية وغير إسلامية للتعامل مع إسرائيل.

ثانياً: قضايا السودان

1- جنوب السودان:

كان السودان ضحية هو الآخر من ضحايا سياسة التجزئة البريطانية، ففي الوقت الذي كان يؤلف فيه مع مصر وحدة جغرافية تامة، عرفت باسم (وحدة وادي النيل)، تبدو مظاهر تلك الوحدة في بنيته الجيولوجية وتضاريسه الطبيعية، فالنيل يجمع بين البلدين باعتباره عماد الحياة الاقتصادية والطريق المائي الذي يربط بينهما (مصر والسودان)، أضف إلى ذلك تلاشي الحواجز الجغرافية مما يؤكد أن البلدين امتداد لبعضهما[1]، لهذه الأسباب تولَّدت الرغبةُ البريطانية في الاستيلاء على السودان[2]، لقد جثم البريطانيون على الأرض السودانية تحت اسم (الحكم الثنائي)، وفي الواقع كان الحكم بريطانياً، وليس لمصر فيه نصيب إلاّ رفع العلم المصري بجوار العلم

---

(1) راضي عبد الهادي ورفقاه، الوطن العربي في إفريقيا، ط9 - عمان، وزارة التربية 1973 ص25.

- عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث، ص211.

- P.M. Holt, A Modern History of the Sudan, 2ed, London, 1973 - P: (77-92).

(2) الملاحظ أن الدولة التي تسيطر على مصر لا تلبث وأن تتجه أنظارها إلى السودان فبعد بسط العثمانيين سيطرتهم على مصر بعد معركة الريدانية (قرب القاهرة - بين سلطان مصر طومان باي الذي تم شنقه وبين السلطان سليم العثماني - عام 1517م، واحتل محمد علي السودان عام 1821، واعلن ولاءه للأستانة، وعندما احتلت بريطانيا مصر عام 1882م تقدمت للسودان واحتله عام 1889م، وأقامت الحكم الثنائي الأنجلو - مصري عام 1898 - انظر - عباس الكرد، تاريخ العرب والمسلمين - عمان: مطابع الجمعية العلمية الملكية، 1985 - ص112.

البريطاني، والسودان بالنسبة لبريطانيا كان عظيم الأهمية فيمكن للأسطول البريطاني الاستفادة من ساحله وموانئه كقواعد ومحطات ما بين السويس وعدن، وفي الوقت نفسه تكمن أهمية السودان لبريطانيا في ردع الأطماع الفرنسية في وسط إفريقيا والحيلولة دون وصلها إلى البحر الأحمر.

لقد أدارت بريطانيا السودان بالكيفية التي تتلاءم مع سياستها الاستعمارية، فأثارت قضية الاختلافات الدينية والعرقية تمهيداً منها لإثارة مشكلة ما بين جنوب السودان وشماله بعد أن قسمته إلى قسمين: قسم شمال خط العرض (12) عدته قسماً إسلامياً، وقسم جنوب خط عرض (12)، فصلت بذلك مديريات الجنوب الثلاث (الاستوائية، أعالي النيل، بحر الغزال)، مستندة على أسس عقائدية دينية عرقية بحتة، فثورت ما يسمى بالجنوب الزنجي غير المسلم، الذي يضم أكثرية وثنية ومسلمين ونصارى[1]، ضد الشمال العربي المسلم[2]، وأصدرت قانون المناطق المقفلة عام 1922م، حددت بموجبه تنقلات أهل الشمال للجنوب[3]، وعطلت كل مظهر إسلامي فيه كإغلاق المساجد[4]، ورفض تسجيل مواليد أهل الجنوب بأسماء عربية وإسلامية، وتغيير أسماء الكبار بأسماء قبلية ونصرانية[5]. ثم عمدت إلى إقصاء المتكلمين بالعربية عن الوظائف الإدارية بالجنوب، وتعطيل اللغة العربية وإقصائها عن الساحة ومحاربتها، واستبدالها باللغة الإنجليزية في المدارس، واستبدلت العطلة الأسبوعية بيوم الأحد بدلاً من يوم الجمعة،

---

(1) يشكل الوثنيون 65% من سكان الجنوب، يليهم المسلمون 18%، ثم النصارى 17%، وانظر في ذلك "انتخابات وبرلمانات السودان" - الخرطوم - معهد البحوث الدراسات - 1989 ص1. وهذا يدحض المقولة التي ترددها الأجهزة الغربية الاستعمارية بان الجنوب مسيحي!؟

(2) محمد بشير حامد، نشر السلطة والتكامل القومي في جنوب السودان - ملف الوحدة الوطنية والسلام في السودان، مجلة السياسة الدولية (القاهرة)، العدد 91، 1988، ص174.

(3) عطية عبد الجواد، مشكلة السودان، السياسة الدولية، العدد 2، 1965، ص174-175.

(4) عبد الرحمن محمد حامد، من ضيع السودان، ط1، الخرطوم - جامعة الخرطوم - 1991 - ص158.

(5) علي عبد الرحمن الأمين، الديمقراطية والاشتراكية في السودان، ص174.

وسمحت ببناء الكنائس والمدارس الدينية بقصد تحويل سكان الجنوب من الوثنية واللادينية إلى المذاهب المسيحية[1]. لقد منحت بريطانيا المبشرين بعد أن سمحت لهم بالوفود والعمل في السودان إعانات من ميزانية السودان لنشر التعليم في الجنوب[2]، بعد تجزئته لمناطق نفوذ للإرساليات التبشيرية، ليسهل عليها مذهبة أهله بعدة مذاهب، القصد منها إبعادهم عن الوحدة والتفاهم مع الشمال.

لم يكتف البريطانيون بإجراءاتهم، بل دعوا الآخرين للاشتراك معهم في هذا التوجه، فعندما دخل "كتشنر" البريطاني كحاكم للسودان، أخذ يطالب القوى المسيحية في أوروبا بالعمل فرادى أو مجتمعين لوقف الزحف الإسلامي، والمد العربي إلى أوساط إفريقيا، وذلك بتنمية تيار مسيحي، تخلقه الإرساليات التبشيرية.

إن ما نشدته بريطانيا في السودان هو خلق تيار عقائدي جديد في الجنوب لوقف المد الإسلامي الزاحف من الشمال، إضافة إلى إقصاء النفوذ العربي وحصره ليتوقع على نفسه ويرتد شمالاً أمام النفوذ الزنجي، وخلق لون ثقافي آخر ينسجم مع أهداف الاستعمار بعد إقصاء اللغة العربية.

لقد صاغت بريطانيا السودان ليقف على أعتاب ثورة حقيقة بين الشمال والجنوب، وما أن استقل السودان عام 1956، وتم ترسيم الحدود المشوهة مع مصر حتى صحا الشعب السوداني على نار فتنة الجنوب، وراح أهل الجنوب المدفوعين من الاستعمار يذبحون كل سوداني شمالي وجد في الجنوب.

لذا فالسودان مَعْنيٌّ والحالة هذه بالسياسة الداخلية أكثر من اهتمامه بالسياسة الخارجية، لإعادة بناء نسيجه الداخلي من جديد، فكانت أول

---

(1) جعفر محمد علي، الإدارة البريطانية والحركة الوطنية السودانية (1919-1939)، ترجمة هنري رياض - بيروت، دار الثقافة، 1972، ص208-210.

(2) مصطفى الخالدي، وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربي - بيروت، المكتبة العصرية، 1983، ص240.

الخطوات التي قام بها السودان، العمل على (سودنة السودان)، فشكل لجنة عهد إليها العمل على إحلال السوداني محل البريطاني في الوظائف، كخطوة أولية لتحرير القرار الوطني السوداني، وللتخلص من المراقبة الاستعمارية لما سيتلو ذلك من خطوات تضر بالاستعمار وتخدم مصلحة البلاد، أضف إلى ذلك إلغاء لجنة السودنة، قانون الأراضي المقفلة الذي سنّته بريطانيا عام 1922 لفصل الشمال عن الجنوب. أدت هذه الخطوة إلى توتر العلاقات السودانية - البريطانية حيث سارعت الأخيرة بتثوير الجنوب ضد الشمال مستثمرة الاختلافات العقائدية لتكون مادة للصراع ومبعث عدم استقرار للحكم السوداني مستقبلاً، ونجحت في أوائل عهد الاستقلال ليستهل السودان تاريخه السياسي المستقل بأحداث محفوفة بالمخاطر، وما طرد السودانيين للمبشرين الـ (300) في عهد الرئيس إبراهيم عبود، إلاّ لأنهم أحد أسباب تمزق أفراد الشعب الواحد، لتأتي هذه الخطوة كمحاولة لرأب الصدع ولمّ شمل السودانيين حول توجهات موحدة، أدت هذه الخطوة إلى دخول الجنوب مرحلة التدويل حيث أخذت الدولة الإفريقية المجاورة، والأوروبية - كألمانيا وإيطاليا وإنجلترا - والولايات المتحدة تتعاطف مع الجنوب وتمده بالمال والسلاح، وأخذت وسائل الإعلام تتحدث عن حرب (نصف المليون قتيل) وعن (حرب إفريقيا السرية)، وبدأت تعابير العربية في مقابل اللغات المحلية والمسيحية والوثنية في مقابل الإسلام. والعرب في مقابل الزنوج والأفارقة من أجل النيل من حكومة السودان والأقطار العربية والإسلامية التي تقف إلى صف السودان.

بعد هذه الهجمة الاستعمارية الشرسة، حاول السودان أن يحتوي هذه الهجمة، بعدم إعطاء حركة التمرد مساحة أوسع كخير سبيلٍ لتفادي آثارها السلبية، ولتعودَ بآثار إيجابية على الحكومة المركزية، بإعطائها فرصة لتهدئة الخواطر وتوعية الجنوبيين بحقيقة المشكلة، فسعت إلى عقد مؤتمر المائدة المستديرة عام 1965، والتوصل إلى اتفاقية أديس أبابا عام 1972، حيث

هدأت حدة الصراع بين الطرفين. إلاّ أنه بعد رحيل حكم النميري وتبني قادة جبهة الإنقاذ الوطني التوجهات الإسلامية، أثيرت قضية الجنوب مرة أخرى، وقد وجه قادة الجبهة سياسة بلادهم في معرض معالجتهم لقضية الجنوب في شقين: شق يدعم الحل العسكري للمشكلة، ترجم في ميادين المواجهة العسكرية بشن هجمات للجيش على المتمردين، وشق يدعو للحل السياسي القائم على المفاوضات، وفي هذا التوجه قال رأس الدولة السوداني: "إن أسلوب الحوار بين أبناء الوطن الواحد هو وحده الكفيل لتحقيق السلام العادل".

إن مشكلة الجنوب زرعت في رحم السياسة الاستعمارية كخطة سياسية، ونقلت إلى جسم السودان لتستقر في الجنوب، وتُغذي بالقوات الاستعمارية من اجل تحقيق أهداف المستعمر، في خلق قاعدة استعمارية موالية للغرب في إفريقيا، أثر سلبياً في المسعى السوداني الخارجي.

فقد تأثرت علاقة السودان الخارجية مع الدول المحيطة بين مد وجزر، تبعاً لمواقف هذه الدول من قضية الجنوب، وكذلك مع الدول المصدرة للأسلحة ومدى دعمها لحركة التمرد، ونتيجة هذا كله أدى إلى علاقات سودانية تتأثر عكسياً بمدى تقارب الدول المحيطة والمصدرة للسلاح وحركة التمرد، في حين سعى السودان جاهداً إلى التأثير في سلوك الدول المتعاطفة مع حركة التمرد من أجل تحييدها.

- أما بخصوص الفوارق المذهبية، فقد أثرت على التوجهات السودانية بما يتلاءم والمواقف المعلنة، فعلى سبيل المثال، عندما أصدرت الكنائس الكاثوليكية الأوروبية بياناً في 17 تموز / 1992، تطالب فيه بإيجاد حماية لغير المسلمين في جنوب السودان، والذي أعقبه بيان مجلس الكنائس الكاثوليكية الإفريقي في نيروبي، في المطالبة بمحمية في جنوب السودان لغير المسلمين، على غرار محمية الشيعة في جنوب العراق، وحماية المسلمين في البوسنة، وكما وصف البيان حكومة السودان بأنها تعذب المسيحيين

والقساوسة في جنوب البلاد، وما تفعله الخرطوم ضد المواطنين المسيحيين يعادل ما فعله هتلر باليهود، وما فعله الشيوعيون بالحركات الداعية إلى الحرية والديمقراطية. دفع هذا بصانع القرار السوداني إلى شنّ حملة إعلامية تفنّد أباطيل محتوى البيانات تلك، ووجّه دعوة إلى أعلى سلطة روحية مسيحية والمتمثلة بـ (البابا) في روما، والذي قبل الدعوة في نفس العام، لتفويت الفرصة على الكنائس الأوروبية ومجلس الكنائس الكاثوليكي الإفريقي، وجاءت نتائج الزيارة لصالح السودان دولياً، لكن الإعلام الغربي أخذ يتحدث عن قضية أخرى، وهي المجاعة المستعرة في الجنوب، دفعت تلك بصانع القرار السوداني إلى إرسال عدة شحنات غذائية مغطاة إعلامياً إلى جوبا معقل المتمردين وضواحيها. أضف إلى أن مجلس قيادة الثورة السوداني كان يلبي كل دعوة للتفاوض، فعقدت عدة جلسات تفاوضية في نيروبي عام 1989، وأخرى في دول الجوار الجغرافي للسودان في سنوات أخرى متعاقبة.

إن الأسباب التي دعت بريطانيا والحكومات الغربية الأخرى لترعى عملية انفصال الجنوب يمكن تحديدها بما يلي:

1- أسلوب التجزئة وهو سياسة استعمارية معهودة منذ أن امتدت يد الاستعمار إلى قلب العالم الإسلامي، وهو أسلوب تقف وراءه الفكرة القائلة (فرق تسد).
2- إشغال السودان بمشاكل داخلية لإقصائه عن السير بموكب العمل الإسلامي، للحيلولة دون إخراج مقولة "السودان سلة العرب الغذائية" إلى حيز التنفيذ نتيجة عدم الاستقرار فيه.
3- استثمار خيرات الجنوب لصالح الدول الاستعمارية.
4- الضغط على الحكومة السودانية كلما أخذت بوادر الصحوة الإسلامية تلوح في الأفق.
5- توسيع الرقعة النصرانية على حساب الرقعة الجغرافية الإسلامية.

وخدمة للتوجهات الاستعمارية ومع تنامي بواعث الصحوة الإسلامية

في السودان، فقد أخذت تضيق على الحكومة الإسلامية في السودان، وفرضت حصاراً غير معلن على هذه الحكومة وذلك بقصد تحقيق هدفين رئيسيين هما:

1- إعطاء وقت للانفصاليين الجنوبيين لالتقاط الأنفاس، وإعادة تأهيلهم من جديد، للقيام بما يلزم لتحقيق أهدافهم الانفصالية.

2- الضغط على الحكومة السودانية للتخلي عن توجهاتها الإسلامية .

لذا اتخذت من قضية الجنوب، حركته الانفصالية ما يسوغ سياساتها الاستعمارية، وما تتخذه بشأن السودان من إجراءات عملية وحملات شعواء ضد العلاقات السودانية، مع دول الجوار الجغرافي والإطار الإقليمي والدولي، مما جعل السودان في موقع المتهم حيث ولّى وجهه، فإنْ توجَّه نحو الجماهير العربية والمسلمة فهو راع للحركات المتطرفة والأصولية !!! وإن توجَّه للأنظمة العربية والإسلامية، فهو متآمر على جيرانه من الزنوج وغير المسلمين في دول الجوار الجغرافي، وليس ثمة اتجاه من الاتجاهات يحظى فيها بالقبول إلا الاتجاه إلى أمريكا والأحضان الغربية ونبذ التوجه الإسلامي وهذا هدف الغرب.

والملاحظ أن هناك حصاراً غير معلن على السودان، ومجالاته[1]:

أولاً: المجال الاقتصادي: حجبت عن السودان المساعدات الأمريكية والدولية، التي كانت تحظى بها حكومات ما قبل ثورة - انقلاب عمر البشير، تم في 9 حزيران / يونيو 1989 - الإنقاذ الوطني، ومنع عنه التصدير، ووجهت لشركات عديدة تهديدات، إن هي تعاملت مع السودان تجارياً، وكان لهذه الإجراءات إيجابيات، منها أنَّ السودان شرَعَ في برنامج الاعتماد على الذات وطَوَّر من اقتصاده الذي خطا خطوات واسعة على طريق تحقيق الاكتفاء الذاتي.

(1) حسام الناصر، حملة شعواء ضد العلاقات السودانية والإيرانية (الرباط الأردنية)، الصادرة في 2 رجب (1412) الموافق 7 كانون الثاني / يناير 1991-ص10.

ثانياً: المجال السياسي: صنفت الدوائر الغربية المعادية للسودان، بأنه يقوم بدور سياسي وإقليمي خطير، ويلعب دوراً لا يجب أن يقوم به، سواء في القرن الإفريقي أو على مستوى القارة السوداء، أو على المستوى العربي، إذ عرف عن السودان بأنه دولة تابعة إما لمصر في الشمال، وإما لبعض الأنظمة العربية التي تهيمن عليها عن طريق المساعدات، وفي كلتا الحالتين، فهو لا يخرج عن الدوران في الفلك البريطاني أو الأمريكي.

ثالثاً: المجال الإعلامي، إن فحوى الرسائل الإعلامية الموجهة ضد السودان تتحدث بأنه معقل الإرهاب، وموطن الأصولية، حيث يدعم ويغذي الحركات الإرهابية بالمعسكرات، والتسليح.. الخ وقد تولت وسائل الإعلام العالمية في الولايات المتحدة وأوروبا ذلك، وانتقلت آلياً ويا للأسف إلى وسائل الإعلام في الدول الإسلامية عن حسن نية أو خلاف ذلك.

2- إقليم دارفور السوداني:

في ظل الوضع الحرج والمنعطف التاريخي الدقيق الذي يعيشه السودان، وخصوصاً أنه لم ينتهي من مشكلة جنوبه لغاية الآن، برزت لديه معضلة أخرى مكانها هذه المرة هي إقليم دارفور "المسلم" الغربي، ففي أقل من سنتين خلفت النزعات الدامية بالإقليم أكثر من (3000) قتيل ومليون نازح وآلاف القرى المحروقة، وتمددت انعكاساتها لتؤثر على تماسك البنية الاجتماعية والسياسية للقطر السوداني، وعلى الاستقرار الإقليمي في وسط إفريقيا، وفي سياق هذا البحث سوف نتناول الحديث عن هذا الإقليم والاضطرابات التي تحل به على النحو التالي: [1]

أ- محطة تاريخية:

تبلغ مساحة دارفور (510 ألف كم^2) بما يعادل خمس مساحة السودان، ويقترب عدد سكانها من ستة ملايين نسمة هي خمس إجمالي

[1] مصعب الطيب بابكر، أحداث دارفور السودانية، مجلة البيان، العدد (200)، 2004م، ص96.

سكان السودان أيضاً، وتقع في أقصى الغرب على الحدود الليبية وتشاد وإفريقيا الوسطى، وتقسم إدارياً إلى ثلاث ولايات هي شمال وجنوب وغرب دارفور. تضم دارفور أكثر من مائة قبيلة جرت العادة على تقسيمها إلى ما يعرف (بالقبائل الإفريقية) التي تحترف الزراعة، ومنها قبائل الفور والزغاوة والمساليت والميدوب، وأما (القبائل العربية) التي تمتهن الرعي مثل الرزيقات والهبانية والجوامعة والمهيريا والمعاليا.

لقد حكمت (سلطنة الفور) الإسلامية هذا الإقليم من عام 1650م وحتى 1874م، حيث دخلت في سلطة الدولة العثمانية الذي لم يدم حكمها إلا بضع سنين، ثم استمرت (السلطنة) من زوال الدولة المهدية عام 1898م وحتى سقوطها بيد الإنجليز عام 1916م كآخر منطقة تنظم لدولة السودان.

لم تشهد منطقة دارفور في تاريخها الحديث هدوءاً واستقراءاً معتبراً، فابتداء بحروب (الزبير باشا) على المنطقة عام 1874م، ثم الثورات المتتالية على حكمه، وثورة (أبو جميزة) على الدولة المهدية عام 1888م، ثم ثورات (الفكي عبد الله السحيني عام 1921م)، والسلطان (هارون) بجبل مرة، و(ماديو) بالضعين، و(البقارة) ضد الحكم الإنجليزي، ثم انتفاضة دارفور على حكومة مايو 1981م، وانتهاءً بالتمرد الذي قاده يحيى داوود بولاد (الأمين العام للجبهة الإسلامية في دارفور) على حكومة الإنقاذ عام 1991م، وهذا فضلاً عن النزعات القبلية والانفلات الأمني والصراعات الإقليمية.

لقد كان لهذه الثورات والصراعات ثمن باهظ دفعه أبناء الإقليم.

ب- أسباب الأزمة:

هناك عدة أسباب تظافرت لخلق أزمة دارفور السودانية، وهذه الأسباب يمكن

تقسيمها إلى قسمين هما: [1]

1- أسباب داخلية:

ويمكن إجمال هذه الأسباب بما يلي:

أ- النزعات الداخلية: وهذه النزعات سمة لازمت الإقليم منذ عهد بعيد وبتفاوت ملحوظ، فخلال العشرين عاماً الأخيرة -وحدها- ظهر العديد من النزعات القبلية، ففي بداية السبعينات جرت نزعات بين قبيلتي (المعاليا والرزيقات)، ثم (الرزيقات والمسيرية)، و(التعايشة والسلامات) حدث نزاع بين أواخر السبعينات، وفي (الزغاوة والفور) عام 1982م، و(الفلاتة والقمر) عام 1996م، وأخيراً بين (المساليت والفور) ضد ما يعرف بالقبائل العربية منذ عام 1998م, ويبدو واضحاً أن تلك الاحتكاكات ليس لها بُعد عرقي، لأنها تحدث أحياناً بين أبناء الأصل الواحد، كما تحدث تحالفات بين قبائل من أصول مختلفة، ومن هنا فإن وصف هذه الصراعات بأنها تطهير عرقي أو إعطاؤها واجهة عنصرية لا يعبر إلا عن الانتهازية السياسية، ومحاولة غير أخلاقية لتأليب أبناء القبائل بعضهم ضد بعض، ولكسب تعاطف المنظمات والمجتمع الدولي لصالح بعض الجهات التي تثير النعرات.

ب- تدني المستوى الخدمي في الإقليم: رغم المستوى المتدني للخدمات في كل الأقاليم الطرفية في السودان، إلا أنه كان أكثر بروزاً في هذا الإقليم، وهو الأمر الذي ولّد شعوراً عميقاً بالاستهداف والتهميش، إن انعدام البنية التحتية للصناعة والتجارة والتعليم والنقل هو المسؤول إلى حد بعيد عن تكريس الصراع حول الأراضي الزراعية والمراعي والثروة الحيوانية، وعن سيادة الانتماء القبلي على الانتماء للأمة.

جـ- ضعف الوجود الحكومي بكل مؤسساته: أدى هذا إلى حالة من الانفلات الأمني وتصاعد النهب والسلب وتزاد المظالم بين القبائل، الأمر

[1] المرجع السابق، ص96-97.

الذي أدى إلى وجود سلطة قبلية عند بعض القبائل وضعت نفسها في منصب السـيادة بدلاً من سيادة الدولة، الأمر الذي جعل عند بعض القبائل تطلعات إلى السلطة والزعامة داخل حدود الإقليم، وهذا بدوره ولد حالة من الضجر لدى القبائل الأخرى تولد عنها الفوضى وعدم استتباب الأمن.

د- الجفاف والهجرات: لقد ضربت الإقليم موجات من حالات الجفاف والهجرات منذ عام 1973م، زادت من فرص الاحتكاك العشائري والتزاحم بين القبائل حول المياه والمراعي، لكون ذلك يعد أحد مقومات الحياة لسكان الإقليم.

هـ- الدور الحزبي: كان للأحزاب تأثيراتها البالغة في مجريات الصراع في الإقليم، فالأحزاب تعمل على توظيف المتناقضات داخل الإقليم، إما للدعاية السياسية أو للكيد والمزايدات على الحكومة لتستجيب للمطالب الحزبية، وهذا أضر بمصلحة البلاد وقضاياها، وهذه الأحزاب ليست لها دعائم ثقافية وسياسية كبقية الأحزاب في الدول المتقدمة، لكونها لا تبدي أي اهتمام بقضايا الإقليم إلا حين يكون للإقليم قيمة سياسية مؤثرة تخدم قضايا الحزب وأهدافه.

ز- الحركة الشعبية لتحرير السودان: فمنذ تكوين الحركة، وهي تعمل مع أي طرف يحارب الحكومة المركزية أو يسعى للانفصال، كما فعلت مع حركة المهندس (بولاد) عام 1991م، وكما تفعل مع مسلمي أقاليم جنوب النيل الأزرق وجنوب كردفان، ومناطق البجا بشرق السودان، والحركة لا تخفي مساندتها لمتمردي دارفور، على اعتبار ذلك يصب في مصلحتها.

2- الأسباب الخارجية:

أ- الدور التشادي: تشكل منطقة دارفور عمقاً استراتيجياً لدولة تشاد، وتشترك هذه الدولة مع السودان عامة وإقليم دارفور خاصة في التداخل القبلي (أكثر من 13 قبيلة)، وخصوصاً القبائل ذات الوزن السياسي في

تشاد، مما أدى إلى إفساح المجال لتشاد لتلعب دوراً مميزاً في الإقليم من خلال التداخل القبلي بين البلدين، فتشاد دورها ينحصر في إقامة علاقة مميزة مع سكان الإقليم، فدور تشاد حتى كتابة هذا المؤلف دور تهدئة والبحث عن حل، ولا أجد أكثر ما يبرر ما ذهبت إليه من أقوال الرئيس التشادي (إدريس دبي)، الذي اختير ليلعب دور الوسيط لإنهاء النزاع ما بين الحكومة السودانية ومتمردي دارفور حيث قال: "... كثير من القواسم المشتركة التي تربط السودان وتشاد واهتمام تشاد بكافة التطورات في السودان... تشاد تتعامل مع الشأن السوداني من منطلق الثوابت التي تركز على وحدة وسلامة السودان... تشاد تطالب (بسودنة) الحل، ويمكن للسودانيين حل قضاياهم عبر الحوار بعيداً عن التدخلات الأجنبية، وتدويل قضية السودان ليس في مصلحتهم ولا للسلام الإقليمي والدولي"،[1] وكما يقول البروفيسور (الساعوري) عميد كلية الاقتصاد (للدراسات الاجتماعية بجامعة النيلين عن (إدريس دبي)، "بأن (دبي) أعلن موقفه بشكل غير صريح كوسيط فانحاز مع الحكومة، ولا يريد في الوقت نفسه وقوع أضرار كثيرة على متمردي دارفور، لذلك كان يحاول التوفيق ما بين علاقاته مع السودان ومصالح (الزغاوة) التي تقود التمرد في الإقليم".

ب- الدور الفرنسي: من المعلوم للجميع أن لفرنسا مصالح في معظم الدول الإفريقية، لذا فلا بد لها من العمل بكل ما يمكن عمله للحفاظ على مصالحها، ولما كانت المنطقة متأثرة بالصراعات أبرزها: الصراع التشادي الليبي خصوصاً حول منطقة (أوزو)، والصراعات الداخلية لإفريقيا الوسطى، وهو ما ساهم في تدريب وتسليم بعض القبائل ضد بعض، ومع رواج تجارة السلاح هناك، وهو الأمر الذي سيلقي بظلاله على الاستقرار الأمني والسياسي لتشاد ودول إفريقيا الوسطى، مما

[1] شبكة الإنترنت، Google (العربية) تاريخ 15 أيلول 2004م نقلاً عن صحيفة الرأي العام السودانية الصادرة يوم الثلاثاء 8 مايو 2004م.

سبب القلق لفرنسا دفعها للتدخل لاحتواء الموقف حفاظاً على مصالحها.

جـ- دور الكيــان الصـهيوني: دخـل الكيـان الصـهيوني ولأول مـرة عـلى الخـط المكشوف في أزمة دارفور، حيث طالبت (هيأة ياد خاشيم) لإحياء ذكـرى مـا يسـمى بالهوكولوست الإسرائيلية أو المحرقة الإسرائيلية المزعومة، زعماء العالم باتخاذ رد فعل قوي وفوري لوقف ما أسمتها المأساة في دارفـور السـوداني قبـل أن تتفـاقم، وحثـت زعماء العالم على توفير المساعدات الإنسانية الفعّالـة إلى الولايـة، ومعاقبـة مرتكبـي الجرائم هناك، إن هذا التدخل له ما يسـوغه لـدى الكيـان، لكونـه يصـب في بوتقـة المصالح اليهودية المراد تحقيقها في العالم العربي، ومما لا شك فيه فإن الكيان سيدعم كل توجه يزيد الأمور صـعوبة ويزيـدها تعقيـداً. ويعمـل عـلى بقـاء البـاب مفتوحـاً بهـدف اسـتمرار وتبريـر التـدخل الصـهيوني هنـاك، إن هـذا التـدخل يـدخل ضـمن استراتيجية الكيان الصـهيوني القائمـة عـلى تمزيـق العـالم الإسـلامي، وصـياغة إفريقيـا صياغة جغرافية وسياسية وأمنية تتناسب مع الأهداف الصهيونية التـي تصـب اليـوم على ضرورة إدارة المعركة مع التحدي الإسـلامي المتنـامي في المنطقـة بشـكل يضـمن بقاء الكيان الصهيوني واستمراره.[1]

د- الـدور الأمـريكي: إزاء الصراعات القبليـة ومـا يجـري في الإقلـيم تـدخلت الولايات المتحـــدة، وهـددت واشـنطن عـلى لسـان وزيـر خارجيتهـا (كـولن بـاول) بفـرض عقوبــات عـلى السـودان، وسـارعت إلى عقـد جولـة مـن المفاوضـات رعتـا المجموعــة الأمريكية لتسوية الأزمة في العاصمة الأثيوبية (اديس أبابا)، وقد تعللـت الحكومة الأمريكية، أن هذا أحد جوانب حملتها على ما تسـميه (الإرهـاب)،[2] هـذا وقــد بدأت الضغوطات الأمريكية والأوروبيـة تأخـذ طريقهـا عـلى النظـام التشـادي وعلى طريقة: (أنا أضمن حمايتك كنظام،

---

[1] شبكة الإنترنت Google (العربية) (دارفور السودانية) 15 أيلول 2004م، بعنوان: "الكيان الصـهيوني عـلى خـط أزمـة دارفور السودانية"، ص1-2 (الإنترنت).

[2] المصدر السابق.

ويمكننا بكل بساطة مساعدتك في التخلص من المعارضة، شريطة أن تدعم مواقفنا... وهكذا)، وهناك آراء ترى مصداقية لذلك، في إعلان وزير الدفاع الأمريكي (دونالد رامسفيلد) عن: "أن الاستراتيجية الأمريكية ستتوجه إلى إفريقيا، لأن الوجود الأمريكي بها هامشي، ولأن المنطقة مقبلة على عدم استقرار، وضرورة تأمين الشاطئ الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط".[1]

هـ- الاتحاد الأوروبي: لقد سعت بعض قيادات التمرد إلى تضخيم الوقائع التي تحصل في الإقليم ووجدت آذاناً صاغية في غرب أوربا، مما جعل الاتحاد الأوروبي يقوم باتخاذ قرار لإرسال بعثة لتقصي الحقائق هناك، وقد خرج رئيس اللجنة بتوصيات، بعد ثبت زيف الادعاءات، أهمها: العمل على ضرورة التعاون مع الخرطوم لتحقيق السلام في المنطقة، وضرورة قيام الخرطوم بنزع سلاح الجماعات الخارجة على القانون، وإقامة مناطق آمنة للنازحين، كما أوصت اللجنة في باب التعاون مع الخرطوم العمل على إرسال (30) من ضباط الشرطة للمساعدة في حل الأزمة، وأوصى بتقديم دعم في مجال الإمداد والتموين لبعثة حفظ السلام التي يعتزم الاتحاد الإفريقي إيفادها للإقليم.[2]

جـ مبررات التدخل الأجنبي:

في ظل الظروف الدولية وتنامي الأصوات المنادية بالقضاء على الإرهاب، فقد وجدت الأطراف الدولية الطامعة إلى مد خيوطها للعب في أحداث دارفور السودانية، حيث وجدت الظروف سانحة للتدخل في هذا الجزء من العالم العربي

---

[1] شبكة الإنترنت Google (العربية) (تاريخ 15 أيلول 2004م) نقلاً عن صحيفة الرأي السودانية الصادرة تاريخ 8 مايو 2004م، ص3-4 (الإنترنت).

[2] الإنترنت Google (العربية) 15 أيلول 2004م.

File://A:Ministvgo/020news%2010-8-2004htm, page 2 of 3.

والإسلامي، وكانت المستوغات تحمل في ثناياها ما يلي:

1- الإبادة الجماعية لبعض سكان الإقليم: وهذا ما نفاه (بيترفت) مستشار (خافيير سولانا) منسق الشؤون الخارجية والأمنية بالاتحاد الأوروبي ومبعوث لجنة تقصي الحقائق التابعة للاتحاد حيث قال الاتحاد: (إن بعثة تقصي الحقائق التابعة له في السودان لم تجد دليلاً على حدوث إبادة جماعية في منطقة دارفور المضطربة).[1]

2- عدم الاستقرار في الإقليم: حيث تخشى بعض الأطراف الدولية على مصالحها، وخصوصاً بعد أن أصبح الإقليم ساحة لرواج تجارة الأسلحة كما هو ساحة للصراعات القبلية، الأمر الذي أصبح فيه الإقليم بحاجة إلى من يضبط إيقاع حركات الصراع حتى لا تمتد للخارج، ويضبط مصادر توريد السلاح هناك.[2]

د- إدارة الأزمة:

إن استمرار الحرب في الإقليم سيلحق أذىً جسيماً بمقدرات الإقليم البشرية والمادية، وسيحدث جرحاً لا يندمل بين سكان الإقليم، وكذلك الدول المجاورة فهي ليست بمعزل عن الأزمة بل هي جزءاً منها، وعلى هذا الأساس يتوجب على الحكومة السودانية والتشادية في آن واحد التعاون فيما بينهما لحل ومعالجة مشكلة دارفور، ولأجل الوصول إلى ذلك، فعلى حكومة السودان أن تعي حقيقة وهي أن حل مشكلة التمرد بدارفور لن يتم بمعزل عن تشاد التي ستتضرر حتماً حال عدم التوصل إلى اتفاق بين الحكومة السودانية والمتمردين بالإقليم، وعلى الحكومة التشادية مراجعة حساب الأرباح والخسائر في علاقاتها مع السودان وخاصة عامل الجوار وما يترتب عليه من التزامات، ولا تلجأ تشاد إلى تسديد فواتير لخارج القارة

---

[1] الإنترنت Google (العربية) تاريخ 15 أيلول 2004م.

File: //A:Minitry%20news%2010-8-2004htm.

[2] مصعب الطيب بابكر، مرجع سابق، ص97.

الإفريقية على حساب فواتير الجوار مع السودان.

إن إدارة الأزمة في الإقليم تتطلب وعياً سودانياً يقوم على الاهتمام أكثر في الإقليم، من حيث البنية التحتية والتعليم والتجارة والنقل، واللجوء إلى البيت الإفريقي ليشد أزر الحكومة السودانية، ولا بد في هذا التوجه من العقلانية التشادية لحل قضية دارفور وتجنيب المنطقة التمزق والتدخل الخارجي، ولا بد من تسخير القبائل المشتركة لتكون جزءاً من الحل الذي يمكن التوصل إليه.

إن الجنوب السوداني ليس القضية الأخيرة في مسلسل القضايا التي حاكتها الأيادي الاستعمارية، فقد بدأت القصة الألبانية، والبوسنة والهرسك، والأفغانية والشيشان أنجوش... الخ وعلى ما يبدو فإنَّ كل دولة مرشحة لتكون القضية القادمة، ويحدد اختيار الدول لتكون القضية المقبلة للأوساط الاستعمارية المتنفذة خروجها عن الخط الذي رسمته تلك الأوساط لتلك الدولة.

ثالثاً- العراق والاحتلال: [1]

---

[1] العراق بلغة الأرقام:

- الموقع: تقع في الشرق العربي من قارة آسيا ويحدها جنوباً الخليج العربي، والسعودية والكويت، وشمالاً تركيا، وغرباً سوريا والأردن والسعودية، وشرقاً إيران.

- المساحة الكلية: 437072 كم مربع.

- مساحة اليابسة: 432162 كم مربع.

- الطول الكلي للحدود: 3631 كم.

- الدول المجاورة:

إيران 1458كم، الأردن 181 كم، الكويت، 242 كم، السعودية 814كم، سوريا 605كم، تركيا 331 كم.

- الطول الكلي للسواحل: 58 كم.

- الطقس: صحراوي في معظمه – شتاء بارد إلى معتدل – وصيف حار جاف غير ممطر – المناطق الجبلية الشمالية على طول الحدود الإيرانية والتركية للعراق ذات طقس بارد شتاء مصاحب بتساقط الثلوج والتي تذوب في أوائل الربيع وفي بعض الأحيان تسبب فيضاناً في وسط وجنوب العراق.

- الموارد الطبيعية: البترول – الغاز الطبيعي – الفوسفات – الكبريت.

- استغلال الأرض: الأرض المنزرعة 12%، الخضرة والمراعي 9%، الغابات والأخشاب 0%، أراضٍ أخرى 79%، الأرض المستصلحة 25500 كم مربع – إحصائية 1993م.

- الظروف البيئية:

- المشاكل الحالية: المشروعات الحكومية للمياه نزحت كل مناطق المستنقعات في شرق الناصرية عن طريق تجفيف أو تحويل البحيرات والأنهار المغذية لها، واضطر سكان هذه المناطق إلى الانتقال إلى مكان آخر، كما أن تدمير الكائنات الطبيعية يهدد الحياة البرية هناك بالخطر.

- الأخطار الطبيعية: العواصف الترابية والرملية – الفياضانات.

- تعداد السكان: 22219289 – إحصائية يوليو 1997م.

معدل النمو السكاني: 3.62% - إحصائية 1997م.

- متوسط الأعمار لكل السكان: 67.3 سنة، الرجال: 66.31 سنة، النساء: 68.5 سنة.

- الديانات: الإسلام: 97% من عدد السكان، المسيحية وديانات أخرى 3% من عدد السكان.

- اللغات: اللغة العربية، اللغة الكردية – وهي اللغة الرسمية في المناطق الكردية، اللغة الأرمينية – اللغة الآشورية.

- معرفة القراءة والكتابة: السكان الذين عمرهم أكثر من 15 عاماً بإمكانهم القراءة والكتابة.

- جملة السكان: حوالي 58% من عدد السكان بإمكانهم القراءة والكتابة. الرجال: حوالي 70.7% من عدد الرجال بإمكانهم القراءة والكتابة. النساء: حوالي 45% من عدد النساء بإمكانهن القراءة والكتابة. القوى العاملة: 4.4 مليون – عام 1989م.

- السكك الحديدية: الطول الكلي 2032 كم، الطرق: الطول الكلي: 45554 كم، الممهدة: 38402 كم، غير الممهدة: 7152 كم.

- النقل المائي: 1015كم متضمناً شط العرب – دجلة – الفرات – قناة شط البصرة.

- خطوط الأنابيب: البترول الخام 4350 كم – الغاز الطبيعي 1360كم – منتجات البترول 725كم.

- الدفاع:

الفروع: الجيش – الحرس الجمهوري والحرس الخاص – القوات البحرية – القوات الجوية – قوات الدفاع الجوي – قوات حرس الحدود – قوات الأمن الداخلي.

القوى البشرية المتاحة: الرجال من سن 15 إلى 49 سنة: 5039332، الرجال في سن التجنيد: 2825888، عدد الرجال الذين يصلون إلى سن التجنيد 18 عاماً سنوياً: 246404.

- نبذة تاريخية:

تعاقبت على أرض العراق الكثير من الحضارات منذ فجر التاريخ، وكان أول هذه الحضارات هي حضارة سومر والتي نشأت تقريباً قبل الميلاد بأربعة آلاف عام، ثم تبعتها الحضارة البابلية، ثم الآشورية في عام 539 قبل الميلاد، استولى الفرس على البلاد وظلت تحت الحكم الفارسي حتى

إن القضية العراقية من القضايا الساخنة اليوم، ومن الصعب التنبـؤ بأحـداثها، لذا فسنتناولها وفق المعطيات التالية:

1- مقدمات الاحتلال:

أ- حقائق التاريخ:

إن موضوع مطالبة العراق بالكويت ذات جذور تاريخية تعود لقرن مضى من الزمن على وجه التقريب، إذ عمـدت بريطانيـا بخبثهـا المعـروف إلى بـذر الخلافـات والتحريض لفك عرى التواصل بين البلدين، والمساهمة في اغتيال الشخصيات العراقية والكويتية الذين نادوا بالوحدة بين القطرين.

إن الحقائق التاريخية تدل على أنه لم يكن هناك فاصل جغـرافي أو تـاريخي لا في القديم ولا في الحديث بينهما، كما لم تشر الخرائط العالمية الغربية إلى وجود دول خليجيـة إلا خـلال العقـدين الماضـيين، بـل أشـارت الدراسـات إلى متانـة الارتباطـات العضوية، وقوة وشائج القربى، والنسب، والتحام العشائر التي تسـكن تلـك المنطقـة، وفي الحقيقة إن الكويت قد ظهرت كمدينة تجارية لأول مـرة في النصـف الثـاني مـن القرن الثامن عشر، حيث كانـت مـن الأراضي التـي تخضـع لإدارة الدولـة العثمانيـة، وظلت الكويت مرتبطة بولاية البصرة ارتباطاً إدارياً حتى خلال التقسـيمات الإداريـة التي أدخلها السلطان العثماني مدحت باشا عام 1869م.[1]

استحوذ عليها الإسكندر الأكبر عام 331 قبل الميلاد، ثم السلوقيين ثم الفرس مرة أخرى، وفـتح المسـلمون العـراق في عام 637 ميلادية، وقد كانت الكوفة عاصمة لخلافة رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب، وبعـد وفاتـه أصـبحت العراق تابعة للخلافة الأموية. وفي عام 747 نشأت الحركة العباسـية، وفي عـام 750 تـولى العباسـيون الحكـم، وأقـام أول خليفة عباسي مسجداً بالكوفة وقاموا ببناء عاصمة جديدة لهم هي مدينة بغداد وذلك عام 726، أنظر: صحيفة السبيل الأردنية الأسبوعية، العدد (480)، والصادرة بتاريخ (22-24) آذار 2003م، ص5.

[1] أنظر علاقة الكويت بالعراق إبان الحكم العثماني في صالح القرعان، الموقف الأردني من أزمة الخليج، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الأردنية: كلية الدراسات العليا، 1993م، ص7-8.

ب- الكويت والانفصال:

عندما ضعف نفوذ الدولة العثمانية في نهاية القرن الماضي، تزايد النفوذ الاستعماري البريطاني والألماني وكأنهما باتا في سباق مع الزمن، فخشيت بريطانيا من بسط النفوذ الألماني على حساب أطماعها خاصة بعد أن أعلنت ألمانيا رغبتها في مد خط حديدي يمر بالعراق وينتهي بالكويت، سارعت بريطانيا لعقد اتفاقية 1899م مع أمير الكويت وُعد فيها الأمير بالحماية البريطانية للكويت،[1] ولكنها لم تمنحها – الاتفاقية- حق السيادة على نفسها، وذلك لأن الاتفاقية العثمانية – البريطانية التي عقدت في لندن عام 1913م تضمنت المادة السادسة فيها ما يلي: (يمارس شيخ الكويت أعمال قائم مقام تابع لحاكم البصرة، ويعين من قبل السلطان العثماني، واستمرت الكويت قائم مقامية تابعة للبصرة حتى عام 1914م عندما غزت القوات البريطانية العراق وفصلت الكويت عنه،[2] وفي عام 1923م وتحت التهديد البريطاني اعترفت الحكومة العراقية بمقررات (سان ريمو) بالانتداب البريطاني، وفي عام 1932م وافقت الحكومتان العراقية والكويتية اللتان كانتا ترزحان تحت الاحتلال المباشر على رسم الحدود بينهما والمفروضة من بريطانيا دولة الاحتلال.[3]

جـ- المناداة بالوحدة والمطالبة بالضم: [4]

---

[1] نبيل السمان، آل سعود، أمريكا، الاحتلال – عمان: المطابع التعاونية، 1990م، ص78. أنظر أيضاً: المرجع السابق، ص8.

[2] للمزيد من الاطلاع حول الحقيقة التاريخية لعراقية الكويت، أنظر: محمد مظفر الأدهمي، الكويت ومحاولات عودتها إلى العراق في التاريخ الحديث والمعاصر، الحقيقة التاريخية لعراقية الكويت– بغداد: دائر الشؤون الثقافية، 1990م، ص5 وما بعدها.

[3] نبيل السمان، مرجع سابق، ص79.

[4] صالح القرعان، مرجع سابق، ص9.

عندما اعتلى الملك غازي عرش العراق عام 1933م، أعلن رفض الطلب البريطاني في رسم الحدود، ونقض الاتفاق المبرم مع بريطانيا، وبدأ بالمطالبة بضم الكويت، وأقام إذاعة خاصة في قصره، وقد نجحت جهوده الحثيثة بكسب الكويتيين حيث أقر حاكم الكويت مبارك الصباح مجلس الشورى بدعم الفقر الكويتي بالثراء العراقي، وفي اجتماع المجلس التشريعي قرر المجلس تقليص السيطرة البريطانية، وطالب بالوحدة مع العراق، وفي جلسة انعقاد المجلس عام 1938م أقر بغالبية مطلقة (10) إلى (14) صوتاً الوحدة مع العراق.

د- تكريس الانفصال:

رفضت بريطانيا قرار الوحدة المتخذ من المجلس التشريعي الكويتي، ووجهت إنذاراً إلى الملك غازي مفاده أن استقلال العراق مشروط باستقلال الكويت، ولم تكن دوافع الملك غازي يومها ثروات الكويت النفطية، وكانت الكويت يومها تعتمد اقتصادياً على العراق في التزود بالحبوب والطعام والمياه من شط العرب، وكان لآل الصباح أراضٍ حول مدينة البصرة، وكان الكويتيون يتاجرون في البصرة ويستعملون مؤنها وموانئها، وطالبت بريطانيا شيخ الكويت أحمد بن جابر الصباح بحل المجلس التشريعي ورفض قرار الوحدة، حيث كانت بريطانيا على علم مسبق بالمخزون النفطي الكويتي، بينما لا يعلمه الكويتيون والعراقيون، وبعد أقل من عشرين يوماً من القرار، حل الشيخ أحمد بن جابر المجلس التشريعي في 21 كانون الأول عام 1938م، وقامت الاحتجاجات في الكويت وأعمال العنف وفي 10 آذار عام 1939م ثار الكويتيون وتدخلت الحكومة البريطانية وقضت على الثورة وأعدمت قائدها (محمد المنيس) وهرب بقية الثوار إلى العراق، ودبرت بريطانيا كذلك عملية اغتيال الملك غازي لأنه كان في نظرها وراء تأجيج مشاعر الوحدة العراقية

– الكويتيـة، وبـذلك أسـدل السـتار مـدة زمنيـة عـن مطالبـة العـراق بضـم الكويت.[1]

هـ- محاولات الضم السلمية: [2]

أخذ العراق يؤكد حقوقه التاريخيـة في السـيادة عـلى الكويـت كلـما سـنحت الفرصة له بذلك، من خـلال المـذكرات وانعقـاد المـؤتمرات هنـا وهنـاك، وبعـد قيـام الاتحاد الهاشمي عام 1958م، دعا نـور السـعيد رئـيس وزراء الاتحـاد ضـم الكويـت مستنداً إلى العلاقات التاريخية والجغرافية والاقتصادية التي تربط العراق بالكويـت. وصرح وزير خارجية الاتحاد آنذاك فاضل الجمالي: (أنه بالإمكان توسيع الاتحاد وتنبأ بانضمام الكويت)، وفي شباط من عام 1958م أرسلت حكومة الاتحاد العـربي مـذكرة شديدة اللهجة إلى وزارة الخارجية البريطانية، طالبت فيها بريطانيا بالاعتراف بحقوق العراق التاريخية في الكويت مستندة إلى وثائق تاريخية وجغرافية معاً.

وعلى الرغم من قيام حكم العسكر في العراق بعد الإحاطة بالملكيـة هنـاك، لم يتـوانى العسـكر في المطالبـة بالكويـت، وفي 25 حزيـران 1961م أعلـن الـرئيس عبـد الكريم قاسم ضم الكويت مستنداً إلى نـص الوثـائق التـي اسـتندت إليهـا المطالبـات السابقة، وعين شيخ الكويت قائم مقام للكويت من توابع محافظة البصرـة، ونشرـت الصحف العراقية خرائط جغرافية لذلك، وعلى الرغم من كون إعلان قاسم رغبتـه في ضم الكويت سلمياً، إلا أن بريطانيا أرسـلت أسـطولها لمسـاعدة الكويـت في صـد أي عدوان عراقي عليها، ووقعت مع الكويت في 19 حزيران عام 1961م وثيقة

---

[1] المرجع السابق، ص8-9.

[2] محاولات الضم كثيرة منها: محاولة نقيـب إشراف البصرـة عـام 1901م، ومحاولـة يوسـف بـن إبـراهيم عـام 1902م، محاولة الملك غازي عام 1939م، محاولة نور السعيد عام 1958م، محاولة الرئيس عبد الكريم قاسم عام 1961م، لتفاصيل المحاولات أنظر: صالح القرعان، مرجع سابق، ص8-11.

الاستقلال تتضمن أربع نقاط هي: [1]

1- إلغاء اتفاق 23 يناير (شباط) 1899م.

2- استمرار علاقات الصداقة بين البلدين.

3- التشاور بين البلدين في الأمور التي تهمهما.

4- استعداد الحكومة البريطانية لمساعدة حكومة الكويت إذا طلبت ذلك.

وفي 12 آب 1961م حلت قوات عربية محل القوات البريطانية،[2] وأعطيت الكويت مقعداً في الجامعة العربية مما أدى إلى عزل العراق دولياً، وإلى انهيار الصناعة وتقليص عائداته النفطية. وبعد نجاح الانقلاب البعثي بقيادة الرئيس عبد السلام عارف في 18 شباط عام 1963م، اعترف الأخير باستقلال الكويت مقابل هبة مالية قدرها (85) مليون دولار، مما اعتبرته الأوساط الشعبية والسياسية والعربية رشوة، ولكن لها أثراً في الإحاطة به.[3]

لقد عمل العراق على إبقاء حبل الاتصالات الخاص بمباحثات الضم مع الكويت موصولاً بين الأعوام (1964-1967) ولكنها جميعاً باءت بالفشل، وعلى أثر الخلاف العراقي الإيراني مع مطلع عقد السبعينات دخلت القوات العراقية الكويت لصد أي هجوم إيراني محتمل على ميناء أم قصر، وقبل الحصول على موافقة الكويتيين، وأقام العراق نقطة دفاعية في منطقة الصامته، ولكنهم انسحبوا فيما بعد، وفي 22 من آب عام 1973م طالبت الحكومة العراقية بضم جزيرتي (وربة وبوبيان) للعراق مقابل الاعتراف بالحدود العراقية الكويتية المرسومة، وبعد اندلاع الحرب العراقية – الإيرانية في 22 من أيلول عام 1980م جمد الطرفان الكويتي والعراقي خلافاتهما وبقي الأمر كذلك طيلة أيام الحرب.

---

[1] رضا هلال، الصراع على الكويت، بيروت: دار الجليل، 1991م، ص 5 وما بعدها.

[2] تكونت هذه القوات من السعودية، السودان، مصر، الأردن.

[3] نبيل السمان، مرجع سابق، ص82.

2- الطريق إلى الاحتلال:

أ- أمريكا والمنطقة: [1]

لقد استثمرت أمريكا الحرب العربية – اليهودية سياسياً عام 1973م، فبعد قرار الملك فيصل بمنع تصدير النفط للدول التي تدعم دولة الكيان الصهيوني في فلسطين، أصدر بعدها الرئيس جيمي كارتر الأمر الرئاسي رقم (10) والمتضمن "الاستراتيجية القومية للولايات المتحدة الأمريكية" وفيها تفصيلات للأسس السياسية والعسكرية لمذهب كارتر، والذي يتضمن: (ضرورة الإعداد لحروب صغيرة، وإنشاء قوات للانتشار السريع تستطيع توجيه ضربات إلى مناطق الشرق الأدنى، والشرق الأوسط، وإيران، وباكستان، والخليج العربي، وقد اعتبر منطقة الخليج ضمن المصالح العسكرية الاستراتيجية للولايات المتحدة، ولها حق التدخل لصد أي عدوان خارجي، والدفاع عن الحلفاء، وضمان تدفق النفط"، وفي عام 1980م أعلن كارتر أسس التدخل في منطقة الخليج العربي والقائمة على ضرورة التدخل باستخدام كافة الوسائل الضرورية بما فيها القوة العسكرية في حالة التطاول على المصالح الأمريكية في الخليج العربي بصرف النظر عن طابعه غزو خارجي أو قلب نظام الحكم، فإن أي خطر يهدد أي دولة من الدول النفطية هو بمثابة تهديد مباشر لمصالح الولايات المتحدة)، وبناءً عليه فقد قررت الولايات المتحدة الإنزال العسكري في العربية السعودية في الحالات التالية: [1]

---

[1] نبيل السمان، مرجع سابق، ص90-92.

[1] المرجع السابق، ص93.

1- وقوع انقلاب عسكري في الرياض تنظمه عناصر معارضة الحكم.
2- محاصرة مضيق هرمز من قبل إرهابيين أو معادين للسلطة السعودية، أو عند إغراق ناقلات النفط الكبرى وبث الألغام في المضيق.

3- إذا أوقفت العائلة السعودية ضخ النفط.
4- غزو القوات العراقية الكويت العربية السعودية.

ولتنفيذ هذه الخطة قررت الإدارة الأمريكية القيام بعدة إجراءات للوفاء بذلك منها: [2] زيادة التواجد البحري للولايات المتحدة في المنطقة المجاورة للخليج العربي، وإنشاء قوات الانتشار السريع لتقوم بالتدخل في المنطقة مع تجهيزها بشكل يلائم طبيعة المهمات التي ستلقى على عاتقها، وإنشاء القيادة المركزية للخليج ومقرها بولاية (فلوريدا) الأمريكية، وإنشاء قواعد عسكرية في منطقة الخليج كقواعد مستقبلية لهذه القوات في عُمان والصومال وكينيا وغيرها، إنها الحرب قادمة لا محالة مسرحها الخليج وكل ديار العرب، ولكن المتبقي البحث عن ذريعة.

لقد سعت الولايات المتحدة للبحث عن أية ذريعة للتدخل، مهما كان مصدرها سوفياتي، إيراني، عراقي وحتى سعودي أو كويتي أو... أو ...،[3] إذن ما ينقص التدخل التوقيت والذريعة ومشاركة الحلفاء الأوروبيين، وكانت أمريكا تغري الكويت بزيادة إنتاجها النفطي، مما أدى إلى اتهام العراق الكويت بالضلوع في مؤامرة أمريكية تستهدف أمن العراق ومصالحه الحيوية، فوجه العراق مذكرة رسمية إلى حكومة الكويت أدانت زيادة إنتاجها فوق معدل الحصص المخصصة لها من الأوبك-، والذي بدوره أدى إلى تدني الأسعار في السوق العالمية وخسارة العراق

---

[2] المرجع السابق، ص94.

[3] المرجع السابق، ص96-97.

خسارة فادحـة،[1] وأدان قيـام الكويـت منـذ عـام 1980م، مسـتغلة انشـغال العراق بالحرب مع إيران بإقامة منشآت نفطية على الجزء الجنوبي من حقل الرميلة، وقيامها بضخ النفط والذي بلغت قيمته ملياران وأربعمائة مليون دولار، كـما طالـب العراق المعوز والرازح تحت الديون بإلغاء الديون الخليجية والبالغة خمـس وثلاثـين مليار دولار، وهي قيمة التجهيزات العسكرية التي اشتراها العـراق بالعملـة الصـعبة لحربه مع إيران، والتي تعتبر بنظر العراق حرب وقائيـة عـن الخلـيج العـربي ودولـه جميعاً. وقد أخذت بوادر الأزمـة بـين العـراق والكويـت تتزايـد يومـاً بعـد يـوم، ولم تجدي المباحثات نفعاً، الأمر الذي أدى إلى اقتنـاع العـراق بعـدم الوصـول إلى حلـول ترضـيه مـن وراء المباحثـات، فقـرر عنـدها اجتيـاح الكويـت في 2 آب عـام 1990م، وكانت الكارثة.[2]

ب- العراق يدخل الكويت:

حظيت أزمة الخليج باهتمام عالمي ملحوظ منذ اندلاعها في 2 آب عـام 1990، ويرجع الاهتمام بها إلى الظروف المتميزة التي أحاطت بها، خاصة تلك المتعلقة ببروز النظام العالمي الجديد، إن المتتبع لأحداث الأزمة منذ اشتعالها وحتى 17 كانون الثاني عام 1991 اليوم الذي شن به التحالف هجومه عـلى العـراق، يلاحـظ أن جملـة مـن العناصر توافرت لتكون عملية دخول العراق الكويت أزمة بـالمعنى الحقيقـي وهـذه العناصر هي:

الأول: المفاجـأة، حيـث أن دخـول العـراق الكويـت كـان بمثابـة مفاجـأة غـير متوقعة، على الرغم من احتدام الخلاف بين الطرفين، لكون المباحثات والتفاوض كـان دائراً في جدة بالسعودية يوم 30/تموز 1990 لمناقشة مسائل نفطيـة وحدوديـة ذات علاقة مشتركة بين الكويت والعراق.

---

[1] إلى جانب دولة الكويت أدان العراق دولة الإمارات العربية – للمزيـد حـول هـذا أنظـر: رضـا هـلال، مرجـع سـابق، ص70.

[2] صالح القرعان، مرجع سابق، ص12.

الثاني: أن وسائل الإعلام العالمية أخذت تضخم بعض التصريحات التي كانت تصدر عن بعض المسؤولين العراقيين وتؤول فيها، فكانت تنطوي هذه التأويلات على تهديد العراق للأقطار الخليجية.

الثالث: الرعب الذي دب في الأقطار المتأثرة بالأزمة وخاصة العربية السعودية، مما دعاها للاستعانة بدول خارج النظام الإقليمي العربي، وذلك دفعاً للضرر القادم من جراء تنفيذ التهديدات العراقية.

وأما أسباب الأزمة بين الكويت والعراق فكانت معظم نقاط الخلاف اقتصادية وفي مقدمتها[1]:

1- اتباع الكويت لسياسة نفط تخريبية حسب الرؤيا العراقية، هدفها تخفيض سعر النفط وإلحاق الضرر بالعراق.
2- ضرورة إسقاط الديون الكويتية عن العراق، فإذا كانت الكويت قد قدمت إسهاماً في المجهود الحربي العراقي، خلال ثماني سنوات من القتال المرير الذي خاضه الجيش العراقي، ونجح في حماية أرض الكويت وبقية دول الخليج العربي التي كانت مهددة من إيران، فالعراق اعتبر الحرب التي قام بها نيابة عن تلك الأقطار.
3- الخلاف حول حقل نفط الرميلة على الحدود العراقية، والذي يمتد من جنوب العراق حتى يلامس الحدود الكويتية، وإتهام الكويت بالاعتداء على هذا الحقل لاستخراج النفط لصالحها.
4- عدم تأجير جزيرتي وربه وبوبيان غير المأهولتين بالسكان للعراق مما يحرم العراق من مياه بحرية لأغراضه التجارية العسكرية.

إن الاستجابة الأمريكية لأحداث الأزمة كان سريعاً، مستثمرة بذلك جملة

(1) فهد الفانك، الأبعاد الاقتصادية لأزمة الخليج، مجلة الوحدة، العدد (88) 1992، ص57-58.

التناقضات العربية لتحقيق عدة أهداف مرسومة في السياسة الأمريكية وأهمها[1]:

1- تحذير لليابان وألمانيا والدول الأوروبية الصناعية.

2- سيطرة مخططة على مصادر النفط وتوظيفها لصالحها.

3- التحكم في السياسة النفطية الدولية تسعيراً وتسويقاً ومردوداً عن طريق السعودية والكويت والإمارات العربية.

4- خفض العجز التجاري والاقتصادي الأمريكي عن طريق افتعال الحروب، تلك التي سيمولها حتماً من يوالون السياسة الأمريكية.

5- نقل جزءٍ من القوات الأمريكية وتحت المظلمة الشرعية الكامنة في قرارات الأمم المتحدة.

إن الولايات المتحدة وهي في طريقها لاستثمار الأزمة لصالحها سعت في مسعيين، الأول، وكان على صعيد هيئة الأمم المتحدة، والثاني كان على صعيد الدول المنتمية لهذه الهيئة فعلى صعيد الأمم المتحدة تمكنت من الوقوف وراء عدة قرارات أصدرها مجلس الأمن تتعلق بأزمة الخليج العربي وهي:

([1]) المنصف وناس، النظام الجديد والعالم العربي الإسلامي، مجلة الوحدة، العدد 88، 1991، ص52.

القـرارات التـي أصـدرها مجلـس الأمـن الـدولي فـيما يتعلـق بأزمـة الخلـيج العربي[1](*).

رقم القرار	تاريخ صدوره	فحوى القرار	ملاحظات بشأن التصويت على القرار
660	1990/8/2	إدانة الغزو العراقي للكويت	لم تشترك اليمن في التصويت
661	1990/8/6	فرض مقاطعة إجبارية على العراق	امتنـاع كـل مـن الـيمن وكوبـا عـن التصويت
662	1990/8/9	عدم شرعية ضم العراق للكويت.	صدر القرار بالإجماع
664	1990/8/18	يتعلق بوضع الأجانب والبعثات الدبلوماسية في الكويت والعراق.	صدر القرار بالإجماع
665	1990/8/25	التأكيد على إجراءات المقاطعة ضد العراق.	امتنـاع كـل مـن الـيمن وكوبـا عـن التصويت
666	1990/9/13	مراعـاة الظـروف الإنسـانية في العـراق والكويت في عملية المقاطعة.	معارضة اليمن وكوبا
667	1990/9/16	مراعـاة العـراق لاتفـاقيتي فينـا لعـام 1961، 1963 بشأن البعثات الدبلوماسية والقنصلية.	صدر القرار بالإجماع
669	1990/9/24	تقديم مساعدات إلى العراق وفق نص المادة 50.	صدر القرار بالإجماع
670	1990/9/25	امتداد إجراءات مقاطعة العـراق إلى وسـائل النقل الجوي.	صدر القرار بالإجماع
674	1990/10/29	التصميم على ضمان امتثال العـراق لقـرارات مجلس الأمن	معارضة كوبا
677	1990/11/28	يتعلق بوضع الكويتيين في العراق المحتلة.	امتنـاع كـل مـن الـيمن وكوبـا عـن التصويت
678	1990/11/29	منح العراق فرصـة أخـيرة للامتثـال لقـرارات مجلس الأمن في موعد أقصاه 15 يناير 1991	امتنـاع كـل مـن الـيمن وكوبـا عـن التصويت
686	1991/3/2	يتعلـق بـالحرب الـدائرة في منطقـة الخلـيج العربي.	امتنـاع كـل مـن الـيمن وكوبـا عـن التصويت

(1) مصطفى عبد الله أبو القاسم خشيم، أزمة الخليج بين الإرادة الشعبية ومصالح الحكومة، ، مجلة الوحدة، العـدد 88، 1992 ص40.

(*) صدرت القـرارات الإثنا عشر الأولى (قرار رقـم 660 إلى 678) أثنـاء أزمـة الخلـيج التـي اسـتمرت مـن 1990/8/2 إلى 1991/1/17. أما القرار الأخير (رقم 686) فقد صدر أثناء حرب الخليج التـي جـاءت لانتقـال الأزمـة مـن مرحلـة التوتر الشديد إلى مرحلة الحرب الفعلية.

وأما على صعيد الدول المنتمية لهيئة الأمم المتحدة فقد استطاعت الولايات المتحدة تجييش دول العالم للمشاركة في تنفيذ القرارات الدولية، وقد برز دور الولايات المتحدة دوراً قيادياً في المجالات السياسية والدبلوماسية والعسكرية، وأما الدول التي أسهمت عسكرياً ولا عسكرياً في التحالف المضاد ضد العراق أثناء الأزمة والحرب معاً فهي[1]:

1- **دول ساهمت عسكرياً** هي: الولايات المتحدة، السعودية، بريطانيا، مصر، سوريا، فرنسا، الكويت، باكستان، تركيا، كندا، بنجلاديش، المغرب، قطر، الإمارات العربية، البحرين، عُمان، إيطاليا، إسبانيا، أفغانستان، الأرجنتين، استراليا، بلجيكا، بلغاريا، الدانمارك، ألمانيا، اليونان، هندوراس، هولندا، نيوزلندا، النيجر، النرويج، السنغال، سيراليون والعدد الإجمالي لهذه الدول (33) دولة.

2- **دول ذات إسهامات غير عسكرية** هي: اليابان، كوريا الجنوبية، تشيكوسلوفاكيا المجر، بولندا، البرتغال، سنغافورة، سيرلانكا، السويد والعدد الإجمالي لهذه الدول (9) دول.

إن العرب لم ينجحوا فيما بينهم لحلّ أزمة الخليج عربياً، وقد دعا مؤتمرهم في القاهرة الذي سبق الحرب إلى تدويل الأزمة، بمعنى وضع الأمن القومي العربي في مهب الريح، وانضموا إلى جيش التحالف ليتقابل العربي وجهاً لوجه مع أخيه العربي من أجل مصالح غير العرب.[2]

([1]) المرجع السابق، ص39.

([2]) انعقد مؤتمر القمة العربية غير العادي في القاهرة (9-10) آب 1990م، وكان مواقف الدول كالآتي: امتناع كل من الأردن والجزائر واليمن عن التصويت، وتحفظت كل من: السودان ومنظمة التحرير الفلسطينية وموريتنيا، ولم تشارك تونس، وعارضت ليبيا والعراق القرار، وقد جاء القرار مؤكداً لقرارات مجلس الأمن، وعلى إدانة العراق، وتأكيد سيادة الكويت، وشجب التهديدات العراقية والاستجابة لطلب السعودية ودول الخليج العربي الأخرى بنقل قوات عربية لمساندتها – للمزيد أنظر – صالح القرعان، مرجع سابق، ملح رقم (6)، ص131-133.

3- الاحتلال ومسوغاته:

لم تكتفي الولايات المتحدة بما حققته من أهداف في حربها عام 1991م، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك، فأخذت تضع الخطط والمخططات لاحتلال العراق وإسقاط نظامه، وقبل أن نبدأ بالحديث عن احتلال العراق علينا أن نعلم أن الحقيقة جوهرة مفقودة قد تعثر عليها ولكن بعد فوات الأوان، وقد لا تعثر عليها كاملة الجوانب والوجوه، فإن عثرت على بداية خيط من خيوطها فاستودعه في ذاكرتك ولا تستعجل الأمر، فالزمان هو الكفيل على كشف ما تبقى من خيوطها وعلاقاتها، لذا لا تصدق ما يقال دون تفكير بوعي وروية، قالوا: "إن الحرب على أفغانستان هي أولى حروب القرن على الإرهاب" وسموها باسم "العدالة المطلقة"، وهل العدالة المطلقة تعيش على كوكبنا هذا؟، وهل يستطيع أي من البشر تطبيق هذه العدالة؟!!، إذا وجدت هذه العدالة، لماذا إذن تقع الحروب؟!، أليس هذا متناقض مع أبسط قواعد المنطق البشري، الذي يرى أنه لا حرب مع العدالة ولا سلام مع الظلم، وإن الحملة التي وجهت للصومال عام 1991م سميت بحملة "إعادة الأمل"، هل أعيد الأمل المفقود للصومال الجائع الممزق؟!، فهل عادة نعمة الإطعام لجياعه، وعاد الأمن للخائفين في كل أرجاءه؟!!

وأطلق على الحملة العسكرية على العراق عام 1991م اسم "درع الصحراء" وذلك لحماية دول شبه الجزيرة العربية من خطر وشيك من جارتها العراق، يا لها من تسمية واهية في معانيها ماكرة في أهدافها ومراميها، لنتساءل لتحمى الصحراء ممن؟!، من أعداء العرب!!!، أم تحمى ثروة صحراء العرب من العرب!!!، وكذلك جاءت حرب "تحرير العراق" عام 2003م لتحرير العراقي من نظام صادر حريته وغلهم بالأغلال؟، فما هي الحال بعد دخول أمريكا ومن لف لفيفها العراق وتنحية الرئيس وقلع نظامه؟!!، هذا ما وددنا جلب الانتباه إليه، وهو أن الحقيقة شيء والادعاء شيء آخر.

وبعد: ترى ما هي أسباب احتلال العراق ودرتها بغداد؟! هل هو النفط أم أسلحة الدمار الشامل، أم بابل وأساطير التوراة، أم هل هي جميعاً، وسنناقش كل منها بفقرة منفصلة، وعلى النحو التالي:

أ- البترول (الذهب الأسود):

هناك مقولة بريطانية "الذهاب حيث يكمن النفط"[1] فسارت الولاات المتحدة وحليفتها بريطانيا صوب هذه المقولة، بكل ما أوتيت من قـــوة لتغـــزوا بلداً أنهكته الحروب وشل الحصار قدراته، في حرب هندسها ودفعها بقـوة أربـاب النفط بكـل الوسائل، بعد أن أصبح لهم ولشركاتهم النفطية النفوذ الواسع والذراع الطويـل في كواليس الحكم وأورقة صناع القرار في دول التحالــف، وهنا تتجلى الحقيقــة والتي جاءت على ألسنة الجغرافيين والسياسيين في مقولتهم المأثورة: "هذه الدولـــة تحسد على ثرواتها"، وذلك عندما يجدون دولة ما تمتلك من الثروات ما يجعلهــا مطمعاً للقاصي والداني، ودولــة العراق دخلت التاريخ من أبوابه الواسعة عندما وضعتها أعظم قوة اقتصاديــة وعسكرية في العالم (أمريكا) نصب عينيها للاستيلاء والسيطرة عليهـا، لكونها تريد ذهبها الأسود كنز القرن الحادي والعشرين،[2] وهذه السيطرة كانت وما زالت هدفاً غربياً من قبل أن ترث الولايات المتحدة الدور الاستعماري البريطاني في المنطقــة، فقد كان العراق منذ عام 1925م بوابة الشركات البريطانية والأمريكية إلى آبار النفط العربية، وخاصـة إذا علمنـا أن البئر العراقية كانت ولا تزال تعطي النفط الخام يومياً أكثر من ثلاثة عشر ألف برميـل في غالب الحالات، أي ما يعادل ما تعطيه (900) بئر أمريكية، وأضعاف ما تعطيه الآبار السعودية والكويتية والإيرانية بنسب تتراوح ما بـــين

---

[1] محمد السائحي، قرن مـن الحـروب والإرهـاب في سـبيل الـنفط، القـدس العـربي، العـدد (4329)، تـاريخ 22 نيسـان 2003م، ص18.

[2] سمير جورج وعفاف الدهشان، البترول ثروة العراق ونقمتها، مجلة آخر ساعة، العدد (2571)، 2003م، ص41.

(55-60%)، كما أن النفط العراقي يتميز بقلة تكلفة الإنتاج إذ تتراوح تكلفة إنتاج البرميل الواحد ما بين دولار ودولار ونصف فقط، في حين تصل هذه التكلفة إلى حوالي (12) دولار في أمريكا الشمالية و(18) دولار في أمريكا الجنوبية فضلاً عن جودته العالمية، كما أن (50%) من الحقول النفطية العراقية لم يجري تقويمها بعد، ومنها منطقة الصحراء الغربية.[1]

لم تغب الثروة النفطية العراقية عن أذهان شركات النفط الأمريكية والبريطانية،[2] منذ أن خرجت منه بعد قرار تأميم المحروقات الذي تم الإعلان عنه عام 1973م في العراق، لكون العراق ينام على بحيرة نفطية قدرتها بعض الدراسات بـ(112) مليار برميل ذو جودة عالية لاحتوائه على مستويات دنيا من الكبريت، وزاد من أهمية التعلق بالعراق اكتشافه الجديد لحقل نفطي في صحرائه الغربية، وفيه ما يفوق ما تحويه السعودية برمتها من النفط، ودلت الجدوى الاقتصادية لبعض الدراسات أن تكلفة الإنتاج لا تتجاوز (97) سنتاً للبرميل الواحد حسب قول (جون تلنق) رئيس إحدى الشركات النفطية الغربية مقارنة بنفط الشمال الذي تصل تكلفة إنتاج البرميل الواحد ما بين (3-4) دولارات، الأمر الذي يجعل بترول العراق يوفر أرباحاً تصل إلى (97%).[3]

إن الاستحواذ على النفط والحالة هذه بات هدفاً استراتيجيـاً غربياً، وخاصة في ظل قيادة أمريكية لها اهتماماتها في مجال النفط،[4] الأمر الذي

---

[1] المرجع السابق، ص42.

[2] وحسبنا أن نشير إلى مخاطبة هنري كسيسنجر –والكل يعرف هذا الشخص- لزعماء أوربا قائلاً: (إن حضارتنا جميعاً ستبقى في خطر إذا بقي العرب يسيطرون على النفط الذي يشكل دم الحياة للحضارة الغربية)، أنظر: زياد أبو غنيمة، السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام الغربية، عمان: دار عمار، 1984م، ص41.

[3] محمد السائحي، مرجع سابق، ص18.

[4] على حد تعبير صحيفة ليبراسيون الفرنسية ترى: "إن العقلية الأمريكية تسعى وراء البترول، فالرئيس الأمريكي "جورج بوش الابن" له خبراته الواسعة في مجال النفط منذ أن كان في ولاية تكساس، وأن "ديك تشيني" كان مديراً لأهم شركات النفط العالمية "هاليبورتون"، كما أن "كوندليزا رايس" كانت مستشارة إدارية لشركة "شرفون" البترولية، نقلاً عن صحيفة ليبراسيون الفرنسية، مجلة المجتمع (الكويتية)، العدد (6484)، 2002م، ص23.

أخـذت به قضية الـنفط فصـولاً دراميـة مـن أشـكال الحـرب ضـد إيـران أو تــوريط العــراق في احــتلال الكويــت، أو ضرب العــراق عــام 1991م، أو احــتلال أفغانستان والتواجد في آسيا بالقرب من بترول بحر قـزوين أو الانقلابـات في نيجريـا، والتمرد في فنزويلا أو التدخل في السودان، كل ذلك مـن أجـل السـيطرة عـلى منـابع النفط وضمان إمداداته، لإبقاء الآلة الصناعية الغربية في حالة دوران لا تتوقف يومـاً ما، والتحكم في اقتصاديات الدول الصناعية الأخرى من خلال التحكم في عجلة دوران مصانعها، وحتى لا يتسنى لها تهديـد الهيمنـة والانفـراد الأمـريكي عـلى العـالم، فهـي (الولايات المتحـدة) تملـك قـوة عسـكرية هائلـة، توازيهـا قـوة اقتصـادية مماثلـة، لا تستطيع قوة في العالم مضاهاتها، في حين لا تملك احتياطاً نفطياً إلا (21) مليار برميل، وتسـتهلك حاليـاً (17) مليـون برميـل يوميـاً، سـيقفز إلى (26) مليـون برميـل عـام (2020م)، مع العلم أن الإنتـاج الأمـريكي لا يمكـن أن يزيـد عـلى (9) مليـون برميـل يومياً، فالمطلوب والحالة هذه استيراد ما يعادل (6.2) مليون برميل يومياً.[1]

إزاء المعطيات السابقة وفي خضم الصراع المحتدم على النفط والسباق المحموم على مصادره، أدت بشركات النفط الألمانية والفرنسية والروسـية لـلإسراع عـلى إبـرام عقود مبكـرة مـع العـراق،[2] لقطـع الطريـق أمـام الشركات البريطانيـة والأمريكيـة خصوصاً وأن كلاً مـن (BP) و(Shell) و(Exyon mobil) جـددت مطالبهـا في شركـة النفط العراقية (IPC) قبل تأميمها عام 1973م، لكن الشركات الأمريكية والبريطانية سبقت الكل بوصولها السريـع إلى بغـداد عـلى ظهـر الـدبابات لفـرض واقـع تصـنعه وحدها وتفرضـه عـلى الجميـع،[3] إن الولايـات المتحـدة تسـتطيع تـأمين احتياجاتهـا البترولية دون إشعال الحروب، ولا تحتاج إلا إلى دبلوماسية من الدرجة الثالثة.

---

[1] سمير جورج وعفاف الدهشان، مرجع سابق، ص43.

[2] إن سر وقوف فرنسا وألمانيا وروسيا ضد أمريكا وبريطانيا في هيئة الأمـم المتحـدة، يكمـن في عمليـة تقاسـم الكعكـة البترولية العراقية، لا على كيفية معالجة المشكلة العراقية.

[3] محمد السائحي، مرجع سابق، ص18.

إلى جانب العامل الاقتصادي الكامن في الثروة النفطية، هناك عوامل سياسية وتتلخص بما يلي:

1- إن الوصول إلى أعلى المناصب الحكومية أو البقاء على سدتها في الولايات المتحدة، يتطلب استرضاء شركات البترول والتي لها باع طويل في ترشيح من يخدم مصالحها لأعلى المناصب، وقد اعترف الرئيس الأمريكي الأسبق فرانكلين روزفلت بهذا النفوذ حيث قال: "أزمة هذا البلد هو أنك لا تستطيع الفوز في الانتخابات بدون تكتل شركات النفط، ولا أنت تستطيع ممارسة الحكم".[1] لذا فالقادم لملئ كرسي أعلى سلطة ما عليه إلا الإصغاء لكل مبررات الغزو التي تضعها شركات النفط، وغزو المناطق التي تحددها تلك الشركات والسيطرة عليها نهائياً.

2- إدامة الهيمنة والسيطرة على العالم، ولتحقق هذه الهيمنة لا بد من السيطرة على نفط العالم،[2] وهذا جوهر المقولة القائلة "إذا أردت أن تحكم العالم فعليك السيطرة على النفط، كل النفط وفي كل مكان"،[3] لذا قامت استراتيجية الدول الطامعة بهذا النفط على أساس تزويد الكثير من الانظمة بالسلاح مثل: بنما، العراق، يوغسلافيا (السابقة)، السعودية...الخ ثم غزوها بعد ذلك، كاجتياح بنما وغزو أفغانستان وغزو العراق، والهيمنة على دول الخليج العربي.

---

[1] المرجع السابق، ص18.

[2] ترى ما سر دعم بريطانيا المطلق للإدارة الأمريكية؟ إن هذا يعود إلى زمن الثورة الإسلامية في إيران حيث رافق الثورة ظهور قطب نفطي جديد جمع بين شركتي نفط Standard Oil (و) Brithsh Petrouieum، أطلق عليه (BP-America) ثم (BP-Amoco) لتتأقلم مع التحديات الجديدة، وفي هذا المولود الجديد تكمن أحد أسرار دعم رئيس وزراء بريطانيا لأمريكا، المرجع السابق، ص18.

[3] المرجع السابق، ص18.

ب- أسلحة الدمار الشامل:

إن التهمة التي ألحقت بالعراق لما تسمى بأسلحة الدمار الشامل، والتي كانت أحد الأسباب الرئيسة التي سوغتها وسائل الإعلام الأمريكية لاحتلال العراق كانت واهية جداً، فالعراق بدوره نفى هذه التهمة، ومن الملفت للانتباه أن الدول التي خاضت تلك الحرب تملك من أسلحة الدمار الشامل ما يكفي لتدمير الكرة الأرضية برمتها عدة مرات.

والسؤال: ما الذي جعل امتلاك مثل هذه الأسلحة محرماً على العراق والدول الإسلامية ومحللاً لغيرها؟ وإذا كان العراق نفى في حينه امتلاك مثل هذه الأسلحة وصنعت به أمريكا وبريطانيا ما صنعت، لماذا تقف أمام كوريا موقف المتفرج وهي تعمل على تطوير أسلحتها النووية؟!، وإذا كان العراق قد سمح لمفتشي الأمم المتحدة بدخول أراضيه، وكوريا طردتهم من أراضيها، فما الذي جعل العراق خطراً داهماً ولم يجعل كوريا كذلك؟.

من مراجعة كتب التاريخ عند الحديث عن السلاح والتسليح، نجد الحقائق تقول أن رجال المصارف الصهاينة في بريطانيا وأمريكا كانوا يساعدون ألمانيا على إعادة التسليح لتصبح أكثر استعداداً لخوض حرب جديدة بعد الحرب الكونية الأولى، فأنت لا تصدق أن الألمان الذين أفلسوا منذ الحرب العالمية الأولى وتعرضوا لكساد عظيم في العشرينات كان بإمكانهم بناء هذه الآلة الحربية العظيمة من الدبابات والطائرات بأنفسهم، فكل بيوت المال التي يسيطر عليها اليهود في أمريكا وأوربا قامت بتمويل هتلر لبناء آلته الحربية.[1]

وكذلك العراق فقد قدم الأمريكان لنظم صدام حسين المال والسلاح والدعم الراسخ وبكل ما يمكن من تكتم وسرية، وهذا ما كتبه الصحافي الأمريكي (ويليام سافير) بالنص: "إنها لفضيحة أن يستغل زعماء نظام ديمقراطي سلطتهم لتدعيم القوة العسكرية لديكتاتور سراً"، وصدام حسين

---

[1] تقرير نورث بوبينت، درع الصحراء، عمان: دار الكرمل 1991م، ص45-46.

شـانه شأن (بن لادن) عندما كان يحـارب السـوفيات في أفغانسـتان، مـا كـان ليوجد ويتقوى إلا بإرادة أمريكا،[2] لقد زودت أمريكا نظـام صـدام بالعتـاد والسـلاح ومن بين إحدى الصفقات ستين طائرة هيلوكبتر (هوغ)، وكانـت ترسـل موفـدين لهـا بين حين وآخر وكالوا لصدام المديح، وأرسلت رسالة لحكـام الخلـيج قالـت فيهـا: "إن هزيمة العراق في حربه مع إيران سوف تكون معادية لمصالح الولايات المتحـدة التـي اتخذت مجموعة تدابير لتجنب مثل هذه النتيجة".[3] ومن المتحمسين لدعم العـراق يومها دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكي الذي دخل الأمريكـان العـراق في عهـد وزرنته، فقد سُئل عام 1984م من قبل صحيفة (شيكاغو تريبيون) عن أكثر عمل يثير الاعتزاز، فأجاب (استعادة العلاقات مع العراق)،[1] وفي عام 1986م كشـف الصـحفي (بوب وود وورد) بأن الـ(CIA) قـدمت للعـراقيين معلومـات أتاحـت لهـم (ضـبطاً) أفضل لهجماتهم على الفرق الإيرانية، كما استفادت بغداد من صور الأقمار الصناعية في مجال الاستطلاع، فكانت لهم ذات عون كبـير لإحكـام تسـديد عمليـات القصـف" وأما مدير وكالة (NSA) (ستودمان) التي تتـولى وكالتـه الإشراف عـلى تلـك الأقـمار، فقال: "كانت مشـكلتنا تحويـل حليـف إلى عـدو، وذاك لأننـا طيلـة حـرب العـراق – إيران، وقفنا صراحة إلى جانب العراقيين، ثم وجدنا أنفسنا فيما بعد وكفة الميـزان في غير صالحنا على الإطلاق"،[2] كـما سـمحت الولايـات المتحـدة والحـديث عـن الـدعم الأمريكي لنظام صدام، بإعطاء موافقتها على إنشاء خط بـترولي يسـمح بنقـل البـترول العراقي نحو الأسواق العالمية بكل هدوء وطمأنينة دون خوف من الحصـار البحـري وهجمات الأسطول الإيراني في منطقة الخليج.[3]

---

[2] إريك لوران، حرب آل بوش، الكويت، دار الخيال، 2003م، ص42.

[3] المرجع السابق، ص43-44.

[1] المرجع السابق، ص45.

[2] المرجع السابق، ص45-46.

[3] المرجع السابق، ص46.

إن قضية أسلحة الدمار الشامل أثيرت ما بعد أزمة 1990م، في حين لم يلحظ أحد من المراقبين استخدام النظام العراقي مثل هذه الأسلحة في حربه تلك، وهذا يعني أن امتلاك أسلحة الدمار ذريعة سوغت لضرب العراق، وفي عام 2002م وتعليلاً لإرادة الحرب واحتلال العراق صرح رامسفيلد بالقول: "إن صدام يبغض الولايات المتحدة ويمتلك أسلحة الدمار الشامل"،[4] واتخذت عدة خطوات نحو تصعيد الموقف فلجأت إلى الأمم المتحدة واستصدرت قرار (1441) القاضي بإرسال لجنة تفتيش عن أسلحة الدمار الشامل في العراق (أنموفبيك) برئاسة (هانز بليكس)، رغم هذا مضت في حشد قواتها والاستعداد للحرب، وسُئل رامسفيلد عن احتمالية اعتراض بعض الدول في مجلس الأمن أو الاتحاد الأوروبي قال بكل تجبر: "إن الإدارة الأمريكية هي وحدها المخولة باتخاذ قرار الحرب"، وعلقت (كونداليزا رايس) مستشارة الأمن القومي على المظاهرات المنددة بالحرب: "إن هذه المظاهرات لن تثنينا عن المضي في الطريق الذي اخترناه لتحقيق مصالحنا"،[1] ودخلت أمريكا الحرب بحجة أسلحة الدمار الشامل فهل وجدتها؟!. ألم يدحض رئيس هيئة التفتيش والتحقيق (أنموفيك) (هانز بليكس) كل الادعاءات الأمريكية البريطانية؟! بلى دحض ذلك على مسمع العالم،[2] ومن قبله

---

[4] المرجع السابق، ص44-45.

[1] هيئة تحرير مجلة البيان، كلمة صغيرة إما الحرب... وإما الحرب، مجلة البيان، العدد (185)، 2003م، ص3.

[2] لقد دحض رئيس هيئة التفتيش والتحقيق (هانز بليكس) كل الادعاءات وحسم الموضوع بقوله: "لم نحصل على أي دليل حول وجود أسلحة للدمار الشامل في أي من المواقع"، وأكد أن المعلومات الاستخبارية التي استندت إليها واشنطن ولندن لشن الحرب كانت ناقصة!

وصرح بليكس بأن الولايات المتحدة، لجأت قبيل الحرب إلى ممارسة ضغوط على مفتشي "انموفيك" لتكون مضامين تقاريرهم أكثر إدانة للعراق، بهدف كسب المزيد من الأصوات في مجلس الأمن. وذلك أن خيبة واشنطن من عدم حصولها على دعم المنظمة الدولية لعمل مسلح ضد العراق، كان أحد أسباب الموقف المتشكك بإزاء المفتشين. وفي السياق عينه قال مسؤول سابق في الاستخبارات الأمريكية هو جريج تيلمان: "لم يكن ثمة دليل على أن العراق كان على وشك صنع سلاح نووي، ولا على علاقات عملية أقامها مع "القاعدة". وبالنسبة إلى اتهام العراق بامتلاك مخزونات من الأسلحة الكيماوية والجرثومية، قال "يبدو أننا كنا على خطأ" وأضاف تيلمان أنه لا دليل أيضاً على تورط العراق في أحداث 11 سبتمبر/ أيلول 2001م.

وفي السياق عينه لم يعثر الأميركيون والبريطانيون على أي أثر لأسلحة دمار شامل في العراق، بعد أكثر من شهرين على انتهاء الحرب، ويبدو بوش وبلير معاً في مأزق تجاه سخرية الإعلام العالمي من ادعاءاتهما، ومحاولات الكونغرس الأمريكي والبرلمان البريطاني التحقيق في صحة المعلومات الاستخبارية حول خطر امتلاك بغداد أسلحة مزعومة. وثمة 45% من البريطانيين يعتقدون أن بلير قام بتحريف المعلومات، وقال سكوت ريتر، المفتش الدولي

رئيس مفتشي (يونسكوم) جيمس ريتر الـذي انتهـت مهمـة لجانـه في كـانون الأول عـام 1998م والـذي صرح أمـام مجلـس الشـيوخ الأمـريكي ومجلـس العمـوم البريطاني، بأن لجانـه دمـرت 95% مـن أسـلحة العـراق ووسـائل إنتاجهـا، فلـم يعـد بإمكانه تطوير أي قدرات بهذا الاتجاه، رغم هـذا صـمت أمريكـا ومـن لـف لفيفهـا الآذان واحتلت العراق بهذه الحجة، في حين تمتلك إسرائيل ترسانة رهيبة من أسـلحة الدمار الشامل، وهي الدولة الوحيدة في المنطقـة التـي لم توقـع عـلى اتفاقيـة حظـر الأسلحة النووية، ولا تخضع ترسانتها للتفتيش الدوري للوكالة الدولية للطاقة الذرية، كل ذلك على علم أمريكا ولم تحرك ساكناً، وفي ذات الوقت تعتبر أمريكا قائدة للعالم، فأي ميزان للعدل تنصبه دولة القيادة في العالم لتعامل بقية دوله على أسـاس تعـادل كفتي الميزان؟.[1]

السابق عن الأسلحة العراقية أن الولايات المتحدة وبريطانيا يجب أن تعترفا بأنهما كذبتا عندما زعمتـا أن العـراق كان يملك أسلحة فتاكة. أضاف أن وزير الدفاع الأمريكي لم يقدم أي دليل على احتمال تدمير تلك الأسلحة، أو عـن وجودها أصلاً، وانضـم المفـتش الألمـاني بيـتر فرانـك إلى بلـيكس وريـتر ليكـرر أن أمريكـا وبريطانيـا تلاعبتـا عمـداً بالمعلومات لتشويه الحقائق.

ويذكر أنه تم استدعاء رئيس الحكومة البريطاني توني بلـير، ومـدير مكتبـه للاتصـالات السـير كامبـل للشـهادة في مسألة أسلحة الدمار الشامل العراقية، إلا أن التقاليد سمحت لهما بعدم الاستجابة. وكان التقرير الـذي أعـد عـن أسلحة العراق استهل من أطروحة طالب أميركي كتبها منذ 12 سنة مستنداً إلى تقارير قديمة، وكانت الاستخبارات البريطانية استاءت مـن إضـافة معلومـات غريبـة عـلى النتـائج التـي توصـلت إليهـا. أنظـر: هيئـة تحريـر مجلـة الحوادث، أسلحة صدام للدمار الشامل، مجلة الحوادث، العدد (2433)، حزيران 2003م، ص20.

[1] للاطلاع على ترسانة إسرائيل العسكرية، أنظر: عز الدين المفلح، الترسانة العسكرية الإسرائيليـة: خطـر يهـدد المنطقـة والعالم، مجلة البيان، العدد (185)، 2003م، ص62-65.

إن تسليح العراق زمن الحرب العراقية – الإيرانية، كان بلا شك لاستمرار الحرب بين البلدين، لأن حصيلة ربح الولايات المتحدة من وراء الحرب يكمن في مجموع خسارة الطرفين، بمعنى أن الحرب هي حرب أمريكية على الطرفين في آن واحد، ففي الجانب الإيراني لتأديب إيران التي خرجت من بيت الطاعة الأمريكية في عهد الثورة، ولصناعة بطل جديد في العراق يخوفون به حكام دول الخليج، لقبول التواجد الأمريكية طواعية على أراضيهم، ومن ثم تسويغ أسباب لاحتلال العراق وهذا ما تم فعلاً.

جـ- بابل وأساطير التوراة:

إن العراق ضمن الدولة الموصوفة في الكتاب المقدس، فقد نسبوا إلى الرب قوله لإبراهيم: "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات"،[1] رغم أن الحديث عن المشروع الصهيوني – الأنجلو سكوني (إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل) بدأ منذ بضع سنين فقط، فمع احتلال العراق اقترب اليهود من تحقيق حلمهم الذي بدأ ضرباً من الأوهام ولوناً من السطحية، إلا أن الحديث تنامى حول ذلك، لأن المشروع بدأ من جديد ليس مجرد نص توراتي بل أصبح محتوى الخطة التي أودعها هرتزا في كتابه الدولة اليهودية، والذي نلحظ مخططها يمضي بلا توقف عبر مراحل من الحرب المدبرة أو السلام الخادع، وكل مرحلة تقطع شوطاً على درب التنفيذ،[2] والعراق كان على مائدة التخطيط لدى من وضعوا ما عُرف في عقد الثمنينات من القرن الماضي بـ"مخطط الدويلات الطائفية" وهو مخطط نشرت محتواه مجلة (كيفونيم) الإسرائيلية عن تقرير للمنظمة الصهيونية العالمية بالقدس، وأما الفقرة الخاصة بالعراق قال التقرير: "أما العراق فهو غني بالبترول، وفريسة لصراعات داخلية، وسيكون تفكيكها أهم بالنسبة لنا (اليهود)

---

[1] سفر التكوين، الإصحاح: 15 (48-49).

[2] عبد العزيز كامل، ملحمة بغداد، مجلة البيان، العدد (186)، 2003م، ص52.

مـن تفكيـك سـوريا، لأن العـراق يمثـل عـلى الأجـل القصـير أخطـر تهديـد لإسرائيل".[3]

وأما ما يتعلق ببابل فالقصة قديمة تعود إلى ما قبل الميلاد عنـدما قـام نبوخـذ نصر البابلي بسبي اليهود وتدمير ملكهم، وهذا ما نقلته التوراة في أسفارها من قـول:[4] "في ذلك الزمان صعد عبيد نبوخذ نصر ملك بابـل إلى أورشـليم، فـدخلت المدينـة تحت الحصار، وجاء نبوخذ نصر ملك بابـل عـلى المدينـة، وكـان عبيـده يحاصرونهـا، فخرج يهود ياكين ملك يهوذا إلى ملـك بابـل هـو وأمـه وعبيـده ورؤسـاؤه وخصـيانه وأخذه ملك بابل في السنة الثامنة من ملكه، وأخرج مـن هنـاك جميـع خـزائن بيـت الرب، وخزائن بيت الملك، وكسر آنية الذهب التي عملهـا سـليمان ملـك إسرائيـل في هيكل الرب، كما تكلم الرب، وسبى كل أورشليم، وكل الرؤساء وجميع جبابرة البـأس عشرة آلاف مسبي وجميع الصناع والأقيان، ولم يبق أحـد إلا مسـاكين شـعب الأرض، وسبى يهوياكين من أورشليم إلى بابل، وجميع أصـحاب البـأس سـبعة آلاف والصـناع والأقبان ألف، وجميع الأبطال أهل الحرب سباهم ملك بابل إلى بابل".[1]

وعلى الرغـم من أن السبي وقـع عـام 586 ق.م،[2] إلا أن الخشـية مـن ملـك يأتـــي من العراق الذي يضم تحت جناحيـه بابـل لا زالـت قائمـة، وعنـدما سـئلت مادلــين أولبرايت –وزيرة خارجية أمريكية سابقة- من قبل شبكة (CBS) يـوم (11) أيار 1996م هل يستحق نصف مليون عراقي الموت؟،

---

[3] نشرت هذا التقرير جريدة العرب تايمز (11 كانون الأول 1992م)، وجريـدة العـالم الإسـلامي، 9 تشريـن أول 1998م، والعرب الدولية 12 شباط 1998م.

[4] التوراة، سفر الملوك الثاني، الإصحاح 24: (10-17).

[1] وردت بابل في أسفار العهد القديم في مواضع عدة منها: سـفر الملـوك الثـاني، الإصـحاح 25 (1-6)، (9-10)، (22-25)، سفر اشعيا الإصحاح 14: (3-5)، سفر أخبار الأيام الثاني، الإصحاح 26: (6-8)، كما ذكـر السـبي البـابلي لليهـود في أخبار الأيام الثاني، الإصحاح 26: (9-21).

[2] عايدة احمد الرواجية، عجائب الدنيا السبع، عمان، دار الإسراء، 1996م، ص11-21.

أجابت بالقول: (نعم أعتقد يستحقون ذلك)،[3] إن أولبرايت لا تتحدث بلسان جنرال، وإنما بلسان قديسة تؤمن حرفياً بنصوص المزامير التي تنص (... بابل المخربة طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا، طوبى لمن يمسك أطفالك ويهشم على الصخرة رؤوسهم).[4] إن بابل والحالة هذه هاجس مرعب لليهود أينما كانوا، فما عليهم إلا تدميرها حتى لا تتكرر مأساة السبي البابلي ثانية، وعلى الرغم من تهديد صدام حسين قبيل حرب الخليج عام 1990 بحرق الكيان الصهيوني فإن هذا الكيان أحجم عن الرد، والاستثناء الوحيد كان عام 1981م، حين دمر الكيان الصهيوني المفاعل النووي العراقي في عملية أطلق عليها اسم (بابل) كنوع من الانتقام الرمزي على عملية السبي البابلي التي نفذها نبوخذ نصر قبل الميلاد.[5] الأمر الذي أدى إلى اقتناع القيادة الأمريكية بسبب التأثير اليهودي هناك بصدق أساطير التوراة وما حوته، حتى أن جورج بوش الأب ذهب إلى القول أبان حرب الخليج الثانية 1991م: (سأعيد العراق إلى العصر الحجري)،[1] كما أن بوش الابن يرى وفق معتقداته أن الخطر الأكبر على ظهور المسيح سيكون من خلال العراقيين، حيث أنهم الأكثر تأهيلاً لقتال إسرائيل، وأن أي ضعف ديني أو سياسي لإسرائيل سيؤدي إلى تأخير ظهور المسيح.[2]

إن السبي البابلي والنصوص التوراتية أسباب موجبة لضرب العراق تضاف إلى بقية الأسباب المسوغة لضربه والتي تبنتها التصريحات وتناقلتها الصحافة العالمية، وحتى يكون العراق مدمراً لا بد وأن يتم ما يلي: [3]

---

[3] أمير سعيد، فماذا عن إسرائيل الكبرى؟، مجلة البيان، العدد (186)، ص61.

[4] المزمور، 137: (7-9).

[5] أمير سعيد، مرجع سابق، ص60.

[1] تقرير نورث بونيت، مرجع سابق، ص84، أنظر أيضاً: أمير سعيد، مرجع سابق، ص57.

[2] صحيفة الرأي الأردنية الصادرة بتاريخ 6 نيسان 2003م (مختارات من الصحافة).

[3] سامي محمد صالح الدلال، المسلمون والعالم: اجتياح النجمة والصليب لربوع العراق الخصيب، مجلة البيان، العدد (187)، 2003م، ص58.

- تدمير الجيش العراقي تدميراً شاملاً.
- تدمير البنية التحتية العراقية.
- السيطرة على نظام الحكم في العراق.
- التغلغل داخل البنية العراقية اقتصادياً وسياسياً وثقافياً وعسكرياً واجتماعياً وسلوكياً وطي تاريخ الحضارة الإسلامية.
- توقيع اتفاقية سلام من قبل الجهة الحاكمة في العراق مع إسرائيل.[4]

ترى ماذا بقي من الجيش العراقي بعد الاحتلال؟!، وهل بقيت بنيته التحتية؟!، وهل نعتقد أن عراقياً بعد الاحتلال مهما بلغت وظيفته الرسمية يستطيع أن يوظف مراسلاً في دائرة دون موافقة الحاكم المدني أو العسكري الأمريكي هناك؟!.

وحتى لا نبقى تحت وهم الافتراضات المزيفة، علينا أن نؤكد أن الحرب على العراق في مطلع هذا القرن، تم الإعداد لها منذ فترة طويلة بعد أن سوغ لها أسباب النفط وأسلحة الدمار الشامل وخطر القيادة العراقية على الدول الصديقة في المنطقة، دون ذكر بابل وأساطير التوراة كأسباب، فقد حملت الوسائل الإعلامية تباشير خير تحط فوق رؤوس العراقيين، كإعادة الحرية لهم وتحريرهم من حكم ديكتاتور...الخ هذه الأسباب أو تلك جرت الولايات المتحدة لدخول بغداد وإنهاء حكم القيادة هناك.

إن الأسباب التي سوغت أسباب واهية تماماً، والواقع الصحيح: أن هناك أحوالاً إنسانية وصراعات سياسية، ومطالب إمبراطورية غربية، وضرورات بترولية، ولوازم انتخابية وأمور دينية روحية...الخ كل ذلك يتداخل ويختلط في وعاء طبخ القرار الأمريكي حتى تجيء لحظة إضافة المغريات من نوع "نزع أسلحة الدمار الشامل" و"أبعاد الديكتاتور" و"ضمان

---

[4] وهذا ما تريده دولة إسرائيل من تدمير للعراق وذلك لتحقيق أهدافها في القطر الذي يرنوا قادتها إلى فراته ليكون حداً لدولتهم الموصوفة بالكبرى، فكان زعماء اليهود يدفعون باتجاه الحرب، ولسيطرتهم وتأثيرهم على معظم مجريات الحياة السياسية هناك، تمكنوا من إشعال فتيلها.

حقوق الإنسان" و"مستقبل الديمقراطية" و"تدمير مصدر الإرهاب والشر"، أسباب كلها واهية لا تخفى على أحد، لتقود الولايات المتحدة ومن ورائها بريطانيا وغيرها من الدول،[1] آلتها العسكرية إلى العراق، وبقرار يهودي حيث جاء هذه المرة على لسان الأديب اليهودي –مايكل دورستين- حيث قال في محاضرة له حضرها رجال من المخابرات الأمريكية دامت لمدة ساعة قبل الحرب ما نصه: "إننا نحن اليهود الذين سنرسل ربع مليون أمريكي إلى الشرق الأوسط لخوض الحرب من أجل إسرائيل"[2] ليدخلوه عنوة، ويدكوا حصونه، ويهدموا حضارته، ويخربوا ما صنعه إنسانه، ويستعر القتل،[1] وتنصب آلة التعذيب إرضاءً لنزة، وإشباع لرغبة وتبدأ حمامات الدم تنزف ولا تزال ولم تنتهي بعد.[2]

---

[1] لقد قفز صناع القرار في الدول التي قادت الحرب على العراق فوق رغبات شعوبهم، مما أدى إلى إضعافهم سياسياً وخروجهم من الحكم عند أول انتخابات في بلادهم، فهذا (ازنار) رئيس وزراء إسبانيا يخسر موقعه ويريح من عارض الحرب ووعد إعادة جنود بلاده (خوسيه لويس) (في حزيران 2004م)، وهذا الصحفي (جوناثان فريد لاند) يقول في (الفارديان) قبل الانتخابات في بريطانيا: (إن بقاء توني بلير في منصبه انتهاك لدستورنا، لأنه فقد مصداقيته بعد أن شارك في الحرب ضد العراق، وضلل الأمة وأدخلها في حرب لم يكن ثمة ما يستدعيها" (الدستور الأردنية 14 أيلول 2004م) ص9، ويكتب (بوب هيربرت) في (نيويورك تايمز) تحت عنوان بارز (قائمة القتلى) يقول: (لقد أرسل هؤلاء (القتلى الأمريكان في العراق) إلى هناك رئيساً هرب واختبأ عندما كان شاباً وكانت بلاده في حالة حرب، لقد أرسلوا تحت حجج زائفة لخوض حرب خاسرة) (المصدر السابق)، في حين يصف (كولن باول) وزير خارجية الولايات المتحدة (تشيني) نائب الرئيس الأمريكي، (ورامسفيلد) وزير الدفاع ونائبه (بول وولفوتيز) بالمجانين (صحيفة السبيل الأردنية الأسبوعية الصادرة يوم 14 أيلول 2004م).

[2] صحيفة شيحان الأردنية (الأسبوعية)، الصادرة بتاريخ 5 نيسان 2003م، نقلاً عن صحيفة هآرتس الإسرائيلية، والمقال بقلم (بيل كلر).

[1] كتب أستاذ التاريخ ورجل الاقتصاد الكندي (جون تشاكمان) في صحيفة (بالو تايمز) أن عدد القتلى المدنيين في العراق منذ آذار 2003م ولغاية أيلول 2004م (وهو وقت صدور المصدر) (37) ألف مواطن عراقي، وقدر الكاتب خسائر الأمريكيين بأنها تجاوزت (10) آلاف قتيل وجريح، صحيفة السبيل الأسبوعية الأردنية الصادرة بتاريخ 14 أيلول 2004م، الجزء 2، ص1.

[2] لقد وصف الرئيس الفرنسي جاك شيراك احتلال العراق بالقول: "فتحنا في العراق أبواب جنهم وإننا عاجزون عن إغلاقها" لدلالة على الخسائر الكبيرة المترتبة على الاحتلال وعلى الوضع الخطير هناك، (الدستور الأردنية الصادرة 14 أيلول 2004م، ص9).

رابعاً: قضية مسلمي الفلبين: [3]

1- الجغرافيا والسكان:

تقع جزر الفلبين في منطقة جنوب شرقي آسيا، وتعد جزءاً من أرخبيل الملايو الذي يضم أندونيسيا، وماليزيا، وسنغافورة، والفلبين، وتبعد سواحل الفلبين الشمالية عن جنوبي الصين حوالي 800كم، ولا تزيد المسافة بين جزر الفلبين الشمالية الصغيرة وفورموزا عن 175كم.

وتقع في شمال الفلبين بلاد الصين، وفي جنوبها بلاد أندونيسيا، وفي شرقها المحيط الباسفيكي، وفي غربها بلاد الهند وسيام، كما تقع في الشمال الشرقي منها بلاد اليابان، وفي الشمال الغربي منها هونج كونج، ويذكر أن بلاد الفلبين هي عبارة عن مجموعة من الجزر، يقدر عددها بنحو 7.100 جزيرة منها 2.800 وضعت لها أسماء، وأما باقي الجزر فلا تزال بدون أسماء.[4]

تبلغ مساحة الفلبين ما يقرب من ثلاثمائة ألف كيلو متراً مربعاً، (299.681)كم2، ويبلغ امتدادها من الشمال إلى الجنوب 1800كم. وتنقسم هذه الجزر الكثيرة إلى ثلاثة أقسام رئيسية، فتقع جزيرة لوزون في القسم الشمالي (Luzon) وهي أكبر الجزر، وتليها في المساحة جزيرة ميندناو (Mindaanoa) وتقع في القسم الجنوبي الذي يضم مجموعة أخرى من الجزر يطلق عليها أرخبيل صولو (Sulu). أما القسم الأوسط فيعرف باسم فيسايا (Visaya). ويضم مجموعة كبيرة من الجزر أهمها:

مندورو (Mindoro) وسامار (Samar) وليت (Leyte) وسيبو (Cebu) وبوهول (Bohol) ونيغروس (Negros) وباناي (Panya). وتمتد في الغرب جزيرة

---

[3] أسماها العرب المسلمين بـ (عذراء ماليزيا) لخصوبة أرضها وكثرة خيراتها، وأسماها الإسبان المسيحيون بـ (جزر الفلبين) نسبة إلى فيليب الثاني ملك إسبانيا (1556-1558)، وفيليب الثالث ملك إسبانيا (1558-1621) – انظر علي جريشة، مرجع سابق، ص 178.

[4] عبد الله مبشر الطرازي، مرجع سابق، ص 17-19.

بالاوان مع مجموعة جزر صغيرة لتحيط ببحر صولو وتعد من ذلك الأرخبيل.

أما السكان فيبلغ عددهم حوالي ستين مليوناً تقريباً، وعدد المسلمين من بينهم يصلون إلى (6.5) مليون مسلم أي بنسبة (11%) وهذه تقديرات الحكومة في مانيلا، وتتعمد الحكومات إلى التقليل من أعداد الفئة المتصارعة مع الحكومة كالفئة المسلمة هناك قياساً بعدد السكان. ويتكلم أهل الفلبين (78) لغة محلية، بالإضافة إلى الإسبانية والإنجليزية، وقد دخلتا البلاد أثناء الاستعمار الاسباني والأمريكي للبلاد، ويتكلم المسلمون لغتين من اللغات السائدة في البلاد وهما: لغة (ثاصو) وهي قريبة من الأندونيسية، ولغة (مراتاو) وهي الغالبة في جزيرة (ميندناو) وتضم ألفاظاً عربية كثيرة، كما تكتب بالحرف العربي.

وبالنسبة للمعتقدات الدينية في الفلبين فالنصارى تبلغ نسبتهم (85%) والمسلمون (11%) والبوذيون (2%) وتعود أصول السكان إلى جنس الملايو، وقد هبطوا أرض الفلبين ما بين عام (1300-1400)م، وتفرعت ذريتهم إلى إحدى عشرة قبيلة، واتخذت كل قبيلة لغتها الخاصة التي تختلف عن غيرها.

2- الفلبين والإسلام:

وصلت بشائر الإسلام إلى أرض الفلبين في القرن الثالث الهجري، فقد قيض الله لهم بعض الرحالة والتجار المسلمين من العرب والهنود، الذن قاموا بدعوتهم إلى اعتناق الإسلام، وبذلك خرجوا من ظلام الشرك والجهل والضلال إلى نور الإيمان والعلم والحق.

وبفضل هؤلاء التجار وبعض العلماء المخلصين، وما بذلوه من جهد في إرشاد السكان إلى الدين الحنيف، بدأ نور الإسلام يشرق في بلاد الفلبين، وينتشر في جميع ربوعها، حتى تكونت هناك إمارات وسلطنات إسلامية، ظلت فترة طويلة من الزمان إلى أن جاء الاستعمار الإسباني إلى تلك البلاد في

عام 941هـ[1].

فإذا كان الإسلام انتشر في جزر الفلبين بفضل جهاد هؤلاء العلماء العرب، والتجار المسلمين في السابق، فإن جهود الجمعيات الإسلامية في الوقت الحاضر تثمر في الوقت الحاضر ويزداد عدد المسلمين يوماً بعد يوم هناك.

3- تاريخ الفلبين والمسلمين:

تعرضت الفلبين إلى الغزو الإسباني، الذي يؤرخ له مع دخول ماجلان البلاد، وحتى عام 1316هـ عندما دمر الأسطول الإسباني داخل خليج مانيلا، وعلى أثرها اتفقت أمريكا مع إسبانيا على انسحاب الأخيرة من تلك الجزر، مقابل خمسة ملايين دولار، وانسحبت إسبانيا بعد معارك تمثيلية، وفي عام 1319هـ تمكنت الولايات المتحدة من القضاء على المقاومة الفلبينية وفرض سيطرتها على البلاد، وفي 1347هـ وصلت بعض الشخصيات الإسلامية التجارية مثل (منيب الكزبري)، الذي جاء من دمشق فتزوج من هناك وأنجب (اثني عشر ولداً) وشجع الروح الإسلامية، كما وصل من باكستان (عبد العظيم الصديقي) الذي كان له تأثير إيجابي كبير على المسلمين، وفي عام 1358هـ احتلت اليابان البلاد وطردت القوات الأمريكية منها، فتكونت في البلاد حرب عصابات وقاتل المسلمون إلى جانب غيرهم من سكان البلاد حتى حصلت على الاستقلال عام 1365هـ وأصبح الحكم فيها رئاسياً يشبه الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية.

وإنه لمن المؤسف حقاً أن تاريخ الفلبين المدون لم ينظر إلى المقاومة الإسلامية في وجه الاستعمار نظرة الدفاع عن الحق، ونظرة البطولة التاريخية لأبناء البلاد، بل نظر إليها على أنها عمل من أعمال القتل والسلب أو قطع الطرقات والقرصنة، ويرجع ذلك إلى الكتب التي كتبا النصارى التي

---

[1] عبد الله مبشر الطرازي، مرجع سابق، ص 21-24.

أجمعت على وصف المسلمين بالقراصنة، حيث لم يدون مسلمو تلك الجهات تاريخ الحركة، وتبع ذلك كثير من مؤرخي الفلبين الذين انساقوا وراء المستعمرين أو أخذوا عنهم، أو وجدوا الكتب أمامهم فنقلوا عنها دون نقد وتحليل، كما يرجع هذا إلى موقف العالم المتمدن من المسلمين ومن الإسلام، إن هذه الكتابات لم تكن مجردة، بل تحمل في طياتها العداء الصريح[1].

4- التنكر لكفاح المسلمين:

إن حكام الفلبين النصارى بعد الاستقلال تنكروا لكفاح المسلمين، وذلك بالإجهاز عليهم، والقضاء على معاقلهم، والاستيلاء على أرضهم، واتبعوا عدة أساليب منها:

1- شق صفوف المسلمين قبل البدء بالحرب الصريحة، والإبادة السافرة، فقد أوصى (ماركوس) زعيم الحزب الوطني الحاكم لزعيم إسلامي هو (محمد علي ديمابورو)، بإنشاء المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ليضرب بهذا جمعية الأنصار الإسلامية التي يتزعمها (أحمد دوماكو ألنتو)، وهذا ما تم فعلاً، وأظهر الحكم الفلبيني في الوقت نفسه أنه يحسن معاملة المسلمين.

2- خضوع السلطة الحاكمة الفلبينية لمشورة اليهود، فقد كان لرئيس الجمهورية مستشار يهودي يدعى (منسي)، وآخر يسمى (عمانويل اليسالدي جويز) واختصاص الأخير في شؤون الأقليات، وهو متهم بالأحداث التي أصابت المسلمين أخيراً.

3- تشكيل عصابات وبأوامر (ماركوس) رئيس الجمهورية نفسه كعصابة (الفئران)، و (الأخطبوط)، وكلا العابتين مدربتين

---

[1] محمود شاكر، التاريخ المعاصر للأقليات، بيروت: المكتب الإسلامي ، 1995، ص 114.

تدريباً عالياً، وواجباتهما الإغارة على مزارع المسلمين وسلبهم وقتلهم.

4- تطبيق القانون المدني على المسلمين، كي يتمكن غير المسلمين من الزواج من مسلمات، وهذا يحرمه الشرع الإسلامي، ومن هذا المنطلق، يبدأ الهجوم على الإسلام والفكر الإسلامي، ويقع النزاع وتحدث الصدامات وتتهيأ الظروف لتنفيذ خطط الإبادة المبيَّتة.

5- خداع المسلمين تمهيداً للقضاء عليهم، وهذا ما حدث عندما جمعت السلطة 169 شاباً مسلماً في معسكرات الجيش تمهيداً لتدريبهم، وبعد أن تم جمعهم عملت السلطات على إبادتهم. وفي عام 1391هـ قتلت المسلمين الذين جاءت بهم السلطة لعقد صلح مع النصارى وإنهاء قضية الصراع.

لقد تعددت طرق التنكيل بالمسلمين منها: حرق المزارع، وإلقاء السموم في الآبار، هدم المنازل، التمثيل بجثث القتلى، تعدد حوادث الاغتيال والخطف، وقتل الحيوانات ومطاردة الفارين بأرواحهم وغيرها من الطرق التي يبتدعها شياطين الإنس.

5- الثورة والاتفاقيات

وأمام هذه الأوضاع الخطيرة، قام المسلمون هناك بثورتهم، فأعلنوا التمرد والعصيان، وأعلنوا استنكارهم للمذابح التي يتعرض لها المسلمون، والتفرقة في المعاملة وعدم احترام الشعائر الدينية، وعدم معاقبة المجرمين المسؤولين عن هذه الأحداث، وتواطئ قوات الجيش والشرطة ومرتكبي الجرائم، ومحاولة تصفية المسلمين من الجنوب أصحاب الأرض الأصليين. بقي الأمر كذلك حتى وافق (ماركوس) على إجراء المفاوضات مع (جبهة مورو)، وقد تم ذلك في مدينة طرابلس الليبية في أواخر عام 1396هـ ومطلع

عام 1397هـ وقد اشترك في المفاوضات حكومة جمهورية الفلبين وجبهة تحرير مورو وليبيا والسعودية والسنغال والصومال وتم الاتفاق على عدة بنود تقود في النهاية إلى الحكم الذاتي في جنوبي الفلبين في إطار الوحدة الترابية لجمهورية الفلبين[1].

لم يمض أكثر من أربعة أشهر على توقيع الاتفاقية حتى أعلنت الحكومة الفلبينية تحلُّلها من جميع التزاماتها السابقة، وعدم احترام ما وافقت عليه والتزمت به وبتنفيذه، وهاجمت قوات نظام ماركوس في (15) شوال عام 1397هـ بقوة كبيرة القرى والمدن الإسلامية، وقتلت ودمرت الكثير وبقيت الأمور كما هي عليه حتى ذهب ماركوس، وجاء من بعده (بنينو أكينو) الذي اغتيل وتولت السلطة زوجته (كورازونوا أكينوا) في (16) جمادى الآخر (1406) هـ (25) شباط/فبراير 1986، وأعلنت عن إعطاء المسلمين الحكم الذاتي، ولكنه لم يحدث شيء، وبقيت الحالة متوترة بين الفريقين حتى وقعت الحكومة الفلبينية والثوار المسلمون اتفاق سلام - وصف بأنه نهائيٌّ في حفل أُقيم في قصر الرئاسة الفلبيني، وهو آخر اتفاق بين الثوار والحكومة ليسدل الستار رسمياً على حرب أهلية استمرت ثلاثة عقود تقريباً أودت بحياة أكثر من (125) ألف مسلم[2]، ووقع الاتفاق (نور ميسوراي) زعيم جبهة مورو للتحرير الوطني وكبير مفاوضي الحكومة الفلبينية (مانويل بان) بحضور الرئيس الفلبيني (فيدل راموس) ودبلوماسيين أجانب، كما وقع الاتفاق علي العطاس وزير خارجية أندونيسيا التي ساهمت بلاده بجهود الوساطة من أجل التوصل للاتفاق، وقع عليه الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وقد أعرب الرئيس الفلبيني أمام (1500) شخص شهدوا مراسم

(1) للإطلاع على نص الاتفاق بين حكومة جمهورية الفلبين وجبهة مورو الوطنية - انظر - محمد علي الفليبي، منظمة المؤتمر الإسلامي وقضايا الأقليات المسلمة، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في العلوم السياسية (غير منشورة) - تونس / كلية الحقوق والعلوم السياسية والاقتصادية 1986 - ص188-1994.

(2) صحيفة الأهرام المصرية الصادرة في (3) أيلول / سبتمبر 1996

التوقيع عن امله في نجاح هذه الاتفاق، وقد ضمت وثيقة الاتفاق خمسين صفحة احتوت على جميع الاتفاقات الجزئية التي أبرمت على مدى سنوات التفاوض الثلاث، التي أثمرت الاتفاق النهائي وأهم ما جاء فيه[1].

إن النقطة الأساسية التي اتفق عليها الطرفان في (23) حزيران /يونيو 1996، والتي كانت أحد أسباب نجاح المفاوضات هي إنشاء "مجلس السلام والتنمية في جنوب الفلبيين" يدير على مدى ثلاث سنوات أربعة عشر إقليمياً وتسع مدن كبرى، ويتألف المجلس من (81) عضواً بينهم (44) تسميهم جبهة مورو للتحرير الوطني، كما تتولى رئاسة المجلس شخصية من الجبهة قد تكون نور ميسواري نفسه أو شخصية أخرى يختارها، وبعد انتهاء الثلاث سنوات يجري استفتاء لسكان المنطقة العشرة ملايين الذي يشكل المسيحيون أكثر من ثلثيهم، ليتقرر في هذا الاستفتاء رسم الحدود الجغرافية النهائية لمنطقة إسلامية ذات حكم ذاتي في جنوب الفلبين، ويجري استيعاب مقاتلي جبهة مورو في صفوف الشرطة والجيش الفلبيني، هذا وقد أعطى الاتفاق لمنظمة المؤتمر الإسلامي التي ساندت المفاوضات طيلة السنوات الماضية، دور المراقب لعملية التنمية وإقرار السلام في المنطقة، وتكون المهمة الرئيسية للمجلس إدارة واستعمال الأموال التي ستخصص للنهوض الاقتصادي لجنوب الفلبين سواء كان مصدرها داخلياً أم خارجياً.

إن هذا الاتفاق في اعتقادنا الجازم سيتبعه اتفاق واتفاق لأن الغدر وعدم احترام المواثيق من شيم غير المسلمين.

إلا أن هذا الاتفاق لم يصمد طويلاً فمع بداية القرن الحادي والعشرين، وبعد الهجوم الأمريكي على أفغانستان، مدت الفلبين يدها إلى أمريكا من أجل القضاء على شوكة المسلمين في ذلك الشطر من العالم، فتحت غطاء مطاردة الإرهاب في جزر الفلبين حشدت الولايات المتحدة (6900) جندي أمريكي للمشاركة في حملة للقضاء على جماعة أبي سياف

---

(1) صحيفة الرأي الأردنية الصادرة في (3) أيلول/ سبتمبر 1996.

الإسلامية، أطلقت عليها جملة "نسر الحرية". بحجة دأب الجماعة على احتجاز الرهائن وقد أعلن وزير الخارجية الأمريكي، أن العسكريين الأمريكيين لن تتجاوز مهمتهم التدريب والتمارين وتقديم النصح والإرشاد للجيش الفلبيني وقادته، من خلال ذلك نخلص إلى ما يلي:

1- إن الاتفاقيات والمعاهدات التي تعقد مع الإسلاميين في الفلبين والحكومة الفلبينية، لا يتم احترامها من قبل الحكومة هنا، لأن الهدف النهائي القضاء على الوجود الإسلامي في الفلبين، والذي جذوره تمتد إلى أعماق التاريخ الفلبيني.

2- إن الحكومة الفلبينية لا تتوانى عن طلب مساعدة من أي طرف سواء بتقديم آلة القتل أو النصيحة لتهميش دور الإسلاميين هناك.

3- إن الحرب المعلنة على الإسلاميين في الفلببين، ليس لأنهم يعارضون السلطات الفلبينية أو لا يقومون بواجباتهم تجاه وطنهم الفلبين - بل لأنهم يعتنقون الإسلام، وهذا الانتماء وحده يكفي ليكون سبباً من أسباب النقمة عليهم.

خامساً: قضية مسلمي الشيشان:

1-الجغرافيا والسكان:

تقع جمهورية الشيشان والأنجوش في الأطراف الشرقية لمرتفعات شمال القوقاز، ويحد الجمهورية من الشرق والجنوب الشرقي جمهورية داغستان، ومن الجنوب جورجيا، ومن الغرب أوستيا الشمالية[1]. وشيشانيا هو الاسم الذي أطلقه الروس على المنطقة التي يحدها شرقاً نهر سولاك (Soulak)، ومن الغرب نهر سوندجا الأعلى (Upper Soundja)، ومن الشمال نهر

(1) محمد حرب، معلومات أساسية لفهم المسألة الشيشانية، مجلة الأزهر شعبان 1415هـ ص30 وما بعدها.

سوندجا الأسفل، وتيرك (Terek)، ومن الجنوب تلامس حدودها المناطق الجبلية التي يقطنها العنديون، والآفاريون، الداغستانيون والتوشيبتيون، والخفسريون، وتتكون جمهورية الشيشان من (12) مقاطعة و (4) مدن رئيسية ومساحة البلاد (19.300) كم^2.

وأما السكان فالشيشان من الشعوب القديمة التي سكنت القوقاز، منذ آلاف السنين، ويشكلون أحد الشعوب الأصلية لمنطقة القوقاز، ويزيد عدد سكان الجمهورية على (1.3) مليون نسمة، وفي البلاد جماعات عرقية متعددة، منها الشيشان والأنجوش والداغستانيون والروس، وعناصر أخرى. والشيشان يمثلون أعلى نسبة، تصل إلى (52.9%) تقريباً.

يتكلم أهل البلاد اللغة الشيشانية والأنجوشية والروسية، وتتميز الشيشانية والأنجوشية بتعدد الألفاظ العربية فيهما، وحتى أوساط العشرينات كانت تكتب الشيشانية بالحرف العربي، واستبدل في الفترة من عام (1928-1938) بالحرف اللاتيني، ثم استخدمت الحروف الكيريلية الروسية.

والشيشان مسلمون، ويتبعون المذهب الشافعي وتنتشر الحركات الصوفية بينهم وأهمها: الطريقة النقشبندية والقادرية[1].

2- الإسلام والشيشان:

كان أول احتكاك للمسلمين بمنطقة القوقاز في القرن السابع الميلادي، وقد كان انتشار الإسلام في شمال القوقاز[2] بطيئاً، بسبب طبيعة البلاد الجبلية، وتعتبر بلاد الشيشان بجبالها الوعرة وغاباتها الكثيفة من المناطق التي لم تخضع عبر التاريخ لأي فاتح أو غاز، بما فيها الفتوحات الإسلامية،

---

(1) قاسم ملكي، نظرة على جمهورية الشيشان المستقلة وتطوراتها الحالية، مقال من كتاب ندوة: احرار الشيشان والدب الروسي، المركز العربي الدولي، 1995- ص196-ص197.

(2) يضم شمال القوقاز الدول التالية: جمهورية الشيشان والأنجوش والداغستان والكبارد - الكبار والأديجة وقرتشاي - الشركس - انظر: مصطفى دسوقي كسبة:الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين، هدية مجلة الأزهر لشهر ذي القعدة 1415 -ص 18.

وحتى بداية القرن السابع عشر الميلادي، وقد بقي الشيشان بدون ديانة، وكان اعتناقهم للإسلام بدأ على يد الدعاة عبر (بخارى) و(داغستان) و(شيرفان) أو (شيراون) وكان لكل من الطرق الصوفية والتقشبندية والقادرية دور كبير في نشر الإسلام في بلاد الشيشان.

ومنذ اعتناق الشيشان الإسلام، أصبحوا من أكثر شعوب شمال القوقاز تمسكاً بدينهم، وتاريخ صراعهم مع القياصرة، وصراعهم الحالي مع الروس يؤكد تمسكهم بالدين الإسلامي، فلا القياصرة النصارى استطاعوا تنصيرهم، ولا الشيوعيون نجحوا في إبعادهم عن دينهم.

3- تاريخ الشيشان:

بدأت الأطماع الروسية في القوقاز قبل أكثر من ألف عام، وبالتحديد عام (943)م وأخذت روسيا تحتل المناطق القوقازية منطقة تلو الأخرى، وما أن حل عام (1785)م، حتى تحولت جميع المناطق الشمالية من القوقاز بما فيها الشيشان إلى ولايات روسية[1]. وكان الأديجون (الشركس) والشيشان في طليعة من هب للنضال ضد المستعمرين الروس الذين قمعوا حركتهم بلاد رحمة، وظهر المجاهد الكبير الشيخ منصور الشيشاني الذي نظم المقاومة ضد المحتلين الروس، وجاء بعده الإمام مولا الداغستاني وقاد ثورة الداغستان والشيشان مقتفياً أثر الشيخ منصور، وخلفه الإمام شامل في المقاومة، وقد حشدت القيادة القيصرية له (200) ألف رجل أي حوالي ثلث الجيش القيصري آنذاك، وهزموه، واستسلم الشيشان والداغستانيون عام 1859 وتلاهم الأديجيون - الشركس عام 1864.

إن ثورة هؤلاء المستضعفين لم تخمد كلياً، بل استمرت حتى قيام الدولة البلشقية عام (1917) م حيث تجددت حركة التحرير، وأسس مندوبو شعوب شمال القوقاز في المؤتمرين الأول والثاني عام 1917 (جمهورية اتحاد

(1) المرجع السابق، ص66.

أبناء جبل القوقاز) وكان الهدف هو بناء جمهورية شمال القوقاز الديمقراطية الفيدرالية ضمن الاتحاد الروسي، وفي (11) أيار/ مايو 1918 أعلن عن تأسيس الجمهورية الجبلية المستقلة، وضمت هذه الجمهورية إلى الاتحاد السوفييتي في (20) كانون الثاني / يناير عام 1920م ثم تفككت هذه الجمهورية، وفي عام 1934 اتحد جماعة الشيشان والأنجوش وكونا إقليماً مستقلاً، ثم تطور إلى جمهورية ذات حكم ذاتي إلا أن القيادة الشيوعية اتهمت شعوب شمال القوقاز بالتعاون مع الألمان ضد الدولة الأم، فقاموا بتهجيرهم، وكان الشيشان أكبر شعب عانى من التهجير أو النفي، وبلغ عددهم نصف مليون عام 1939 وذلك إضافة إلى ذوي قرباهم الأنجوش الذين كانوا يشكلون جزءً من نفس الجمهورية الشيشانية الأنجوشية السوفييتية الاشتراكية (407690 شيشانياً، 92074 أنجوشياً)[1] وغُيِّر اسم هذه الجمهورية إلى إقليم (جروزني) بعد ضم الكثير من أراضي هذه الجمهورية إلى جمهوريتي جورجيا وأوستيا المجاورتين.

لقد تعرض الشيشان والأنجوش لمآس كثيرة، سواء في العهد القيصري أم البلشفي السوفييتي، هذا مع العلم بأنه لا توجد هناك تقديرات لعدد الذين ماتوا بسبب النفي والتعرض للأمراض والأوبئة وظروف المناخ المختلفة. ولا ننسى أن العديد من أبناء الشيشان والأنجوش قد نالوا ميداليات بطولة الاتحاد الاسوفييتي، لأنهم أبلوا بلاءً حسناً في الدفاع عن ستالنجراد فضلاً عن أن عدد القتلى من الضباط والجنود من أبناء هاتين الجماعتين يزيد على (30.000) ضابط وجندي[2].

4- تجدد الثورة والاتفاق:

مع نهاية عقد الثمانينات بدأ الاتحاد السوفياتي منهكاً، وما لبث أن فك أجزاءه بنفسه، فأعلن الشيشان الاستقلال عام 1990م، وقاد حركة نضال

---

(1) مصطفى دسوقي كسبه، مرجع سابق، ص103.

(2) المرجع السابق، ص105.

الحفاظ على الاستقلال القائد جوهر داودييف[1] الذي أصبح في 2 تشرين الثاني / نوفمبر 1991 رئيساً للجمهورية، بعد انتخابات، شارك فيها 75% من شعب الجمهورية، وفاز بنسبة (80%) من بين ثلاثة مرشحين، وما لبث أن أصدر قرار استقلال الجمهورية والسيادة على أرضها، الأمر الذي لم يرق للروس، بقيادة (يلتسن) فأعلن حالة الطوارئ في الشيشان، وأمر بإرسال قوات للاستيلاء على جروزني العاصمة، ثم وجه اتهاماً لدوداييف بتحويل الشيشان إلى مأوى للإرهابيين، وناشدت أهالي البلاد للإطاحة به إلا أنهم التفوا حوله، وبدأت المعارك، فقتلت القوات الروسية ودمرت وشردت ومثلت بأهالي الشيشان، إلا أنهم لم يملوا، ولم يذعنوا للإرهاب الروسي، فواصلوا القتال حتى بعد مقتل زعيمهم جوهر دودايف فخلفه سليم خان يندرباييف والذي أعلن مواصلة درب سلفه، فأوقع الشيشان خسائر فادحة في صفوف القوات الغازية، الأمر الذي حدا بـ (يلتسن) إلى قبول مبدأ التفاوض، فالتقى الزعيم الشيشاني سليم خان يندرباييف في موسكو، مع

---

(1) ولد جوهر داوييف (جوهر بن داود) عام 1944 سنة تهجير الشيشان في عهد ستالين، وكانت عائلته من بين المهجّرين، وأمضى الرئيس (13) سنة الأولى من حياته في المنفى في جنوب كازاخستان، درس جوهر حتى المرحلة الثانوية ثم عمل كهربائياً، وواصل دراسته ودخل جامعة (فيلاديقفقاس) ثم التحق بالكلية الحربية عام (1966)م وتخرج من أكاديمية (تامبوف) كطيار حربي وفي عام (1968)م أصبح عضواً في الحزب الشيوعي، كما كان مطلوباً من جميع الضباط في ذلك الزمان، ثم التحق بدوره عسكرية عليا في أكاديمية (يوري جاجارين) العسكرية للطيران في موسكو، وترقى إلى رتبة لواء، وأصبح مسؤولاً عن قوات سلاح الطيران والدفاع الجوي السوفييتية، في منقطة سيبيريا، ثم أصبح قائد القوات الجوية السوفييتية في أستوينا، ثم قائد فرقة استراتيجية للطيران الاستراتيجي البعيد المدى، وبعدها قائداً لأسراب الطيران المسلح بالأسلحة النووية ومدير الاستخبارات العسكرية في أستونيا، وقد رفض أوامر الحكومة السوفييتية عام (1991)م بمهاجمة برلمان ومحطة تلفزيون أستونيا في أحداث كانون الثاني / يناير 1991 وعاد إلى الشيشان، واستقال من الجيش السوفييتي للتفرغ للعمل السياسي في بلاده، وقد انتخب رئيساً للشيشان في تشرين الأول / أكتوبر 1991 وكان هدفه الحفاظ على الاستقلال وحمايته والحصول على الاعتراف به، وقاد النضال ضد الروس إلى أن استشهد في (21) نيسان / أبريل 1996 في ميدان المعركة على أثر هجوم صاروخي، وخلفه سليم خان يندرباييف - للمزيد انظر - مصطفى دسوقي، مرجع سابق، ص175-176.

الزعيم الروسي يلتسين في (28) أيار / مايو 1996 وأعلنا عن التوصل إلى هدنة، وفي اليوم التالي زار يلتسين القوات الروسية في الشيشان، وفي (10) آب/أغسطس 1996 عين يلتسين الجنرال السوفييتي (ليبيد) وسيطاً في الشيشان، فاجتماع مع أصلان مشهدوف للتباحث حول وقف لإطلاق النار، وأخذت المفاوضات بين الطرفين تتواصل حتى وقع ليبيد ومشهدوف اتفاق سلام، يُرجئ اتخذا قرار بشأن استقلال الشيشان لمدة خمسة أعوام، وقد نصت وثيقة الاتفاق على عدة مبادئ، تحدد أسس العلاقات بين روسيا الفيدرالية وجمهورية الشيشان، وهذه المبادئ:

1- اتفاقية على أسس العلاقات بين روسيا الفيدرالية وجمهورية الشيشان، والتي أقرت طبقاً للمبادئ والقوانين والأعراف الدولية المعترف بها، وأن تنفذ قبل 31 كانون الأول / ديسمبر (2001)م.

2- تشكل ولغاية تاريخ (1) تشرين الأول / أكتوبر 1996 لجان مشتركة، تضم ممثلي أجهزة السلطة الفيدرالية وجمهورية الشيشان، وتكون أهدافها:

أ- ممارسة مراقبة تنفيذ مرسوم رئيس روسيا الفيدرالية الصادر بتاريخ (25) حزيران / يونيه 1996 - والخاص بوضع حد للنزاع في الشيشان - وتحضير المقترحات مع إنهاء انسحاب القوات.

ب- تحضير الاقتراحات لإعادة العلاقات المتبادلة في مجال الميزانية والمالية والنقد.

جـ- تحضير وتقديم البرامج لإعادة البناء الاقتصادي والاجتماعي إلى حكومة روسيا الفيدرالية.

د- ممارسة مراقبة منسقة بين الطرفين لنشاطات أجهزة السلطة وغيرها من المنظمات ذات العلاقة، عند تأمين المواطنين والمواد الغذائية اللازمة.

3- يقوم التشريع في جمهورية الشيشان على أساس مراعاة حقوق

الإنسان والمواطن، وحق الشعب في تقرير مصيره، على مبادئ المساواة بين الشعوب، وتأمين حقوقه وأمن المواطنين من القوميات الأخرى، والمقيمين على أراضي جمهورية الشيشان، بغض النظر عن انتمائهم العرقي والديني، والاختلافات الأخرى.

4- تنهي اللجنة الموحدة عملها بالتنسيق فيما بينها.

وقد تعهد الموقعون على الاتفاق، بعد أخذهم بعين الاعتبار التقدم الذي حققوه في الوصول إلى اتفاقية لوقف النشاطات العسكرية جاهدين إلى تهيئة ظروف مقبولة من الطرفين، لحل النزاع العسكري سياسياً، مقرين بعدم السماح بالتهديد واستعمال القوات العسكرية لحل الخلافات، منطلقين من مبادئ حق الشعوب في تقرير مصيرها والمتعارف عليها، مبادئ المساواة الطوعية وحرية الإرادة، وتقوية الوفاق فيما بين القوميات، والأمن للشعوب، معبرين عن إرادة الدفاع عن حقوق وحريات الإنسان والمواطن، وبغض النظر عن انتمائه العرقي والديني ومكان إقامته، والاختلافات الأخرى، ووضع حد لعمليات الاضطهاد بحق المعارضين السياسيين منطلقين في نفس الوقت من مبادئ الإعلان العام لحقوق الإنسان عام 1949 والميثاق الدولي 1966 عن الحقوق السياسية والمواطن.

سادساً: قضية مسلمي البوسنة والهرسك:

1- الجغرافيا والسكان: [1]

تقع جمهورية البوسنة والهرسك الإسلامية في جنوب شرق أوروبا، وتحدها من الشمال والغرب جمهورية كرواتيا، ومن الشرق جمهورية صربيا، ومن الجنوب جمهورية الجبل الأسود، كما أن لها ساحلاً بطول (20 كم) على البحر الأدرياتيكي، وهي إحدى جمهوريات يوغسلافيا الاتحادية التي إنهارت، وتفرقت ضمن الانهيارات المتتابعة لمنظومة الدول الشيوعية.

---

(1) محمد عوض الهزايمة، حاضر العالم الإسلامي، عمان: دار عمار، 1997م، ص336.

وقد تم تثبيت حدود جمهورية البوسنة والهرسك، بصورة دولية وقانونية، وذلك بموجب سلسلة من معاهدات السلام الدولية التي تمت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وكان آخر هذه الاعترافات الدولية ما تم في مؤتمر برلين الدولي لعام 1878م، تم الاعتراف الأخير في مؤتمر سان جرمان عام 1919[1] ومساحة الجمهورية (55.129) كم^2.

وأما السكان فيعود الشعب البوسني إلى أصل أوروبي، من جنس سلافي، ويسميهم العرب الصقالية، بينما يسميهم الأتراك (البوشناق)، ويمثل مسلمو البوسنة في الوقت الحاضر أكبر مجموعة من مسلمي أوروبا الأصليين، ويبلغ عدد سكان الجمهورية خمسة ملايين، منهم البوشناق وصرب وأرثوذكس وكروات كاثوليك، والمسلمون (البوشناق) يمثلون أعلى نسبة تصل إلى (44%) ويتكلم البوشناق اللغة الصربية بأبجديتها الروسية ويتبع معظم المسلمين المذهب الحنفي، وكان المذهب الرئيسي في الإمبراطورية العثمانية.

2- الإسلام والبوسنة والهرسك:

استولى العثمانيون على البوسنة عام 1462م، بعد فتح بلغراد عام 1458م وكان وراء هذا الفتح المتاعب والقلاقل التي كان يثيرها الصربيون الفارون إليها، وأصبحت بلاد البوسنة، بعد الفتح، ولاية عثمانية، أما الهرسك فقد استسلمت للعثمانيين بالتدريج ما بين الأعوام (1465-1480)م وعندما حاول ملك المجر عام 1464م استخلاص البوسنة من العثمانيين ذاق مر الهزيمة، وقتل معظم جيشه، لتصبح البوسنة قلعة متقدمة من قلاع الإسلام في قلب أوروبا.

وأصبح الإسلام يعتنقه غالبية سكان البوسنة والهرسك، ولم يكن لانتشار الإسلام أي عوامل قهرية أو جبرية، وقد غدت البوسنة والهرسك

---

(1) محمد فاروق الإمام، البوسنة والهرسك - عمان: دار عمان للنشر والتوزيع، 1993-ص9.

خلال نصف قرن تدين بالإسلام.

3- تاريخ البوسنة والهرسك:

دافع العثمانيون أكثر من مــرة عن البوسنة، فبعد أن هاجمها (سافويسكي) النمساوي سنة 1697 - بعد فشل الجيوش العثمانية في حصار فينا - ليتركها قاعاً صفصفاً، بعد أن دمرها تماماً، استطاع العثمانيون عام 1737م إخراج النمساويين من البوسنة[1]، ودافعوا عنهـا أمام الروس بالاشتراك مع أهلها عام (1807)م، وفي أواخر تشرين الأول / أكتوبر عام 1877 هزمت الجيوش الروسية القوات العثمانية، وساعد الروس الصرب، بعد نقضهم اتفاقيتهم مع العثمانيين، وطلب العثمانيون الصلح والرضوخ لمطالب العدو، بعد اقتراب الروس من استنبول في 31 كانوا الثاني/ يناير 1878م، وعلى أثر مؤتمر برلين والذي طالبت النمسا بعقده من الدول الموقعة على معاهدة باريس المبرمة عام 1856م، ألحقت البوسنة والهرسك بحكم النمسا، وقد رفض البوسنيون ذلك، وشكلوا في (27) تموز/يوليو 1878م حكومة محلية، قررت الدفاع عن البوسنة، ورفض الانضمام للنمسا[2]، وبعد يومين من هذا الإعلان، اجتاحت القوات النمساوية - المجرية شمال البوسنة، ودافع البوسنيون بقيادة (إسماعيل حقي سلمانوفتش) ببطولة نادرة المثيل إلا أنهم دخلوا سراييفو في (19) آب/ أغسطس 1878م، وخضعت البوسنة لمنطق القوة ولكن المقاومة بقيت مستمرة حتى 20تشرين الأول / أكتوبر من العام نفسه، وأخذ المسلمون بالهجرة طول فترة الاحتلال النمساوي - المجري والذي دام عشرين سنة (1878 - 1898)م حتى بلغت هذه الهجرة ما بين (160-300) ألف مهاجر، وهكذا انخفض عدد المسلمين في البوسنة من 75% في القرن السابع عشر، إلى 50% من القرن التاسع

---

(1) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العثمانية، بيروت، دار النفائس، 1986م، ص323.

(2) محمد الأرناؤوط: الإسلام في يوغسلافيا، عمان: دار البشير، 1993م، ص183.

عشر[1]، وفي محاولة من الإدارة النمساوية - المجرية لاحتواء ثورة المسلمين، فقد أصدر إمبراطور النمسا والمجر مرسوماً إمبراطورياً بتعيين (عمرو فتش) كأول رئيس علماء للمسلمين في البوسنة، وتفويضه بتعيين قضاة شرعيين وموظفين دينيين، ولكن هذا الإجراء لم يقف أمام ثورة المسلمين عام 1899م وكانت شرارتها الأولى عندما أقدم بعض غلاة النصارى على خطف فتاة مسلمة وتنصيرها، فدامت هذه الانتفاضة حتى عام 1902م، وفي خطوة نمساوية، دافعها الخوف من محاولة الدولة العثمانية، فيما إذا رُدَّتْ إليها عافيتها من استعادة البوسنة، اتخذت قراراً من جانب واحد عام 1908م يقضي بضم البوسنة إليها نهائياً[2]. صدم البوسنيون من هذا القرار، وزاد من خيبة أملهم عندما اعترفت استنبول بهذا الاعتراف عام 1909م[3]. وتجسد الإحباط في رسالة محزنة، بعث بها مسلمو البوسنة إلى (مجلس المبعوثان)، عبروا فيها عن صدمتهم العميقة للاعتراف العثماني.

إن مسلسل الويلات والاضطهاد بحق أهل البوسنة لم يتوقف، فأخذت صربيا تتحرش بالبوسنة، لتستخلصها من النمسا، لتضمها إليها، بتشجيع من روسيا، فاندفعت في الأراضي البوسنية، وفي غمرة انتصار الصرب وحماسهم، قام أعضاء منظمة صربية متطرفة، تطلق على نفسها (بوسنة الفتاة) باغتيال ولي عهد النمسا في سراييفو، في حزيران 1914م، مما أدى إلى إعلان النمسا والمجر الحرب على صربيا في (28) تموز/يوليو 1914، وتطور الأمر في آب/ أغسطس إلى نشوب حرب عالمية توقفت عام 1919م[4]، إلا أن البوسنة والهرسك ضمت إلى صربيا عام 1918م ضمن دولة، أسموها (مملكة الصربيين والكرواتيين والسلوفينيين)[5]، لقد فتك الصرب بالمسلمين؛

(1) المرجع السابق، ص185.

(2) المرجع السابق، ص188.

(3) المرجع السابق، ص189.

(4) محمد فاروق الإمام، مرجع سابق، ص38.

(5) المرجع السابق، ص41.

فعـام 1923 ارتكبـوا مذابح بشعة في حق المسلمين، وقد دمروا خلالها (235) قرية مسلمة، وجرى تشريد مليوني مسلم إلى تركيا[1]، واستمر هذا الضم حتى بعد الاجتياح الألماني لهذه المملكة في نيسان / أبريل 1941، وساندت ألمانيا الكروات، وضمت معظم أراضي البوسنة إليها، وأعلنت في (30) نيسان / أبريل 1941م قانوناً اعتبرت بموجبه سكان البوسنة المسلمين كراوتاً، مما أدى إلى مسخ الشخصية الإسلامية، كما أقامت معسكرات على غرار المعسكرات النازية، وألقت فيها الآلاف من مسلمي البوسنة، وأذاقتهم مر العذاب والموت[2]، فقتلوا عام 1941 وفي وقت صلاة العيد ستة آلاف مسلم، وألقوهــم في مياه نهر ديرينا، وفي عام 1942 قتلوا (262) ألف مسلم ومسلمة، وكـــان الفتك بالأئمة وطلبة العلم[3]. وقدم المسلمون هناك خلال الحرب العالمية الثانية (86) ألف ضحية، وهو ما يشكل (8.1%) من عدد المسلمين في ذلك الوقت[4]. وفي أثناء الحرب العالمية الثانية ظهر الحزب الشيوعي اليوغسلافي الذي كان يقـوده (جوزيف بروزيتتو) إلى جانب حركة الجنرال (ميخائيلوفيتش) وكانت هاتان الحركتان تسعيان لإعادة توحيد يوغسلافيا من جديد، وانحاز مسلمو البوسنة إلى الحزب الشيوعي الذي قدم لهم الوعود بالمساواة مع شعوب الدولة الفيدرالية المنتظرة، وبالحفاظ على وحدة أراضي البوسنة الفيدرالية، وقامت دولة يوغسلافيا الاتحادية في (29) تشرين الثاني / نوفمبر 1945 بقيادة الحزب الشيوعي، وكان للمسلمين دور بارز في انتصار هذا الحزب. وتمت مكافأة مسلمي البوسنة على دورهم في ترجيح كفة الحزب الشيوعي على حركة الجنرال (ميخائيلوفيتش)، فقتل الشيوعيون (24) ألف مسلم بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة موزعين على:

---

(1) فـؤاد عمـران: المسـلمون يرفضـون الاستسـلام ويصرـون عـلى المقاومـة، مجلـة فلسـطين (لنـدن) العـدد (2)، (2) شباط/فبراير 1993-ص39.

(2) محمد فاروق الإمام، مرجع سابق، ص47.

(3) فؤاد عمران، مرجع سابق، ص39.

(4) محمد الأرناؤوط، مرجع سابق، ص102.

مقاطعة طوزلا (15) ألفاً، مدينة سراييفو (3) آلاف، ماكيدونيا وكومونا(6) آلاف[1].

4- الطرق إلى إبادة جديدة:

بعد إعلان الدستور اليوغسلافي الجديد عام 1963م الذي نص في أحد بنوده على تعريف يوغسلافيا بأنها: "مجموعة الشعوب والقوميات المتساوية" كما جاء في بند آخر أن: "المواطن ليس ملزماً بالتعبير عن انتمائه لأية قومية"، وأقر الدستور أيضاً بالاعتراف بمسلمي البوسنة، كشعب متساوٍ مع بقية الشعوب اليوغسلافية[2]. إن هذا الدستور بعث الأمل في نفوس المسلمين هناك، في عدم الخوف من إظهار دينهم والتمسك به علناً، زاد في هذا الأمل إقصاء (تيتو) نائبه الصربي (الكسندر رانكوفيتش) ألد أعداء المسلمين، بعدها أخذ المسلمون يتنفسون الصعداء، ونالوا حقوقاً أكبر، وبرزت شخصيات إسلامية، كان لها دور كبير على مستوى يوغسلافيا والعالم، فهذا (جمال بيديتش) تسلم رئاسة الحكومة اليوغسلافية عام 1972 الذي قام بنشاطات كبيرة على المستوى العالمي، فقد وطد علاقات يوغسلافيا بالعالم الإسلامي، وزاد عدد المسلمين في البوسنة إلى (40%) مقابل انخفاض عدد الصرب فيها[3].

ثار غضب الصرب، وبدأوا بمعارضة مكشوفة (لتيتو) ووظفوا صحفهم إلى أقصى حد، لترويج الإشاعات المنظمة ضد مسلمي البوسنة، وعملوا على تهييج الشارع الصربي عليهم مدعين انبعاث "الأصولية الإسلامية" وقدوم "الخطر الإسلامي" مما أدى إلى انعقاد محكمة سراييفو سنة 1983 عرفت هذه المحكمة حينئذ بـ "محكمة المثقفين المسلمين" لأنها شملت

---

(1) علي جريشة ومحمد شريف الزيبق، مرجع سابق، ص132.

(2) محمد فاروق الإمام، مرجع سابق، ص54.

(3) المرجع السابق، ص55-56.

اثني عشر مثقفاً من البوسنة.

وصل سلوبودان ميلوشيفتش الذي كان يؤجج صدره حقد دفين على الإسلام والمسلمين، إلى قيادة حكم صربيا سنة 1986م، وبدأ يدعو إلى توحيد صربيا، فقام بضم إقليم (كوسوفا)إلى صربيا وأيد بلا حدود قادة الجبل الأسود، عندها سارعت (البوسنة وكرواتيا وسلوفينيا) إلى تشكيل جبهة للوقوف أمام ميلوشيفتش (الصرب ومؤيدوه من قادة الجبل الأسود) وطالبت بإصلاحات دستورية في يوغسلافيا فرفض الصرب، وهددت (كرواتيا) و (سلوفينيا) إذا لم يُلبي مطلبهما.

أمام هذه الأحداث بدأ الاتحاد اليوغسلافي يتمزق، وأخذت تتلاشى هيمنته على الجمهوريات التي كان يتألف منها، وحدث الصراع بين جمهورياته وعلى النحو التالي[1]:

أ- الكاثوليك ويطمحون إلى إقامة دولتهم (كرواتيا الكبرى) والتي تشمل (كرواتيا وسلوفينيا)، ويطالبون بضم القطاع الغربي من جمهورية البوسنة والهرسك إليهم.

ب- الأرثوذكس ويطمحون إلى إقامة دولة (صربيا الكبرى) والتي تشمل (كرواتيا وسلوفينيا)، ويطالبون بضم القطاع الغربي من جمهورية البوسنة والهرسك إليهم.

جـ- المسلمون ويشكلون أغلبية سكان جمهورية البوسنة والهرسك، وإقليمي (سنجاق وكوسوفو وغرب مكدونية)، ويرغبون في استعادة هويتهم وشخصيتهم الإسلامية، بعد فوز حزب (علي عزت بيغوفيتش) بالانتخابات التي جرت عام 1990م.

وعندما أخفقت كل المساعي، أعلنت سلوفينيا وكرواتيا انفصالهم عن الاتحاد اليوغسلافي عام 1991م، فتدخل الغرب عندها لحمايتها من

(1) محمد فاروق الإمام، مرجع سابق، ص58-59.

الصرب، فأعلن في بداية آذار (علي عزت بيغوفتش) من عام 1992 قيام جمهورية البوسنة والهرسك دولة مستقلة، فاعترفت بها عدد من الدول كالولايات المتحدة وبعض دول أوروبا، وتم قبولها عضواً كاملاً في الأمم المتحدة.

عندها جن جنون الصرب، فشنوا عدواناً غاشماً على شعب آمن وديع ومسالم، لتكون محصلة الأشهر الثلاث الأولى لاستقلال هذه الجمهورية محصلة مخيفة مرعبة، تشمئز لها النفوس. وحول مجمل الخسائر، فقد أعلن رأس الكنيسة الأرثوذكسية الصربية في تلفزيون بلغراد في أوائل تشرين الأول / أكتوبر (1992)م، معترفاً بأن[1]: مجموع القتلى من المسلمين (120) ألف شخص، (400) ألف جريح، (130) ألف معتقل، مات في هذه المعتقلات (17) ألف من جراء التعذيب والتجويع، مجموع المغتصبات يصل إلى (35) ألف امرأة وفتاة، وقال (سربرنيكوفتش) المساعد الأول لوزير الداخلية في البوسنة والهرسك: إن عدد اللاجئين (1.5) مليون لاجئ تقريباً، منهم مليون في كرواتيا، والبقية في دول أوروبا كألمانيا والنمسا.

5- المساعي السلمية واتفاق السلام:

إن الهيئة الدولية وقفت موقف المتفرج من عمليات الإبادة والتهجير في البوسنة والهرسك، وما قرار مجلس الأمن القاضي بحظر مبيعات الأسلحة إلى كافة الأطراف المتقاتلة في البوسنة، ما هو إلا نصر لكل الأطراف باستثناء المسلمين المعتدى عليهم، لأن تلك الأطراف وجدت بالدول النصرانية القريبة منها والتي تغذيها الصليبية الحاقدة المصدر المطلوب، وورثت بعض الأطراف ترسانة السلاح من تركة يوغسلافيا الاتحادية[2]، أضف إلى ذلك أن

---

(1) المرجع الساق، ص77-94.

(2) قدم الجيش اليوغسلافي لصرب البوسنة منذ بداية العدوان 1991 وحتى صيف عام 1994 الأسلحة والمعدات العسكرية التالية: (40) طائرة عسكرية، (30) طائرة عمودية، (4000) دبابة، (400) سيارة مدرعة، (900) مدفع وراجمات الصواريخ، (76) راجمة قذائف متعددة الفوهات - للمزيد انظر - النشرة غير الدورية التي تصدر عن المكتب الإعلامي للبوسنة والهرسك، العدد (7) كانون الثاني / يناير 1995 -ص 6.

الإمدادات كانت تصل لغير المسلمين عبر البحر الأدرياتيكي، تحت نظر سفن الأساطيل الغربية دون التدخل، بحجة أن مجلس الأمن لم يخولها التدخل، وروسيا في الوقت ذاته تمد الصرب باحتياجاتها العسكرية، أما الأمم المتحدة فقد اكتفت بتحويل قضية البوسنة إلى قضية إنسانية، واستقدمت قواتها لحماية الغذاء والدواء الذي يذهب 80% منه للمعتدين الصرب الذين يفرضون سيطرتهم على كافة الامدادات.

ولوضع حد لحرب الإبادة في البوسنة توالت المساعي لخدمة هذا الهدف فكانت (خطة فانس - أوين للسلام)[1]، وتأكيد المجلس الأوروبي في (كوبنهاجن) في (21-22) حزيران 1993 على ضرورة المفاوضات، ومهمة الرئيس الأمريكي جيمي كارتر، ومؤتمر جنيف الموسع في 3 كانون الثاني / يناير 1993[2]، ثم كان اتفاق (كامب ديتون) الذي وقع في باريس في (14) كانون الأول / ديسمبر 1995، ويدعوا صانعو الاتفاق إلى إنهاء الحروب التي اندلعت في يوغسلافيا السابقة.

وقد وقع على الاتفاق علي عزت بيغوفيتش (البوسنة) وسلوبودان

---

(1) تقوم هذه الخطة على وجه الخصوص على استقلال وسيادة وسلامة أراضي البوسنة والهرسك وحماية حقوق الإنسان وحقوق الأقليات، وعدم جواز الاستيلاء على الأرض بالقوة، والحاجة الأساسية لتقديم المساعدة الإنسانية وإيصالها لمن هم بحاجة إليها، ومقاضاة المسؤولين عن جرائم الحرب وانتهاكات القانون الدولي - في حين وصفت مهمة (فانس- أوين) ما هي إلا وسيلة لإتمام الإبادة، وبصورة محكمة لشعب البوسنة والهرسك، فمهمتها المكشوفة هي الادعاء بما ورد آنفاً، من أجل إلهاء المجتمع الدولي عن جرائم الإبادة بشتى أساليبها، وإعطاء وحوش الإبادة الوقت الكافي لإتمام مخططهم الإبادي، واعتمدت هذه الأوساط الإعلامية على رسالة رئيس الوزراء البريطاني (جون ميجر)، التي وجهها إلى وزير خارجيته (دوغلاس هوج)، وقد ردت السفارة البريطانية في عمان لدحض هذه الأقوال واعتبارها محض افتراء - للمزيد حول الادعاء والرد - انظر - صحيفة اللواء الأردنية الأسبوعية الصادرة في 23 حزيران / يونيه 1993 والصادرة بتاريخ 30 حزيران / يونيه 1993.

(2) نبيل شبيب، البوسنة والهرسك، مجلة فلسطين المسلمة، (لندن) العدد (2) شباط/فبراير 1993-ص42-43.

ميلوزفيتش الصرب وتراجوتجمان (الكروات) والشهود بيل كلينتون (الولايات المتحدة)، وجاك شيراك (فرنسا) وهيلموت كول (ألمانيا)، وجون ميجر (بريطانيا)، وتشيرنومردين (روسيا)، وفيليب غونزاليس (إسبانيا) وأهم ما جاء بالاتفاق[1]:

- وقف الأعمال الحربية: تتعهد الأطراف بنزع سلاح المجموعات المدنية المسلحة وتفكيكها في غضون (30) يوماً وإلا أجبرت على ذلك عسكرياً.
- سحب القوات الأجنبية: على القوات الأجنبية والمستشارين مغادرة البلاد مع أسلحتهم وعتادهم في غصون (30) يوماً بعد نقل الصلاحيات، ويتعلق هذا البند بشكل خاص بالمرتزقة لدى كل الأطراف والمجموعات الإسلامية المعروفة بالمجاهدين.
- سحب كل الأسلحة الثقيلة ووضع القوات في الأماكن التي تحددها (قوة إيفور) في غصون (120) يوماً.
- تسريح القوات في غصون (120) يوماً بعد نقل الصلاحيات.
- يجب الإفراج عن كل الأسرى عبر اللجنة الدولية للصليب الأحمر في غضون (30) يوماً بعد نقل الصلاحيات.
- على الأطراف وضع لوائح بأسماء الأسرى، وتسليمها إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر في غضون (21) يوماً بعد توقيع الاتفاق[2].

ويبقى في آخر القول إلقاء الضوء على الوضع الأخير في البوسنة والهرسك فنجد[3]:

---

(1) صحيفة الدستور الأردنية الصادرة بتاريخ (15) كانون الأول / ديسمبر 1995.

(2) للمزيد عن مشروع السلام في البوسنة والهرسك (كامب ديتون) والذي وقع في باريس في (14) كانون الأول / ديسمبر 1995-انظر صحيفة الأهرام المصرية الصادرة في (17)، (19) كانون الأول / ديسمبر 1995، أخبار الأسبوع (الأردنية) صحيفة أسبوعية صادرة في 21 كانون الأول/ ديسمبر 1995.

(3) دراسة قام بها الدكتور إلياس بوشنوفيتش ووضعها بكتاب شامل عن تأثيرات الحرب. وردت مقتطفات من هذا الكتاب في: النشر غير الدورية الصادرة عن المكتب الإعلامي للبوسنة والهرسك (عمان) العدد (7)، كانون الأول/ يناير 1995- ص10.

1- إن نسبة الضحايا حسب الوجود السكاني في البوسنة والهرسك كان على النحو التالي: توفي أو قتل أو فقد (7.3%) من المسلمين، و (3.7%) من الكروات، (17%) من الصرب و (6.3%) من الآخرين، وأما اللاجئون من المسلمين (543.000) شخص، من الصرب (388.000) من الكروات (222.000) من الآخرين (97.000).

2- الصورة السكانية في البوسنة والهرسك حتى شهر آذار / مارس 1994 كانت كالتالي: بقي داخل البوسنة والهرسك 2.879.300 نسمة، ويصل عدد المسلمين منهم (1.233.900) بنسبة (43.4%) وعدد الصرب (892.800) بنسبة (31%)، وعدد الكروات (511.700) بنسبة (17.8%)، وعدد الآخرين (229.900) بنسبة (7.8%).

هذه صورة أرض البوسنة والهرسك المسلمة والتي عانى شعبها البشناقي المسلم الكثير، فحجمُ مأساته تعبر عنها الأرقام السالفة، إنه الشعب الذي لا يزال يقبل التعايش رغم ما أصابه من مصائب من جيرانه، ولكن هذه المرة هو الذي سيشارك في وضع المعايير لهذا التعايش، إن قضية البوسنة والهرسك لم تنهى بعد، وفي اعتقادنا أنها تمر في مرحلة "هدنة".

سابعاً: الحرب الأهلية في أفغانستان:

بداية يمكننا القول أن ما يدور في أفغانستان هو حرب أهلية، وهناك جهات أجنبية تحاول من خلالها تحقيق مصالحها، وذلك بتقديم المساعدات المختلفة لإبقاء الحرب مشتعلة، حتى تحقق تلك الدول المصالح وتبلغ

الغايات، ومهما يكن فعلى مر التاريخ فقد أكدت أفغانستان الطابع الإسلامي العميق في جهادها ضد القوى الإنجليزية والروسية، التي طمعت في البلاد أو التي أرادت أن تتخذ منها ممراً للعبور إلى مناطق أخرى في العالم[1].

لقد تطرقنا إلى أفغانستان ضمن سياق فصل الإسلام وواقع الدولة الإسلامية السابق - وهنا سنتناول أفكاراً محددة تلقي الضوء على الحرب الأهلية التي ألقت بثقلها على جميع أرجاء أفغانستان بعد رحيل الروس. وعلى النحو التالي:

1- التاريخ السياسي[2]:

وقفت روسيا العنصرية على حدود أفغانستان عام 1350هـ/1929م بقيادة (جريماكوف) ولكنها تراجعت بعد وقوفها على مدى حب الأفغانستانيين للشهادة بتقديمهم سبعة آلاف مسلم شهيد في غضون فترة قصيرة، فاتبعت سياسة النفس الطويل لتحقيق مآربها فوجدت بـ (محمد داود خان) ابن عم الملك (محمد ظاهر شاه) ضالتها بعد أن وصل إلى منصب رئيس الوزراء عام 1374هـ/1953م الذي قام بأول انقلاب أبيض تدعمه موسكو بعد مغادرة الملك البلاد إلى إيطاليا للاستشفاء عام 1393هـ / 1973م. وقد وضع البلاد تحت تصرف الروس الذين أطاحوا به عام 1407هـ/1987م، عندما شعروا أنه أدرك الغلطة ويريد تصحيحها بزيارته للسعودية وباكستان والكويت ومصر ودول أخرى، يطلب المساعدات المالية

---

(1) لقد قامت عدة حروب على أفغانستان وهي:

الحرب الأولى: (1253-1257)هـ - (1838-1842م).

الحرب الثانية: (1295-1298)هـ- (1878-1880)م.

الحرب الثالثة: (1340)هـ - (1919)م.

التدخل السوفييتي: بدأ منذ عام 1350هـ/1929م، الاحتلال الأمريكي عام 2001م.

(2) للمزيد حول تاريخ الأطماع الروسية وتدخلها في أفغانستان بما يخدم أهداف هذا الموضوع - انظر - جميل عبد الله المصري، حاضر العالم الإسلامي، ص437-440.

والعلمية والفنية، وقبلوا تقديمها شريطة الابتعاد عن الروس. ليتقدم زعيم جديد أكثر طواعية للروس وهو (نور محمد تراقي)، فبدأ عهده بقتل الرئيس المخلوع وجميع أفراد أسرته وأعوانه، ومئات من الأهالي قتلاً وسجناً. فعمد إلى إجبار الأفغان على نبذ الإسلام واعتناق الشيوعية، وبعد أن قام بأقصى ما يمكن أن يقدمه، أبدلته روسيا بشيوعي آخر أكثر تحمساً للسير في ركابهم وهو (حفيظ الله أمين)، الذي نجح بانقلاب عام 1400هـ/1979م، ثم أبدلته بانقلاب شيوعي بقيادة (بابراك كارمال) - عميل جهاز المخابرات السوفيتية كي. جي. بي - والذي وصل للبلاد من موسكو مع الدبابات والطائرات الروسية الغازية، والتي أخذت تقتل وتحرق وتُهجر، وجاء بعده (محمد نجيب الله)، وسقط في نيسان/ أبريل 1992م، ويمكننا القول إن الإرادة السوفييتية كانت هي النافذة في أفغانستان (1979-1990)م، والملاحظ أنه خلال هذه الفترة كلما زاد ضعف الاتحاد السوفياتي زاد نجاح الثوار الأفغان حتى استطاعوا إخراج القوات السوفياتية حتى قبل تفكك الاتحاد السوفييتي.

2- التاريخ الجهادي:

كان انطلاق الحركة الجهادية في رحاب الأزهر الشريف، فبعد أن عاد تلاميذه الأفغان إلى بلادهم، الذين تتلمذوا على العلم الشرعي في كنفه وعلى رأسهم الأستاذ (غلام محمد نيازي)، والذي قد عين أستاذاً بكلية الشريعة بجامعة كابل ثم أصبح عميداً لها وجعل منها محور الحركات والمساعي الدينية والاجتماعية في الجامعة، وفي عام (1973) أسس الجمعية الإسلامية، واختار الأستاذ (برهان الدين رباني) أحد أساتذة الكلية أميراً، واحتفظ لنفسه بدور المرشد الفكري لها، وفي عام 1973 بعد انقلاب (محمد داود خان)، قبض على (غلام محمد نيازي) وفر (برهان الدين رباني) إلى

باكستان في أواخر العام نفسه، وقام بجولة في العالم العربي والإسلامي شارحاً القضية الأفغانية قبل عودته ثانية إلى باكستان، ثم تعددت المنظمات الإسلامية، بعد رؤية أصحاب الحس الإسلامي النظام الشيوعي الحاكم وقد كشر عن أنيابه، ومن هذه المنظمات[1]:

أ- **حزب أفغانستان الإسلامي:** قام بزعامة عبد الرحيم نيازي وقد مات بمرض مزمن، وتعاقب على زعامة الحزب عدد من الشباب، وقد اغتيلوا جميعاً إما بأيدي السلطة أو بأيدي عناصره ماركسية متطرفة، إلى أن تزعمه (مولوي حبيب الرحمن) الذي استشهد في إحدى المعارك داخل أفغانستان، فخلفه في الحزب (قلب الدين حكمتيار).

ب- **حركة الانقلاب الإسلامي:** أسسها (مولانا محمد نبي محمدي) بعد انقلاب محمد داود خان عام 1973 مباشرة، وكانت له مكانته الدينية حيث كان رئيساً لجمعية خدام الفرقان، وأعلن جهاده المسلح ضد الحكومة الأفغانية الشيوعية.

جـ- **الحزب الإسلامي الأفغاني:** وقد انشق هذا الحزب عن حرب أفغانستان الإسلامي بزعامة (محمد يونس خالص) بعد خلاف مع قائد (حزب أفغانستان) حكمتيار، نتيجة قيادة الأخير للحزب من باكستان خارج البلاد.

د- **الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان:** تزعمها (صبغة الله مجددي) وينتمي إلى عائلة مجددي، ذات الإقطاعات والنفوذ الواسع في أفغانستان، وقد أمعن بها محمد داود خان تقتيلاً ومصادرة، وعلى الرغم أنه يرفع شعارات إسلامية، إلا أنه يؤمن في الوقت نفسه بضرورة تلاحم مختلف القوى من أجل التحرير.

هـ- **الجبهة الإسلامية الأفغانية:** ومؤسسها (سيد أحمد الجيلاني)، وتشبه الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان إلى حد كبير كبير في المنطلقات والأهداف.

---

(1) المرجع السابق، ص444.

وفي شهر ربيع الأول عام 1401هـ وقعت المنظمات الإسلامية الستة على صيغة مؤقتة للاتحاد، واختارت رئيساً مؤقتاً إلى أن يتم وضع التدابير الأخيرة والدائمة، وكان الرئيس له (برهان الدين رباني)[1]. والرئيس الأعلى (عبد رب الرسول سياف)، ولكن التحالف انحل وبدأ بخروج حكمتيار، ثم أخذت الجهود مجدداً بالدعوة للوحدة وفي عام (1401)هـ أعيد الاتحاد باسم (الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان) مكوناً من خمس منظمات، وتكوَّن مجلسه الأعلى من خمسين عضواً حيث خرج الاتحاد الوطني الإسلامي بقيادة أحمد كيلاني، واستطاع هذا الاتحاد تحقيق مكاسب واضحة على الساحة الجهادية في أفغانستان وعلى الساحة السياسية، حيث توالى الحضور السياسي للمجاهدين في مؤتمرات وزراء خارجية الدول الإسلامية العادية والطارئة عام (1400هـ) (1980)م في إسلام أباد، ومؤتمر القمة الإسلامية في الدار البيضاء بالمغرب عام 1404هـ وفي عام (1400)هـ / (1980)م، في هيئة الأمم المتحدة، ولأول مرة في تاريخ الصراع الأفغاني - السوفياتي.

لقد أخذت الكفة تميل لصالح المجاهدين، فزادت الضربات على كابول عام (1409 هـ / 1988)م وتواردت الأنباء عن قرب سقوطها، ومؤتمر جنيف يعترف بالمجاهدين وعلى قدم المساواة مع الحكومة الشيوعية في كابول[2]. رفض المجاهدون ذلك لأن القرارات تؤدي إلى فرض عناصر ليس لها علاقة بالجهاد، وشكل المجاهدون حكومة مؤقتة اختاروا لرئاستها (مهندس احمد شاه) أحد أبناء الحركة

(1) المنظمات الست هي: الجمعية الإسلامية بزعامة (برهان الدين رباني)، حزب أفغانستان الإسلامي بزعامة (قلب الدين حكمتيار)، حركة الانقلاب الإسلامي بزعامة (مولانا محمد نبي محمدي)، الحزب الإسلامي الأفغاني بزعامة (محمد يونس خالص)، الجبهة الوطنية لإنقاذ أفغانستان بزعامة (صبغة الله مجددي)، الجبهة الشعبية الإسلامية الأفغانية بزعامة (سيد أحمد جيلاني) وأصبح اسم الاتحاد (التحالف الإسلامي لتحرير أفغانستان) - انظر - المرجع السابق، ص447.

(2) انعقد هذا المؤتمر في (14) آذار / مارس 1988 وباتفاق روسيا والولايات المتحدة وحضره مندوبون عن الحكومة الأفغانية الشيوعية وباكستان ورفض المجاهدون حضوره، واختتم المؤتمر بقرارات منها: إنشاء حكومة ائتلافية من المجاهدين والشيوعية، وإغلاق الحدود مع باكستان، وعودة المهاجرين - انظر - المرجع السابق، ص452.

الإسلامية الأوائل، وذلك يوم (17) آذار / مارس 1988 بإجماع الأحزاب الإسلامية السبعة.

خسر المجاهدون يوم (17) آب / أغسطس 1988 الرئيس الباكستاني (محمد ضياء الحق)، بانفجار طائرته مع ثلاثين من قادة باكستان، وبدأ الخطر يلوح من جهة باكستان بنجاح حزب الشعب الباكستاني بزعامة بنازير بوتو في الانتخابات يوم 17 تشرين الثاني / نوفمبر 1988، والحزب ذو اتجاه اشتراكي، كما أن بنازير من الباطنية وهي من أعداء الجهاد الأفغاني، وهذا ما يفسر عدم تدخل باكستان في تهدئة الجبهة الداخلية الأفغانية زمن حكم بنازير بوتو.

لقد انسحبت القوات الروسية في 15 كانون الثاني / فبراير 1989م وبقي على المجاهدين أن يقابلوا الواقع الجديد بعد الدمار والتهجير ومعاول الهدم الفكري الذي أعملته القوات الشيوعية[1]، حيث يمكن وصف المرحلة اللاحقة بأنها أصعب المراحل ولم يحسن المجاهدون ترتيب البيت الأفغاني وكان الاقتتال بينهم.

3- الحرب الأهلية الأفغانية:

اتبعت المجموعات القتالية الأفغانية نظام التحالفات للخروج بحل أمثل للصراعات القائمة على الساحة، لكنها لم تسفر عن نتيجة باتجاه استقرار الوضع الأفغاني ووحدة السلطة فيه، فالمجموعات المقاتلة في ازدياد والسلاح يتدفق عليها من كل صوب، ومنذ سقوط الرئيس محمد نجيب الله في (16) نيسان / أبريل 1992 ودخول المجاهدين للعاصمة في (26) منه وحتى وقت

---

(1) قامت السياسة الشيوعية في أفغانستان على أساس التخريب الفكري، ومحو الحضارة الإسلامية في أفغانستان، وأهم أسسها: إلغاء مناهج العلوم الدينية في المدارس وفي مراحلها المختلفة، وإنشاء المدارس لتعليم الكبار لتضليلهم وخداعهم، توظيف وسائل الإعلام لبث الأفكار الشيوعية، وفرضت تدريس النظرية الماركسية، أدخلت منهاج تعليم اللغة الروسية، وأرسلت آلاف الأطفال الأفغانيين أعمارهم بين (7-10) سنوات إلى مدارس الاتحاد السوفييتي لغسل أدمغتهم، وبذرت بذور الخلاف القومي والقبلي في المجتمع الأفغاني - انظر - المرجع السابق، ص450-451.

قريب منه، والمجاهدون الأفغان لا يزالون يتقاتلون مع بعضهم البعض، ويكبدون البلد خسائر أكبر ومعاناة أوسع، ويوماً بعد يوم تزداد معاناة الشعب الأفغاني ويزداد معها التباعد عن الحل، ولعل المراقب يلاحظ أن نتيجة الصراع الدامي بين الفئات الأفغانية لم يسفر إلا عن النتائج السلبية التالية: (1)

1- ازدياد محنة الشعب الأفغاني كلما زادت حدة الصراع فضلاً عن مئات الآلاف من القتلى والجرحى والتشريد من أبناء الشعب الأفغاني.

2- عجز أية قوة محلية عن الاستحواذ على أفغانستان أو السيطرة عليها، فقد عجز حكمتيار، وأحمد شاه مسعود، على الرغم من دخولهم كابول عام 1992، كما عجز برهان الدين رباني وأحمد شاه مسعود مرة أخرى، لذا فمسلسل القتل والدمار ماضٍ إلى اليوم الذي تضع به الحرب الأهلية أوزارها.

3- أعطت الصراعات الأفغانية - الأفغانيين منذ عام 1992 وحتى الوقت الراهن صورة مشوهة عن الإسلام، فقد كان المجاهدون الأفغان نموذجاً يحتذى به في مقاومة الغزو الخارجي، وأعطى صمودهم البطولي وإصرارهم على المقاومة المسلمين دفعة قوية، فهم الأبطالُ الذين هزموا دولة عظمى، وأحد الأسباب التي أدت إلى انهيار الاتحاد السوفياتي في عام 1991، لكن هذه الصورة تغيرت بصورة مؤلمة ومؤذية، فالمجاهدون يوجهون أسلحتهم إلى قرى بلادهم ومدنها ومجموعاتها البشرية، حتى بات النموذج الأفغاني يندرج ضمن وسائل التخويف والتحذير من صراعات داخلية في أي بلد من البلدان، ودخل نموذج

---

(1) محمد عوض الهزايمة، حاضر العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص351-353.

الأفغنة إلى القاموس السياسي بجوار البلقنة واللبننة، وأصبح المسلم الذي جاهد في أفغانستان مطلوباً لدى الدوائر الأمنية في بلده خشية بث المبادئ الجهادية التي عمل بها.

4- أصبحت أفغانستان منطقة لتصارع النفوذ الدولي بعد انقلاب محمد داود خان على الملك محمد ظاهر شاه عام 1973، فالاتحاد السوفياتي يقف إلى جانب الحكومة الشيوعية في أفغانستان والولايات المتحدة تدعم المجاهدين والسعودية تقوم بالتغطية المالية والباكستان بعمليات التدريب.

ماذا تريد الأطراف الدولية في أفغانستان؟ في اعتقادنا أنها تطمح إلى ما يلي:

أ- **الولايات المتحدة** تريد حكومة في أفغانستان تعادي إيران فكرياً وعقائدياً، وحكومة أفغانية ذات ميول للأخذ بالنموذج الأمريكي مرشحة للدعم من أجل وضع الأمريكان قدماً لهم بالقرب من روسيا لخوفهم من عودتها ثانية للمسرح الدولي[1].

ب- **روسيا:** تشعر بامتداد بعض الفئات المتقاتلة ذات الشوكة كحركة (طالبان)، نحو الولايات الشمالية والشمالية الغربية من أفغانستان ربما يزعزع الوضع في الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى مثل: أوزبكستان وطاجيكستان وتركمانستان وهذا ما يثير قلق روسيا وبذلك تخشى تصدير الروح الجهادية لهذه الدول، فهي والحالة هذا تتجه إلى تشجيع العناصر المهدئة والباعثة على الاستقرار في أفغانستان، لكي تقطع الطريق على الولايات المتحدة في محاولة جيدة لتعثر الخطوات الأمريكية في المنطقة.

جـ- **الباكستان وإيران:** تضارب مصالح الدولتين على الساحة الأفغانية،

---

(1) صحيفة الدستور الأردنية الصادرة في 28 تشرين الأول / أكتوبر 1996.

فباكتسان تدعم حركة طالبان وإيران تدعم الحركات المناوئة لها؛ لأن كل دولة ترغب في إيجاد نوع من النفوذ في أوساط المجاهدين الأفغان من هنا يحصل التنافس المصلحي بين الدولتين على أرض أفغانستان والذي يحمل مثل هذا التنافس الطابع العدائي الظاهر أو المبطن، لذا يتعاملان مع الوضع هناك بحذر، ومتى شعرت الباكستان وإيران أن الحد الأدنى من مصالحها متحقق فإن سلوكهما قد يتجه نحو تشجيع الأوضاع للاستقرار، وتبقى هناك حقيقة واضحة في موقف البلدين، فإن تدهور الأوضاع في أفغانستان قد يؤدي إلى زعزعة استقرارهما وتأثر اقتصادهما بصورة سلبية، وتحملهما الأعباء من جديد مثل إيواء الأعداد الكبيرة من اللاجئين، وتسليح وتمويل المجموعات الموالية لهما داخل أفغانستان.

لقد قدم الأفغانيون خلال الغزو الشيوعي الكثير، حتى صاروا مضرب المثل فقد قدموا أكثر من مليون ونصف شهيد، فأحيوا بذلك معنى الجهاد في نفوس المسلمين، كما تجاوز عدد المهاجرين الخمسة ملايين، والحرب الأهلية التي بدأت بعد خروج السوفييت من شأنها تشويه الوجه الأبيض للحركات الجهادية في أفغانستان وطمس الصورة المثالية لكل الحركات الثورية الإسلامية في العالم.

ثامناً: قضية كشمير:

1- الأرض والسكان:

تقع ولاية كشمير الإسلامية في الطرف الغربي من جبال هملايا، وفي الطرف الشمالي الغربي من شبه القارة الهندية، وتحيط بها الصين من الناحيتين الشرقية والشمالية، وباكستان من الغرب والشمال، والهند من الجنوب، وتبلغ مساحتها (222.800) كم^2، وأرض الولاية مجزأة إلى جزئين (60%) يتبع الهند و (40%) يتبع باكستان، وكانت تشمل حتى وقت تقسيمها على ثلاث مناطق هي: جمو

وكشمير ومناطق الحدود[1].

أما السكان فيبلغ عدد سكان الولاية الإسلامية (كشمير)، أكثر من عشرة ملايين نسمة، وتبلغ نسبة المسلمين فيها أكثر من 90%، والباقي من الهندوس والسيخ والبوذيين، والمسلمون يتبعون المذهب الفقهي الحنفي، وبينهم أقلية من الشيعة، ويتكلم أهل كشمير اللغة الكشميرية التي تعود بأصلها إلى اللغات الهندو-أوروبية، وإلى جانبها اللغة الأوردية والبنغالية، وتستعملان على نطاق محدود بين سكان الولاية. والأصول السكانية لأهل كشمير تتشابه والأصول السكانية في دولة باكستان وبنجلادش[2].

2- كشمير والإسلام:

وصلت بشائر الإسلام إلى مناطق شرق شبه الجزيرة الهندية، عندما تقدم محمد بن القاسم الثقفي عام 93هـ/711م إلى إقليم السند، وهي إحدى مقاطعات باكستان، وفي عام 106هـ/ 724م زمن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، مدَّ المسلمون نفوذهم، ونشروا الإسلام في إقليم كشمير وكنجرا[3]، وفي عهد أبي جعفر المنصور تقدم هشام بن عمرو التغلبي، والي السند، وفتح ما تبقى من الولاية، وزاد الإسلام فيها انتشاراً في عهد المعتصم العباسي (218-227)هـ[4]، وفي مستهل القرن الرابع الميلادي وصل أحد الدعاة المسلمين واسمه (بلبل) إلى كشمير،

---

(1) ولاية كشمير الإسلامية ذات طبيعة جبلية، فيها سهلان في منطقة وادي جمو ووادي كشمير، كثيرة الأنهار. وأهم أنهارها نهر السند ونهر جليم ونهر جناب؛ وهي الأنهار التي تنساب إلى باكستان، مناخها معتدل ومراعيها خصبة، هيأت للولاية ثروة حيوانية كبيرة، موقعها ذو طبيعة استراتيجية، لكونها أحد الأبواب التي تقيم صلة بين الهند والصين - انظر - جميل عبد الله المصري، مرجع سابق، ص108.

(2) يعيش المسلمون في الولاية الإسلامية كشمير على الزراعة بنسبة (70%)، والباقي يتوزعون على الولايات الأخرى كالصناعات اليدوية، وتشمل صناعة الجواهر والفضيات والجلود والأجواخ، واما التجارة فيعمل بها القليل، ويعتمد اقتصاد الولاية اعتماداً كلياً على الزراعة بما فيها تربية دودة القز، واستغلال الثروة الخشبية وأهم مزروعاتها، الأرز والقمح والحنطة، وفي الولاية ثروة منجمية لا يستهان بها كالحديد والبوكسيت والنحاس والونك والفحم للمزيد انظر -

- محمد علي القوزي، مرجع سابق، ص61.

- مشهور حسن حمود، موسوعة العالم الإسلام – مرجع سابق- ص442-444. ، ص409.

- داوود الفاعوري، محاضرات في حاضر العالم الإسلامي – مرجع سابق، ص209.

(3) مشهور حسن حمود، مرجع سابق، ص260.

(4)حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج2، ص251.

وتمكن من إقناع أحد حكامها باعتناق الإسلام، فوافق، وغير اسمه باسم إسلامي "شمس الدين" فكان أول حاكم مسلم لكشمير، وبدأ به حكم أسرة (شاه قرزا) التي حكمت كشمير بعدل الإسلام، وبقي الأمر كذلك حتى ضم "جلال الدين أكبر شاه" عام 955هـ كشمير إلى دولة الإسلام أمثال الداعية "سيد علي الهمذاني" الذي قدم من فارس عام 729هـ/1388م، وجاء بمعيته عدد من الدعاة، يزيدون على (700) داعية، وعملوا على تثبيت الإسلام في نفوس المسلمين، وأصبحت كشمير جزءاً من الدولة الإسلامية الهندية منذ عام 740هـ/1399م، بالإضافة إلى ذلك أصبحت مركز إشعاع إسلامي، انتشر فيها الإسلام إلى المناطق المجاورة.

3- كشمير والتاريخ:

عندما ضعفت دولة الهند الإسلامية دخلت كشمير تحت حكم أمراء الهندوس طيلة قرون عديدة، وفي عام(1739)م ألحقت كشمير بمملكة أفغانستان، ثم ألحقها(غولاب سينغ) - موظف هندي سابق - بالمناطق التي تسيطر عليها بريطانيا، فأطلق عليه البريطانيون لقب(مهراجا)، وأبقوه أميراً على كشمير مقابل(75) مليون روبية هندية ثمناً لولايته،يدفعها للحاكم البريطاني ولمدة مئه عام[1] . كما واعترف بالسيادة البريطانية علية كشرط آخر للولاية، عندها بدأت مأساة كشمير تأخذ مكانها على مجريات التاريخ

(1) داوود علي الفاعوري، مرجع سابق، ص208.

وأخذت أحوالها تسوء بسبب سياسة غولاب وأتباعه، وعندما انسحب البريطانيون من شبه الجزيرة الهندية عام 1947م انضمت كشمير إلى الهند، في حين كانت باكستان تطالب بضمها إليها، على اعتبار أغلبية سكانها من المسلمين، مما جعل كشمير بؤرة صراع بين الهند وباكستان حيث اشتبك جيشاهما،واستمر الوضع متأزماً طيلة عام 1948م وحتى الهدنة التي فرضتها الأمم المتحدة في (1) كانون الثاني 1949م وبموجب وقف إطلاق النار، سيطرت الهند على الجزء الأكبر من كشمير بما فيها منطقة (فال) في حين سيطرت الباكستان على الجزء الشمالي - الغربي فيها[1]، ثم بعد ذلك احتلت الصين جزءاً من مناطقها الشرقية - الشمالية.

على الرغم من هذه الهدنة إلا أن القتال تجدد عام 1965 وعـام 1975م عـلى طول خط وقف إطلاق النار، ثم وقع البلدان اتفاقاً جديداً يحدد وقف إطـلاق النـار، ويفتح الباب للمفاوضات بينهما من جديد.

ولمناطق كشمير الملحقة، سواء بباكستان أو بالهند، حكوماتها المحلية[2]، فعلى رأس مناطق "أزاد كشمير" الجزء الباكستاني رئيس ومجلس للوزراء، يتخذ من مدينة "موزافاراد" مركزاً له، وأما ولاية "جاموكشمير" الجزء الهندي، فيحكمها مجلس للوزراء وبرلمان من مجلسين.

---

(1) ثم عقد الهدنة بإشراف الأمم المتحدة المعروفة باسم "لجنـة الأمـم المتحـدة لهندوسـتان وباكسـتان"، وجـاء في قـرار إعلان الهدنة: وقف القتال وتعيين خط له، وتجريد الولاية من السلاح، وإجراء استفتاء حـر محايـد تحـت إشراف الأمم المتحدة، لتقرير مصيرها - كشمير - وانضمامها إما للهند أو للباكستان - انظر - إحسان حقي، مأساة كشمير المسلمة - الرياض: الدار السعودية 1397هـ/ص124.

(2) تصـل مسـاحة كشـمير التابعـة للهنـد (60%) مـن مسـاحة الولايـة و (40%) يتبـع لباكسـتان كـما ذكرنـا، وكشـمير الباكستانية عاصمتها مظفر أباد، وتقع في الشمال الغربي في كشمير، وأصبحت تمثل مسـلمي كشـمير، لهـا جيشـها وحكومتها المحلية ما عدا أربع وزارات، تتبع لحكومة لباكستان إدارياً، هي: الخارجية والدفاع والمالية والمواصلات - انظر - جميل عبد الله المصري، مرجع سابق، ص415.

4- المسلمون والمأساة:

شهد مسلمو كشمير مأساة كبيرة، ففي الولاية تم تعطيل المؤسسات العلمية الإسلامية، فانتشر الجهل الديني، وتم الاستيلاء على أحسن أراضي المسلمين، وفرضت الضرائب التعسفية والقوانين الجائرة، وأصبحت المعاملة الوحشية سمات الحكم الهندي في الولاية؛ وتجلت مظاهر مأساة المسلمين بولاية كشمير بما يلي:

أ- غرس المستعمر - بعد أن اقتنع أنه من الصعب تنصير المسلمين - العداوة في نفوس الهندوس ضد المسلمين، وقام بدعمهم وجاؤوا بالإرساليات التنصيرية، وسيطرت هذه الإرساليات على التعليم الحكومي، وامتنع المسلمون من التعليم على يد النصارى الذين كشروا عن أنيابهم، وأعلنوا عن سياستهم الرامية إلى تنصير الطلاب، واستطاعوا كسب الهندوس إلى جانبهم، فدفع المبشرون الهندوس في مواجهة المسلمين، وغذوا أسباب الحقد حتى خلقوا حالة عدائية بين الطرفين، تحتاج إلى سنين لهدم الفجوة بين سكان المنطقة الواحدة. وإزاء حالة الفقر بين المسلمين، انخرط عدد من أبنائهم في الجيش كجنود، فأذاقهم الهندوس والإنجليز شتى ألوان التعسف والجحود والحرمان والذل[1].

ب- أخذ حكام أسرة (روجرا) الهندوكية، ونخص حكم (غولاب سنغ) الهندوكي، تكريس سياسة التعسف ضد المسلمين، تمثلت بفرض الضرائب الباهظة، والضرائب الخاصة على المسلمين كضريبة الأضحية التي يذبحها المسلمون في عيد أضحاهم، والسماح لغير المسلمين بحمل السلاح بدون ترخيص وعدم السماح للمسلمين بمثل ذلك، ومنع ذبح البقر في كشمير، وأصدرت قوانين، تفيد إذا ارتد الهندوسي عن دينه، فقد كل حقوقه في الميراث، في حين إذا ارتد المسلم عن دينه، تترك له كل أملاكه، وكانت نسبة غير المسلمين في الوظائف تصل إلى (80%)

(1) مصطفى البغا، حاضر العالم الإسلامي، ص87-88.

من نسبة الوظائف، وأما الجيش فكان (85%) من غير المسلمين، وكان اسم المسلم مرادفاً لاسم السقا والحطاب، ويُعهد إليه بالأعمال الحقيرة فقط، في حين كان الهندوكي محترماً في أنظار المجتمع، ذاك هو المسلم، وهذا هو الهندوكي في ولاية، تزيد نسبة المسلمين فيها عن 90% من نسبة السكان الأصليين.

جـ- افتعال الأسباب التي أدت إلى قيام مذابح رهيبة ضد المسلمين تمثلت في[1]:

1- مذبحة التقسيم، ففي (8) رمضان عام 1366هـ (15) آب 1947 قامت دولتان في شبه القارة الهندية هما: الهند، وأكثريته من البراهميين، والباكستان وأكثريتهم من المسلمين - والأخيرة عبارة عن جزأين: باكستان الشرقية، وباكستان الغربية، عرفت الأولى بعد الانفصال عام 1390هـ باسم دولة بنجلادش، والمسافة بين الجزأين مسافة (1500)م.

وفي يوم التقسيم قتل الهندوس أكثر من مليون مسلم؛ بسبب محاولتهم الانتقال من أراضي الهند إلى أراضي الباكستان[2]، وعلى الرغم من هذا تمكن أكثر من تسعة ملايين مسلم من الانتقال[3].

2- مذبحة مدينة سرينكر في 13 تموز، عام 1931 فقد سقط فيها آلاف المسلمين بين قتيل وجريح، من جراء اعتداء الهندوس الغاشم عليهم، وبمساعدة الإنجليز[4].

3- مذبحة منطقة بونج عام 1947، وقد تم إبادة (237.000) مسلم على يد جند الهنادكة والسيخ، وفَرَّ أكثر من مليون مسلم إلى باكستان وعلى إثرها دخلت القوات النظامية الباكستانية حدود كشمير، وتوقف القتال بين الهند وباكستان في

---

(1) جميل عبد الله المصري، مرجع سابق، ص410-415.

(2) محمود شاكر، التاريخ لمعاصر للأقليات المسلمة، مرجع سابق، ص36.

(3) مصطفى البغا، مرجع سابق، ص91.

(4)إحسان حقي، مرجع سابق، ص 32.

الأول من كانون الثاني 1949، وعينت خطوط وقف إطلاق النار في (27) تموز في العام نفسه، وكانت القوات الهندية تقتل من يبدي أية معارضة من مسلمي كشمير.

د- مذبحة عزل كشمير: شنت القوات الهندية حرب إبادة في كشمير، وباغتت القوات الباكستانية بهجوم سريع عام 1965 لتعزل كشمير، كما أعلنت القوات على وضع حد للاعتقالات بين صفوفهم، فأكثروا القتل بين الأهالي، وألقوا جثتهم في نهر (جيلم) لكي لا يعرف عدد القتلى.

4- مذبحة أحمد آبادي عام 1970، والتي نظمها حزب جان سنغ حيث ذهب ضحيتها باعتراف أنديرا غاندي (15) ألف مسلم، وحرق (300) امرأة مسلمة بالنار وهن أحياء، وفي مذبحة (آسام الشهيرة) بلغ عدد قتلى المسلمين (50) ألف نسمة على أيدي الهنادكة، من أعضاء الحكومة المركزية، وكلما كانت مذبحة للمسلمين في الهند، كان للمسلمين في كشمير نصيب كبقية إخوانهم في المقاطعات الهندية الكبيرة، ونذكر من هذه المذابح مذبحة ولاية بيهار، وبعلم السلطات الحاكمة في مدينة جمشيدبور عام 1399هـ / 1978م، ومذبحة ميروت ومليانه، ولا زالت الحكومة المركزية الهندية تعمل على مضايقة المسلمين وقتلهم، واتباع سياسة تعسفية قي حقهم ومصادرة حقوقهم على اختلافها.

5- المقاومة و التنظيمات:

إزاء المظالم الكثيرة والسياسات الهندوكية تجاه المسلمين، قامت عدة تنظيمات لمقاومة مظالم وسياسات الهندوك، وأهم هذه التنظيمات[1]:

أ- المؤتمر الإسلامي لعموم جمو وكشمير بزعامة الشيخ محمد عبد الله الملقب بأسد كشمير، وتشودري غلام عباس، وعقد دورته الأولى عام

---

(1) جميل عبد الله المصري، مرجع سابق، ص410-485، انظر أيضاً - داوود علي الفاعوري، مرجع سابق، ص208، أنظر أيضاً: محمد عوض الهزايمة، مرجع سابق، ص360-361.

1938م، وبرزت مطالب المسلمين في هذه الدورة، بإيجاد هيئة تشريعية شعبية لهم، لتنظر في مصالحهم، ووافق (المهراجا) الحاكم على ذلك.

ب- حزب المؤتمر الوطني، وقد قام هذا الحزب عام 1939 وانضم إليه الشيخ محمد عبد الله الذي انفصل عن المؤتمر الإسلامي، وكان شعار هذا الحزب خدمة مصالح الشعب وبالتالي خدمة المسلمين.

جـ – حركة "انزحوا عن كشمير" وقام بها الشيخ محمد عبد الله عام 1946 وكانت هذه الحركة محاولة من الشيخ لإعادة كسب ثقة المسلمين، بعد أن فقدها عندما قبل العمل مع (المهراجا) الحاكم وجاءت هذه الحركة على غرار حركة حزب المؤتمر الهندي ضد بريطانيا (انزحوا عن الهند).

د- اللجنة الثورية عام 1965 وقد أعلنت بطلان جميع الاتفاقات التي عقدتها حكومة الهند مع حكومة كشمير العميلة، وأعلنت الحرب على الهند لتحرير كشمير، مما أدى إلى قيام الهند بحرب إبادة في الولايات.

إن المسلمين يعانون من مشقة في حياتهم من الهنادكة الذين يسيطرون على قسم كبير من كشمير، فلا تكاد تمر سنة دون أن تصيبهم نكبة، أو تحل بهم نازلة، فهم مجبرون للدفاع عن عقيدتهم ولحماية أنفسهم، ولعل حقد الهنادكة على المسلمين يعود إلى تحريم لحم البقر عندهم وعبادته، والمسلمون يأكلون لحمه، ويحرثون عليه، ولا يبدون له التقديس الذي يريده الهنادكة، الامر الذي تكاد تكون المذابح بين الطرفين في أي وقت أمراً طبيعياً لا مفر منه. أضف إلى ذلك نجاح الإنجليز في وضع شعلة عداوة لا تنطفئ موضع التنفيذ بين الهندوكي والمسلم.

وعلى الرغم مما يحل بالمسلمين في كشمير الهندية من نكبات، وما يجري عليهم من حرب، فإن عددهم يساعدهم للوقوف في وجه التيارات المعادية وإجراءات الحكومة المركزية. إن قضية كشمير لا تقل أهمية عن القضايا الإسلامية

الأخرى، فهي لا زالت على أجندة القضايا الإسلامية تنتظر الحل.

الفصل الخامس

القضايا العرقية

الفصل الخامس

القضايا العرقية

هناك مسائل ذات أهمية خاصة يجب معاملتها المعاملة التي تستحقها وبنفس الأهمية التي تشكلها، وإلا فهي ستنفجر في الوقت الذي يدبر لها أن تنفجر فيه، فالمسلمون بلا شك يتشعبون إلى عدة أجناس لكن القاسم المشترك بينهم جميعاً هو الإسلام الذي يطغى على المسلمين على اختلاف أشكالهم وألوانهم وأمصارهم، والذي يعتبر في المقام الأول عند كل واحد منهم قبل مكان إقامته أو لونه أو طبقته الاجتماعية، فإذا كانت المسألة الكردية قد أرقت المسلمين في إيران وتركيا والعراق وسوريا ولبنان، فإن المسألة الأمازيغية مرشحة هي الأخرى لتؤرق منطقة المغرب العربي برمته، وإذا انفجرت، فإنها ستكون أكثر شدة من المسألة الكردية، لكون المنطقة التي يعيش بها الأمازيغ قريبة من الغرب الذي وجد في اللعب بأوراق الأقليات والأجناس خير وسيلة لتحقيق أهدافه، إضافة إلى أن الخروج غير المشرف الذي خرجت به فرنسا من الجزائر أصاب الكبرياء الفرنسية، فهي والحالة هذه خرجت وتلتفت إلى الوراء، فما من سبيل إلا استخدام الأمازيغ كمطية للعودة ثانية إلى الربوع الجزائرية.

لذا فعلى ذوي الشأن وأصحاب القرار قطع الطريق على كل المتعرضين، حتى لا يستثمروا الامازيغية لتحقيق أهدافهم، وبالمقابل هدم الحائط المغربي الذي بنى بدماء الشهداء الذين مضوا من أجل الحرية ونيل الاستقلال.

وفي هذا التوجه ونحن نبحث القضية، فإننا سنتناولها وفق الفقرتين التاليتين هما:

أولاً: القضية الكردية

تعتبر القضية الكردية من أكبر القضايا وأسخنها في منطقة الشرق، وتعد من أهم القضايا ذات الصيغة القومية، وإحدى القوميات الإسلامية المعترف بها تاريخياً، والتي جسد صلاح الدين الأيوبي قمة الهرم فيها عندما وحد المسلمين لخوض معركة حطين الفاصلة ضد الصليبين، واستعاد القدس منهم بعد غياب قرن من الزمان على وجه التقريب، ولما كانت أنظار الاستعمار تتجه دائماً إلى منطقة الشرق على اعتبارها المنطقة الأوفر حظاً من ناحية المواد الأولية اللازمة لعجلة صناعته، والمركزية من الناحية العقائدية لوجود الأماكن ذات العلاقة المرتبطة بالدين لمعظم إن لم يكن لكل أديان البشرية على وجه المعورة، فقد استخدم الاستعمار قديماً ولا يزال حديثاً ورقة الأقليات لتحقيق أهدافه، ومن بين هذه الأوراق ورقة الأقلية الكردية، فقد استثمرها خير استثمار لصالحة مستغلاً بذلك الاختلاف القومي الكردي بين ثلاث قوميات في المنطقة هي: القومية الفارسية والعربية والتركية، فيعمل على إشعال نار الفتن باستمرار، ضد استقرار المنطقة وتقدمها، كما يعمل على اعتبارها ورقة تهديد يهدد بها هذه الدولة أو تلك التي لا تستجيب لرغباته، فيما هو كذلك لا يعمل على تحقيق أي نوع من الاستقلال أو الاعتبار للقومية الكردية، أسهم في توظيف هذه الورقة المساهمة الأمثل للغرب في تحقيق أهدافه، هو فشل الدول ذات العلاقة بالمسألة الكردية في إيجاد حل دائم ومقبول للمسألة مما سهل للغرب الاستعماري، والدول الطامعة في خيرات المنطقة اختراق كل الدول المعنية بالمسألة الكردية، وفي هذا التوجه ونحن نبحث القضية الكردية فإننا سنتناولها وفق الفقرات التالية:

1- الأكراد الهوية والجغرافيا:

الأكراد قبائل سكنت المناطق الجبلية منذ أربع آلاف سنة، ويعتقد أنهم ينتمون إلى الجنس الآري(1)، في حين قال البعض أنهم ينحدرون من العنصر الهندي الأوروبي، وأنهم أقرب إلى العنصر الفارسي منه إلى العنصر التركي والعربي(2)، أما بالنسبة للغتهم الكردية التي تدعى "الكيرمانجي" فهي مزيج من اللهجات الهندو أوروبية القريبة إلى اللغة الفارسية(3)، وأما الديانة الكردية فهم يدينون بالإسلام، وينتمي معظمهم إلى المذهب السني، إلا أنه توجد فيهم أقلية شيعية في شمال العراق على الحدود التركية، ومكان وجودهم يطلق عليه اسم "كردستان"(4) لوصف الأقليم الذي أقاموا فيه، ويعتقد بان السجلوقيين هم أول من أطلقوا الاسم هذا على إقليمهم(5)، ومما لا شك فيه فإن للأكراد لغتهم المكتوبة وثقافتهم الخاصة بهم منذ فجر الإسلام في القرن السابع بعد ميلاد، والمسيح عليه الصلاة والسلام(6)، وأما مهنتهم العامة فيعمل الأكراد إجمالاً في الزراعة والرعي بسبب طبيعة مكان سكانهم، ووفرة الأنهار في مناطقهم(7) .

وأما التوزيع الجغرافي للأكراد فهم يتوزعون في أكثر من قطر، فقد ذكر البعض أنهم يتراوحون ما بين (7-20) مليون كردياً، منهم (2-3) ملايين في العراق، و (4-6) مليون كردي في إيران، وأما في تركيا فقدروا بـ (10) ملايين كردياً(8)، وفي إحصائية أخرى قدر عددهم بـ (20) مليون يتوزعون

---

(1)Edgar O. Balance, The Kurdish Revolt - Faber & faker Ltd, London: 1975, P. (15).

(2) غالب الحمود، الأرض العربية والأخطار - عمان: مؤسسة الخدمات العربية، 1987، ص87.

(3)Peter Mansfield "The Middle East - London: Oxford VP, London, 5th ed., 1980, P. 54.

(4) Sheikh Wadeed, The kurds and their country, Lahore university book,, 1958m P(4).

(5) غالب الحمود، مرجع سابق، ص87.

(6) تقرير وكالة الأبناء الفرنسية، الكفاح الطويل للأكراد في العراق تاريخ 1988/9/7.

(7) المرجع السابق؛ نفس الموضع .

(8) المرجع السابق، نفس الموضع.

على النحو التالي: في تركيا (10) ملايين وفي سوريا يتراوح عددهم بين (300-800) ألف، وفي إيـران (5) ملايـين وفي العراق (3) ملايين، ويقدرون بـ (300) ألف كردي في الاتحاد السوفياتي[1]، إلا أن هذه الأعداد تبقى تقديرية.

2-الأكراد وتركيا:

لقد استهلت تركيا العلمانية بقيادة مصطفى كمال أتاتورك مشوارها السياسي بتهميش حقوق الأقليات، فجاء الدستور التركي خالياً من أي ذكر لحقوق أو امتيازات الأقليات غير التركية، وفي الجانب الكردي وتمشياً مع مقتضيات الدستور أطلق على الأكراد تسمية جديدة حيث عرفوا بـ: "الأتراك الجبليين الذين نسوا لغتهم التركية)[2]، ولإخضاع الأكراد بهذه التسمية، والتي تتطلب نسيان الأكراد أصلهم الحقيقي فقد لجأت السلطات التركية إلى سياسة العصا الغليظـة لصهرهم وتذويبهم في الدولـة التركية العلمانية الجديدة، وكان أبرز مظاهر هذه السياسة، إعدام القادة الأكراد الذين رفضوا هذه السياسة، والتهجير للعشائر والعائلات الكرديـة من شرق تركيـا إلى المناطق الغربيـة، وإصدار القوانين التي تمنع التحدث باللغة الكرديـة أو استخدام مفرداتها، ومنع الزي الكردي وحتى عزف الموسيقى الكردية في احتفالاتهم، إن هذه السياسية أطفأت نار المشكلة الكردية ما بين الفترة الممتدة من بدايـة العقد الرابع وحتى منتصف العقد السابع من القرن الماضي، ثم عادت المشكلة للظهــور مرة أخرى، وبصورة مختلفة هذه المرة، وثبوت أكثر تنظيماً حين لجأ الأكراد إلى تشكيل الأحزاب السياسية الكردية، وفي مقدمـة هـذه الأحزاب والذي بات أكثرها أهمية هو (حزب العمال الكردستاني)

---

(1) إلياس حوفوش، الاكراديين الحرب والسلام، مجلة المجلة، العدد (449)ن 1988-ص22.

(2) سعد ناجي جواء وآخرون، الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليات في العالم الثالث، بغداد: مركز دراسات العالم الثالث، 1989، ص109.

المعـروف بـ (ب ك ك)[1]، وهو تيار أيديولوجي متأثر باللون الماركسي، وفي عام 1978 أعلن الحزب برنامجه المتضمن تحقيق ما أطلق عليه: (مرحلة الثورة الديمقراطية الوطنية والقومية[2]، ثم اعتماد الأفكار الماركسية سبيلاً لتحقيق الثورة والأهداف المتعلقة بها[3]. ازداد نشاط الحزب بين الأعوام (1980-1984)، مما دعا تركيا إلى وضع المنطقة الكردية تحت الأحكام العرفية العسكرية، الأمر الذي دعا الحزب إلى إعلان هدفه الأساسي وهو انفصال كردستان التركية عن تركيا، وتأسيس دولة كردية وذلك عن طريق اللجوء إلى العنف المسلح، إلا أن الحزب أبدى استعداده للتفاوض مع السلطة المركزية حول حلول وسط تضمن الحقوق الكردية، إلا أن تركيا لجأت إلى كبح جماع الأكراد بالقوة المسلحة والتي بلغت ذروتها في منتصف عقد الثمانينات، إلا أنها عجزت عن إنهاء المشكلة بدليل اتهامها لدول الجوار بدعم الحركة الكردية، اضطرت تركيا إلى التخفيف من إجراءاتها تجاه الأكراد، فأصدرت عام 1987 مشروعها المعروف بـ (مشروع أوزال)، والذي أعطت بموجبه صلاحيات واسعة لسكان المناطق الكردية، وبموجب هذا المشروع تم تشكيل ما سمي بحراس القرى أو المدن من الأكراد الموالين للحكومة التركية، لكي يواجهوا هجمات حزب العمال (بـ ك ك)، ومد أسلاك شائكة على طول الحدود وتعزيزها بنظام إنذار مبكر، ثم أصبحت هذه القوة والإجراءات عبئاً مالياً وعسكرياً على القوات التركية فيما بعد[4].

مما حدى بالرئيس التركي أوزال عام 1991 إلى إبداء مرونة غير متوقعة تجاه القضية الكرديـة، فعمل على إلغاء بعض القوانين المانعة للأكراد من

---

(1) عبد الفتاح علي يحيى، حزب العمال الكردستاني - الموصل، مركز الدراسات التركية، 1994 -ص5 وما بعدها.

(2) مركز دراسات الشرق الأوسط، مستقبل القضية الكردية - عمان: المركز، 2000، ص24.

(3) المرجع السابق، ص24.

(4) المرجع السابق، ص27.

ممارسة النشاط السياسي والثقافي، وإطلاق عدداً من سجنائهـم السياسيين، وأيد فكرة إنشاء دولة فدرالية في العراق يكون للأكراد دور خاص بها[1]، ولكن وفاة اوزال أدت إلى دفن هذه الرؤيا، وعاد خليفته ديمريل إلى استخدام القوة في وجه الأكراد ثانية وبصورة أكثف مما سبق استخدامها، وتوغل الجيش التركي عام 1997 في داخل الأراضي العراقية، إلا أن استخدامه للقوة لم يثنى الأكراد عن نسيان أهدافهم، وحمل ثورتهم التي تزعمها (عبد الله أوجلان) الكردي الذي يجهل التحدث باللغة الكردية نتيجة للسياسة التتريك التي اتبعتها تركيا في المدارس والمعاهد، إلا أن تركيا أخذت تلاحق زعماء الثورة ظناً منها إخمادها بالقبض عليهم أو قتلهم، فتمكنت في (15 شباط عام 1999م من القبض على أوجلان) في العاصمة الكينية (نيروبي) وقدمته للمحاكمة وحاكمته بتهمة الخيانة العظمى والانفصال وكان قد غادر الأراضي السورية عام 1998م بعد تزايد التوتر بين سوريا وتركيا، وقضت عليه بالإعدام - إلا أنه لم يعدم لغاية الآن - وقد استثمرت تركيا اوجلان بجعله يصدر نداءات وتصريحات لإيقاف القتال والانصياع للحكومة التركية، مما كان لها الأثر السيئ على العمل السياسي والحزبي الكردي تمثلت في قرار حزب العمل الكردستاني الانسحاب في عام 1999 من تركيا ووقف المعارك، وقد عملت تركيا بعدها على القيام بهجمات عسكرية كبيرة لملاحقة ما تبقى من مقاتلي حزب العمال الكردستاني، وأعضائه في شمال العراق (المنطقة التي ادعت الولايات المتحدة وبريطانيا بأنها آمنة للأكراد)، وتناست تركيا التفكير بأي حل دائم للمشكلة الكردية.

3- الأكراد وإيران:

مما لاشك فيه أن الشعب الكردي يعتبر واحداً من الشعوب الإيرانيـة العريقة، ويسكن في الجزء الشمالي الغربي من إيران والـذي يدعى باسم

---

(1) المرجع السابق، ص28.

(كردستان الشرقية)، وهو مجتمع يحترف الزراعة لكسب قوت الحيــاة، ظهرت بوادر الحركة الكردية في إيران بعد الحرب العالمية الأولى، وأول ما ظهــرت على شكـل جمعيات كردية، أسهمت هذه الجمعيات بدورها إلى إبراز قائد عشائري كردي اسمه (إسماعيل أغا سيمكو)، والذي قـام بأول ثورة ضد السلطة المركزية في إيران عام 1920م من أجل استقلال الأكراد، إلا أن ثورته قد خمدت بعد اغتياله عام 1930م، كما أخمدت ثورة الأكراد التي اندلعت عام 1931، والتي كانت بالأساس ضد عملية اغتيال (أغا سيمكو).

تعتبر الحرب العالمية الثانية نقطة تحول في تاريخ الحركة القومية الكردية، وخاصة بعد اقتسام إيران ما بين بريطانيا والسوفيات، وبما أن منطقة الأكراد كانت من نصيب السوفيات، فقد عمدوا إلى تشجيع الروح القومية الكردية، وتبني أول تجمع قومي ثقافي كردي عام 1942وهو المعروف بحزب سياسي أطلق عليه اسم الحزب الديمقراطي الكردستاني، واستقطبت إليه الشخصيات المعروفة كالقاضي محمد قاضي وعين (مهاباد) الذي اقنع بالاشتراك في الحزب ومن ثم قبل ترؤسه[1]، والذي أعلن بدوره عام 1946 قيام جمهورية (مهاباد) الكردية في كردستان بدعم معنوي ومادي وعسكري سوفياتي، إلا أن الاتفاق الإيراني الذي تم بموجبه تزويد السوفيات بالنفط والغاز أدى إلى انسحاب القوات السوفياتية من شمال إيران، ترك الجمهورية الكردية المعلنة تلقي مصيرها المحتوم على يد الجيش الإيراني وإعدام قادتها[2].

بعد قيــام ثورة 14 تموز عام 1958م في العراق وتضمـين الدستور العراقي مواد تكفل الوجود الكردي وتحترمه، ألقت هذه التوجهات بظلالها على أكراد إيـران، فأثــاروا بدورهم المصاعب للشاه، فلكي تيفــادي تأثـير العراقيين على الأكراد، سارع إلى تشغيل إذاعة كردية في إيران، وأوت

---

(1) المرجع السابق، ص28.

(2) المرجع السابق، ص29.

الأكراد العراقيين الذين لجأوا إلى إيـران، وشهدت الفترة ما بين (1958-1959) بعض التسامح الإيراني، مع بعض القضايـا الكردية الثقافية، وصلت إلى إصدار جريدة كردية باسم كردستان. واستعادة الحزب الديمقـراطي الكردستاني نشاطه في إيران، إلا أن كل هذه الأساليب لم تمنح الحركـة القومية الكردية في إيران التطور المأمول ولو ببطء، فقد كان لتأثير الحركة الكردية في العراق أثرها الواضح على الأكراد الإيرانيين.

وبعد نجاح الثورة الإيرانية التي تزعمها الخميني، تصور الأكراد بأن دورهم في الثورة سيكون له تأثير إيجابي إزاء المطالب الكردية من قبل الحكام الجدد، إلا أن ذلك لم يحصل، بل طلب من الأكراد الانضمام إلى المد الشعبي الإسلامي، ونسيان مطالبهم القومية، فقام الأكراد التابعين للحزب الديمقراطي الكردستاني باحتلال مواقع حكومية كثيرة ومخافر للشرطة، مما أجبر السلطات الإيرانية إلى التفكير الجدي بمشكلتهم وخصوصاً بعد ظهور تنظيمات لها دورها في منطقة الأكراد وأهمها: الحزب الديمقراطي الكردستاني التقليدي، والكوملة وهو تنظيم يساري ماركسي له انتشار بين الشباب الكردي في إيران[1] وقد تبنى طرح شعار (الحكم الذاتي لكردستان إيران)، إلا أنهما سرعان ما اختلفا حتى وصل الأمر إلى حد الاقتتال بينهما، مما سهل مهمة القوات الإيرانية في شن هجمات ناجحة ضد الأكراد، وأسهمت ظروف الحرب العراقية الإيرانية لتصفية الساحة من كل أشكال المعارضة، ليظل الحل الوحيد أمام الأكراد نسيان المطالب القومية، والقبول بمبدأ الأخوة الإسلامية، وهذا ما نص عليه الدستور الذي صدر في نهاية عام 1979، وربما كان يمكن للأكراد المتمسكين بالدين الإسلامي الحنيف من القبول بهذه الصيغة، لو أن الدستور لم يفضل مذهباً واحداً من المذاهب الإسلامية على المذاهب الأخرى[2].

---

(1) سعد ناجي جواد، دراسات في المسألة القومية الكردية، ص36-37.

(2) مركز دراسات الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص47.

لقد أسفرت نهاية الحرب العراقية - الإيرانية عن مرحلة جديـدة من العلاقة بين الأكراد والسلطة المركزية الإيرانية، حيث تمكنت الأخيـرة من تصفية المعارضة التي شملت القيادات الكردية الكثيرة، مثل الأمين العـام للحزب الديمقراطي الكردستاني (عبد الرحمن قاسملو)، مما أدى ذلك إلـى تحجيم القدرات الكردية، وجعلها تتقوقع في مناطق جبلية نائية، ولجوء بعض القادة إلى المناطق الجبلية الوعرة أو الدول المجاورة بعيدة عن الشعب الكردي في إيران.

4- الأكراد والعراق:

عاش الأكراد في العراق في ظل ثورات متتالية، كبقية أخوانهم في إيران وتركيا، إلا أن ما يميز توارث الأكراد في العراق التواصل واستغلال الدول الاستعمارية ورقة الأقلية الكردية في العراق أكثر من أي ورقة أخرى، وربما تعود الأسباب لغنى المنطقة العراقية التي يعيش فوقها الأكراد، والأطماع التركية في أجزاء من الأراضي العراقية كالموصل الغنية بالنفط. وأبرز الحركات الكردية الثوريـة في العراق الحركة البرازانية والتي نشأت في عائلة "بارازان"، وتنتمي إلى قبائل كردية قطنت (قرية بازران) في أقصى الحدود الشمالية للعراق، وتتبع هذه العائلة الطريقة النقشبندية، الأمر الذي أدى إلى التفاف الناس حولها وخاصة المتدينين، كما التف الأكراد المتدينون حول الشيخ "أحمد البازاراني - الأخ الأكبر للملا مصطفى البارزاني الذي كانت له طريقته هو الآخر، والتي تعتبر امتداداً للطريقة النقشبندية، وقد استخدم البارازنيون هؤلاء الاتباع لأغراض سياسية، وأصبح الشيخ أحمد البازراني مصـدر إزعاج للحكومة العراقية آنـذاك، لكن العراقيين بالتعاون مع بريطانيا وجهوا حملة عسكرية إلى قريته (بارزان) عام

1927[1]، وثم فرض الإقامة الجبرية على الشيخ أحمد وعائلته وأعوانه في مدينة السليمانية، إلا أن أخاه الملا مصطفى البارزاني تمكن من الهرب إلى بارزان عام1943 من السليمانية، وبدأ حركة العصيان من جديد، لكن السلطات العراقية نجحت في إخماد حركتهم، ففر عندها الملا مصطفى واتباعه إلى منطقة (اذربيجان) الإيرانية، حيث ظلوا هناك سنة ونصف تحت حماية حكومة (الكوملة) التي أقامها الروس برعايتهم عام 1944، والتجأ بعدها الملا مصطفى وبعض أعوانه إلى الاتحاد السوفياتي عام 1947، حيث عاش هناك برتبة جنرال في الجيش السوفياتي ولمدة إحدى عشر عاماً، لكنه عاد للعراق بعد قلب نظام الحكم الملكي عام 1958 حيث استقبل استقبال الفاتحين[2]، واستطاع مع جلال الطالباني تأسيس (الحزب الديمقراطي الكردستاني)، إلا أن الوفاق بين الأكراد والحكومة العراقية ما لبث إلا أن تأزم، وبدأت سلسلة من المعارك قادها الملا مصطفى البارزاني ضد الحكومة العراقية وحتى عام 1968، عندما تولى حزب الشعب الحكم في العراق)[3]، عندها انشق الطالباني على الملا. وفي عام 1970 التقى نائب الرئيس صدام حسين بمصطفى البازارني، ونتج عن هذا اللقاء (مشروع الحكم الذاتي للأكراد)، ويقضي بجعل اللغة الكردية لغة رسمية مع العربية في المناطق التي تسكنها الأغلبية الكردية، وتدريسها في تلك المناطق، ومشاركة الأكراد في الحكم من خلال مناصب هامة في الجيش والدولة، وتحسين أحوال المنطقة الكردية والحفاظ على حقوقهم، وإصدار عفو عام عن المساهمين في أعمال الشغب والعنف، والعمل في ظل وطن واحد وتحت مظلة الدستور والسلطات التشريعية، ويتحالف الحزب الديمقراطي

---

(1) أبو شوقي، لمحات من تاريخ الانتفاضات والثورات الكردية - بيروت. دار الكاتب، 1978، ص109-123.

(2) حسن مصطفى، البارزانيون - بغداد: د. ن، 1983، ص173-184.

(3) Derk Kinnane, The Kurds and Kurdistan - London: oxford, 1970- P(60-75)

الكردستاني وحزب البعث في تحقيق تلك الأهداف، وعُدل الدستور المؤقت في تموز عام1970 ليتضمن الاعتراف بوجد قوميتين رئيسيتين العربية والكردية[1]، إلا أن الملا مصطفى البازراني لم يتحمس فيما بعد لتنفيذ ما تم الاتفاق عليه، واتجه ليتحالف مع إيران والولايات المتحدة وإسرائيل، ليدير حرباً ضد الحكومة العراقية بحشد مقاتلين بلغ تعدادهم (50) ألف مقاتل كردي، وظل القتال مستمراً حتى عام 1975 العام الذي وقعت اتفاقية الجزائر بين العراق وإيران، فانهارت ثورة الملا البرزاني، واستسلم 70% من البشمرجة، والتجأ (30) ألف منهم إلي إيران، والتجأ الملا بعدها إلى الولايات المتحدة طالباً دعمها ومات هناك[2]، وما إن انتهى دور الملا الأب حتى جاء دور أبنائه ومنافسهم جلال الطالباني الذين ابتدأوا حركات مسلحة انفصالية من جديد، واستدرجتهم إيران الخميني كما فعلت إيران الشاه بالملا مصطفى من قبل، وما أن انتهت الحرب حتى استدار الجيش العراقي للأكراد، ففر الطالباني وأبناء الملا مصطفى البرزاني واتباعهما إلى تركيا وإيران، إلا أن الحكومة العراقية أصدرت قرار عفو عام وشامل عن الأكراد العراقيين في العراق وخارجه، حتى يحرم وسائل الإعلام الغربية والمعادية من المادة الإعلامية التي تشهر بالعراق ونظام حكمه.

وبعد حرب 1991 ضد العراق، وبسبب الطبيعة الجغرافية للمنطقة الكردية الوعرة ارتأت السلطة المركزية في العراق إلى سحب القوات المسلحة والإدارة المدنية العراقية من تلك المنطقة، فاقتتل التنظيمان الكرديان الرئيسيان بزعامة جلال الطالباني ومسعود البازراني، وأوقعا خسائر فادحة فيما بينهما، وما إن قامت الولايات المتحدة وبريطانيا بالهجوم في آذار عام 2003 على العراق حتى تحالف الأكراد مع الدول المهاجمة، طمعاً في تحقيق الأهداف الكردية التي بدأت تلوح في

(1) مركز دراسات الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص54.

(2) المرجع السابق، ص55.

الأفق وكأنها حقيقة والمتمثلة وفي حدودها الدنيا بمشاركة فعالة على قدم المساواة مع الشيعة والسنة في حكم العراق ما بعد رحيل صدام حسين.

5- الأكراد وسوريا ولبنان:

أن أي دراسة للعنصر الكردي في سوريا لا يمكن أن تتم إلا عن طريق فهـم تطورات الأحداث في كردستان تركيا، كما أن أكراد سوريا بسبب قلة عددهـم كانوا يلعبون دور التابع للحركات الكردية الأقوى في الـدول المجاورة، ولما كانت سوريا تخضع للانتداب الفرنسي، فقد استثمر الفرنسيون الأقلية الكردية ومنحوها بعض الامتيازات لتشجيعها على الوقوف إلى جانب الإدارة الفرنسية، وموازنة ثقل الوطنيين السوريين الذين كانوا يطالبون بالاستقلال الكامل ويرفضون ربط سوريا بأية معاهدة، ولتخويف تركيا التي كانت تحارب النفوذ الفرنسي في المنطقة، وترفض تخطيط الحدود مع سوريا. خلال هذه الفترة كانت مطالب الأكراد تتمحور حول مسائل تتعلق بتحسين مستواهم الاجتماعي والثقافي ضمن الدولة السورية، وعندما تصاعد الصراع بين الحركة الوطنية السورية وسلطات الانتداب الفرنسي حاولت فرنسا إثارة الأكراد ضمن الخلافات العرقية والطائفية والقومية داخل سوريا[1].

بعد الحرب العالمية الثانية ونيل سوريا الاستقلال أصبح الأكراد وخاصة المتعلمين منهم، جزءاً من الأحزاب الوطنية السورية، وعملوا فيها بكل إخلاص ونشاط، وفي عقد الخمسينات أسس الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا[2]، وأهداف الحزب ظلت ثقافية واجتماعية أكثر منها سياسية، إلا أن الظروف تغيرت بين الحكومة السورية والأكراد، عندما قامت الحركة الكردية المسلحة في العراق، وقيام الانفصال عام 1961، فشهدت سوريا إجراءات حكومية كثيرة، كان القصد

---

(1) مركز دراسات الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص64.

(2) مرجع سابق، ص65.

منها الحد من النشاطات الكردية، فنتج عنها إضعاف الحزب الديمقراطي الكردي وسجن معظم أعضائه، ووصل الأمر إلى إرسال سوريا في نهاية عام 1963 قوة عسكرية كبيرة لمساعدة الجيش العراقي في حملاته ضد الملا مصطفى البارزاني[1].

إلا أن وجود قيادات كردية على رأس الأحزاب السورية المختلفـة، والمشتركة في الجبهة الوطنية التقدمية مع حزب البعث (مثل الحزب الشيوعي السوري)، ووصول عدد من النواب الأكراد إلى البرلمان السوري، والحريـة التي يتمتع بها الأكراد في سوريا، أنهى احتمال قيام مشكلة كردية في سوريا.

وأما في لبنان فقد تم تأسيس حزب ديمقراطي كردستاني آخر ويدعم من الملا مصطفى البارزاني وبقي تابعاً للحزب العراقي، إلا أنه أنشق عن الحزب العراقي في بداية السبعينات، الأمر الذي حدا بالملا مصطفى إلى سجن رئيسه أثناء زيارة له لكردستان العراق، وتمتع الحزب الكردي بالطابع الثقافي والاجتماعي أكثر من اتسامه بالطابع السياسي[2].

6- الأكراد والاتحاد السوفياتي (سابقاً):

لم تعرف الحركة الكردية التطور مثل ما حدث في الدول المجاورة، رغم أن السوفيات مكنوا الأكراد من إعلان جمهورية لهم في كردستان والمعروفة باسم جمهورية (مهاباد)، والدعم السوفياتي للأكراد ما كان إلا لخدمة السوفيات أنفسهم وبهدف تأمين الحدود الجنوبية للاتحاد السوفياتي، وطرد البريطانيين من المنطقة والسيطرة على مناطق البترول[3].

والأكراد اليوم يعيشون في جمهورية أرمينيا السوفياتية متمتعين ببرامج تعليمية

(1) سعد ناجي، مرجع سابق، ص19.

(2) مركز دراسات الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص27.

(3) Derk kinnane, Op, cit, P, (45).

ومشاريع اقتصادية متطورة أقامتها الحكومة الشيوعية في تلك المناطق، وقد اتبع الاتحاد السوفياتي سياسة حذرة طوال الحرب العراقية - الإيرانية، وعمل على أن تكون علاقاته طيبة بالدولتين المتحاربتين، وكثيراً في الجانب التركي ما اتهمت تركيا السوفيات بدعم الأكراد في تركيا، وأن صح الإدعاء التركي، فإن الهدف الذي يقف وراء ذلك الإطماع السوفياتية في الوصول إلى المياه الدافئة وآبار البترول، وتشكيل عامل مضايقة لها خاصة بعد انضمامها إلى حلف الأطلسي الغربي.

7- الأكراد والكيان الصهيوني:

أن اللعب بورقة الأقليات من قبل الكيان الصهيوني حقيقة وواقع، وله ما يسوغه لأن الكيان الصهيوني هو في حد ذاته أقلية هو الآخر رغم الدعم الغربي والتفوق الذي يتمتع به في المنطقة العربية، والورقة الكردية واحدة من تلك الأوراق، ففي عام 1965 دعمت الملا مصطفى البرزاني في قتاله ضد الجيش العراقي[1]، بحجة أنهم قدموا مساعدات لليهود في عهد آشور وبابل[2]، وتواصل الدعم أثناء حرب 1967 وحرب 1973 والمعروفة بحرب رمضان، من أجل شن الأكراد هجمات على الجيش العراقي الذي شارك بالحربين[3]، وكثيراً ما وصف المسؤولون اليهود الأكراد بأنهم شعب مضطهد ومهدد بالإبادة[4]، فإن مساعداتهم واجبة للتخلص من ظلم العرب واستبدادهم على حد قول زعماء اليهود، وقد استثمر اليهود بعض الوقائع العراقية الكردية استثماراً طيباً في مجال الإعلام، وذلك لكسب دعم دولي للأكراد ضد العراق الذي كانت تعتبره السلطات اليهودية العدو الأول في صراعها مع العرب.

وكانت الزيارات المتبادلة بين الوفود الكردية واليهودية في فلسطين علامة مميزة من علامات التعاون المثمر بين الطرفين، وإذا ما أردنا اختزال كل ما كتب ونشر وسرب من معلومات حول هذا التعاون ستظهر لنا الحقائق التالية[5]:

1- إن الدعم اليهودي لدولة الكيان الصهيوني مكن الأكراد من الصمود، وتفادي هزيمة محققة على يد الجيش العراقي ولأكثر من مرة.

---

(1) Settlement of the Kurdish Problem "Athwart publication, Baghlah, 1974. P. (56-66).

(2) غالب الحمود، مرجع سابق، ص91.

(3) المرجع السابق، ص92.

(4) صحيفة لوموند ديبلوماتيك العدد (1)، 1988، ص9.

(5) مركز دراسات الشرق الأوسط، مستقبل القضية الكردية، مرجع سابق، ص(78-80).

2- أن الانتصار الذي حققه الأكراد على الجيش العراقي في معركة (هندرين) عام 1966، كان حسب خطة وقيادة وإشراف يهودي.

3- إن دولة الكيان الصهيوني، هي التي كانت وراء الملا مصطفى البارزاني لتصعيد مواجهته مع الجيش العراقي لأشغاله أبان حرب 1967، 1973.

4- تدخل الكيان الصهيوني لأكثر من مرة، لحماية الملا مصطفى البارزاني، وتم تحريضه على عدم الوفاء بكل الالتزامات التي كان يقطعها على نفسه مع الجانب العراقي.

لقد كانت المساعدات الإسرائيلية تنساب للأكراد عن طريق إيران الشاه ومع انهيار حكمه، أغلق الباب أمام جهود المساعدات الإسرائيلية للأكراد، وبقي الأمر كذلك حتى تمكن اليهود من خلال الوجود الأمريكي، البريطاني - التركي بعد حرب 1991 من التغلغل ثانية وإقامة وجود لهم هناك. وإن الكيان الصهيوني سيبقى يلعب بالورقة الكردية كل ما يتاح له الوقت، لأن ذلك يعني لليهود:

1- المشاركة في هندسة واقع المنطقة بالطريقة التي ينتفع اليهود من هذا الواقع.

2- إضعاف الأمن القومي العربي، وبقدر إضعافه يزداد الكيان الصهيوني قوة.

3- الوصول إلى منابع النفط في المناطق التي يسيطر عليها الأكراد.

4- إظهار دولة الكيان الصهيوني بمظهر الدولة القوية التي لها شأن في المنطقة.

5- كسب حلفاء جدد لدولة الكيان الصهيوني.

8- الأكراد والدول الغربية: [1]

لـم يغب دور الدول الغربية المتمثلة ببريطانيا والولايات المتحـدة عن اللعبة الدولية والمسألة الكردية، فبريطانيا بسياستها النفطية الاحتكارية عام 1920 وبموجب معاهدة "سيفر" لتقسيم الإمبراطورية العثمانية ما بين الحلفاء من جهة وتركيا من جهة أخرى، حيث ضمنت بوجوب إعطاء الأكراد الأتراك حق التمتع بالحكم الذاتي، مما أنعش آمالهم، غير أن قواعد اللعبة الدولية تغيرت مع سيادة النفوذ الأمريكي في إيران وتركيا في الستينات والسبعينات، وتغلبت الاهتمامات الاستراتيجية على الاهتمامات الاقتصادية، لقد أثبتت التطورات الدولية أن المجتمع الدولي مستعد للانتفاع من وجود المشكلة، ففي الوقت الذي عملت كل من بريطانيا وفرنسا على استغلال الورقة الكردية، واستعمالها للضغط على الدول التي احتلت واقتسمت العراق بعد الحرب العالمية الأولى، فإنها نجدها تتخلـى عنهم وتتركهم إلى مصير مجهول، فاتبعت الولايات المتحدة الأسلوب نفسه، فبعـد أن دعمت الولايات المتحدة المشكلة الكردية بقيادة الملا مصطفى البارزاني سرعان ما تخلت عنه بعد أن قرر الشاه وقف دعمه له عام 1975، ومنعت مسعود البارزاني وجلال طالباني عام 1991 من توقيع اتفاق سلمي مع الحكومة العراقية، وحاولت مصالحة الطرفين الكرديين، وذلك لتجعل منهم قوة للضغط على الحكومة العراقية ولتجعل منهما كبشي فداء عند التدخل بالعراق، ثم جعلت المنطقة الشمالية في العراق منطقة كردية آمنة لزيادة دعم جهودها في جعل من الأكراد قوة ضد العراق الدولة الأم، وبالمقابل فإنها تفض الطرف عن تركيا بل وتساند الحكومة التركيـة في مساعيها العسكرية والعنيفة الرامية إلى قمع الأكراد،

---

(1) هاشم حسن، ماذا يفعل الطالبان في أمريكا، مجلة الوطن العربي، عدد (593)، 1988- ص21 - انظر أيضاً - الياس حرفوش، الرهان العربي على إيران، مجلة المجلة، العدد (451)، 1988، ص13-14 - انظر أيضاً كريستيان مور، "الأكراد يبحثون عن استراتيجية جديدة" صحيفة "لوموند ديبلومائك (مترجمة شهرية) عدد (1)، 1988.

وأسهمت مساهمة فعالة في القبض على عبد الله اوجلان الزعيم الكردي في كينيا، وفي الوقت الذي ترى فيه الولايات المتحدة النيل من الأكراد، لا تتوانى عن ذلك، فقد قصفت صواريخها القادمة من البحر الأحمر مواقع الجماعة الإسلامية في كردستان العراق في منطقة خورمال وخلفت وراءها أكثر من (60) ضحية عام2003، دون حسيب وعلى مسمع العالم[1].

إن المشكلة الكردية مشكلة عصية الحل وسيبقى الأكراد الورقة الجاهزة للاستخدام من قبل الأطراف الدولية صاحبة المصالح، إن الأكراد ينظرون إلى إقامة دولة لهم، إلا أنه من الصعب التكهن في تحقيق هذا الهدف، وفي اعتقادنا لن تكون لهم هذه الدولة.

وأخيراً، لماذا لا تتم أسلمة القضية الكردية؟ ألم تلاق الحلول الشيوعية والقومية والاستئصالية معهم كل إخفاق وفشل؟ هل أجدت معهم سياسات التعريب والتتريك والتفريس؟ أليس لهم الحق - كباقي الشعوب في المنطقة - في التمتع بحقوقهم الثقافية وتحقيق ذاتهم؟، هل العرب والأتراك والفرس بحاجة إلى مزيد من الأعداء والتشرذم وإيجاد المسوغات للدول والجهات المعادية لهم للتدخل في شؤونهم باسم "حقوق الأكراد" و "القضية الكردية؟ ... الخ من الأسئلة التي لا جواب عنها سوى الاعتراف بأهمية أسلمة القضية الكردية[2].

في اعتقادنا أن حل القضية الكردية ممكن إذا تنازلت القوى ذات العلاقة بالديمغرافيا والجغرافيا عن كبريائها الزائف، واعترفت أولاً بوجود مشكلة تحتاج إلى حل، واعترفت ثانياً بان الحل ممكن في إطار البيت المسلم وملامح هذا الحل تتركز فيما يلي:

---

(1) محمد صادق، أمين، مجزرة في كردستان العراق (مجلة المجتمع الكويتية)، العدد (1544)، 2003، ص31.

(2) إبراهيم العفريني، نحو أسلمة القضية الكردية، مجلة المجتمع (الكويت)، العدد (1531)، (2004)، ص28.

1- الاعتراف بالحقوق الثقافية والسياسية للأكراد على قدم المساواة بالأكثرية التي يوجدون بينها.

2- منح الأكراد الحكم الذاتي الحقيقي في المناطق التي يشكلون فيها الأكثرية.

3- مساعدة الأكراد للقيام بانتخابات حرة ونزيهة لفرز حكام مختارين من قبل الشعب لحكم أنفسهم بأنفسهم.

4- إشراك الأكراد في المناصب والوظائف المركزية، بما يتناسب ونسبتهم العددية في كل بلد يسكونه.

5- منحهم نسبة من عائدات النفط والثروات الأخرى التي تستخرج في مناطقهم بقصد تحسين مستواهم الاقتصادي والاجتماعي والرفاهي.

6- القيام بمشاريع تنموية والعمل على القضاء على البطالة في أماكن وجودهم.

7- تقوية روابط الأخوة الإسلامية وتنميتها فيما بينهم، وبث الدعاة المسلمين بينهم للعمل على ملئ الفراغ الحاصل لديهم بعد انهيار النظريات والمبادئ البعيدة عن الفطرة.

نعتقد أن هذه الحلول لا تتنافى ومبادئ الإسلام الحنيف، كما أنها ترضى الأكراد وتنهي مشكلتهم، وبالتالي تقطع الطريق على الحلول الوافدة على المنطقة، وعلى أولئك الذين اتخذوا من المشكلة الكردية وسيلة للعبث في استقرار المنطقة وأمنها.

ثانياً: الأمازيغية

1- الأصول الأمازيغية: [1]

يجمع المؤرخـون الجزائريون والغربيون، على أن الشعب الذي قطـن

(1) يحيى أبو زكريا، معالم الأطروحة البربرية، جمعية المجتمع (الكويت، العدد (1451)، 2001.

منطقة الجزائر والمغرب العربي هو شعب أمازيغي بربري - الأمازيغ في اللهجة البربرية هم الأحرار -، وقد كان هذا الشعب الحر أو الأمازيغي معروفاً بالخشونة والمجازفة والشجاعة والدفاع عن الثغور، ولعل تسمية سكان الجزائر بالأمازيغ أو الأحرار تعود إلى محاربتهم لكل الغزاة الذين حاولوا استعمار الجزائر كالرومان والوندال والفينيقيين وغيرهم، وحتى الفتح العربي الإسلامي لاقى في بدايته مواجهة أمازيغية، وكان على رأس المقاومة المرأة التي عرفت باسم (الكاهنة)، والتي أمرت أبناءها باعتناق الإسلام، بعد أن عرف أهل الجزائر أن الفتح العربي والإسلامي يختلف عن حملات الغزو السابقة التي تعرضت إليها بلادهم.

أما الأصول الأمازيغية فيعتبر دعاة الأطروحة الأمازيغية، أن الأصول الأمازيغية (آرية)، أي أن الامتداد العرقي للامازيغ يتصل بالحقل الجغرافي الغربي، ولذلك تنكر هؤلاء لعروبة الجزائر، وكانوا يتهمون القائلين بعروبة الجزائر بأنهم بعثيون جاؤوا بهذه النغمة من المشرق العربي، إن القول بآرية الشعب الجزائري له سلبيات خطيرة منها: ربط مصير الجزائر بمصير الغرب، وهذا يجعل الجزائر غير معنية بقضايا العالم العربي الشائكة، وكذلك يعطي الحق لفرنسا باحتلال الجزائر، باعتبار أنها تريد تخليص الجزائر من العرب.

وأما دعاة العروبة وعلى رأسهم الدكتور عثمان سعيد سفير الجزائر السابق في سوريا والعراق، والذي ألف كتاباً بعنوان (عروبة الجزائر)، يؤكد فيه أن جذور الشعب الجزائري عربية، ويستشهد بما أورده الطبري في تاريخه الذي يؤكد أن الأمازيغ نزحوا من اليمن وأطراف الجزيرة العربية إلى الجزائر والشمال الأفريقي عموماً، ويذهب بعض الباحثين إلى القول: (إن من أدلة عروبة الأمازيغ تشابه بعض مفردات لهجتهم مع اللغة العربية، وقد تدارك دعاة الأمازيغية ذلك فاستبدلوا الأحرف العربية التي كانت تتضمنها الأمازيغية بالحرف اللاتيني، وذلك بتخطيط من الأكاديمية البربرية التي أنشأتها فرنسا.

2- الأمازيغ واحتضان العروبة والإسلام: [1]

إن الشعب الأمازيغي احتضن العروبة والإسلام وقدم النصرة للفاتحين المسلمين، وعلى امتداد التاريخ الجزائري حيث وقع تمازج وتصاهر بين الفاتحين العرب المسلمين والسكان الأمازيغ الذين ناصروا الإسلام، ولم تتسبب العروبة في إذابة الشخصية الأمازيغية ومسخها بل أعادت الأمازيغية إلى جذورها العربية وطعمتها بالإسلام الحضاري. ومنذ أن اعتنق الشعب الجزائري الإسلام وهو ينصهر في البوتقة العربية والإسلامية.

وإن معظم المعاهد التي صانت اللغة العربية في الجزائر ودافعت عنها أثناء الاستعمار الفرنسي هي تلك المعاهد التي أسست في المناطق البربرية مثل: (بجاية)، (البويره)، و (امشدالة) وغيرها، وأن معظم العلماء الذين خدموا اللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية. وأثناء الاحتلال الفرنسي كانوا من الأمازيغ وعلى رأسهم شيخ الإصلاح (عبد الحميد بن باديس)، ولم يكن الشعب يفرق بين العروبة والإسلام، بل يعتبرهما شيئاً واحداً وأكثر من ذلك، فقد كان يعتبر العربي مسلماً والعكس صحيح، ولم تكن العروبة أيديولوجيا ذات مفاهيم علمانية لائكية، وحتى الذين ظلوا يقطنون جبال القبائل - سلسلة جبال الأطلس - وحافظوا على اللهجة الأمازيغية ما زالوا إلى اليوم أشد تمسكاً بالإسلام، ويعتبرون المتكلم بالعربية المتقن لها أعرف الناس بالإسلام وأصوله وفروعه، عندما تعرضت الجزائر للاستعمار الفرنسي في (5) تموز عام 1830م كان أول من رفع لواء المقاومة هم الأمازيغ المسلمون، ومن الثورات التي تصدت للاستعمار الفرنسي ثورة المقراني، والمقران لفظة بربرية تعني الكبير، وكان شعار ثورة المقراني الدفاع عن إسلامية الجزائر وعروبتها، ولم يكن يقاوم المقراني من أجل استرجاع الأمازيغية.

---

(1) المرجع السابق، ص28-29.

3- فرنسا والورقة الأمازيغية:

أدركت فرنسا خطورة الجهود الأمازيغية المحبة للإسلام والعروبة، فاخذت تنبش الذاكرة الجزائرية إلى أن اهتدت إلى مبدأ التشكيك في الهوية الجزائرية، وبدأت حملة التشكيك من خلال تكوين نخبة جزائرية، مثقفة مشبعة بالفكر الاستعماري للعبث في الصف الجزائري حيث تم البدء في تصنيف الجزائري إلى: عربي وبربري وشاوي وما إلى ذلك، ومع اندلاع الثورة فكرت السلطات الفرنسية في مختلف الطرق التي تؤدي إلى تمزيق الثورة التي تبناها الجزائريون فتوصلت إلى أمرين هما[1]:

1- **الورقة الجهوية:** نجحت فرنسا في إثارة النعرات، فبات يسود آنذاك بين الجزائريين أن هذا من الغرب وهذا من الشرق وهذا وهراني وذاك قسنطيني وثالث قبائلي وهكذا، والقبائلية مست الأمازيغ جهوياً بالإضافة إلى أمازيغيتهم ومكان سكناهم وانتمائهم القبلي، وما زالت الجهوية تلعب دوراً كبيراً في التعيينات الرسمية خاصة في الجيش، بل أن التوازن الجهوي يعد أساس الحكم في الجزائر.

2- **الورقة البربرية أو الأمازيغية:** نجحت فرنسا في بذر بذرة الأمازيغية في الجزائر، وتعهدتها بالمال والرجال، وأوجدت لها أكاديمية بربرية في فرنسا، وتعهدتها وأنشأت لها قناة فضائية، وأمدت رجالها بالمال ولا يزال معظم هؤلاء الذين يناضلون من أجل الأمازيغية لديهم الجنسية المزدوجة الجزائرية والفرنسية معاً، ولهم حضور قوي في الشارع الفرنسي من خلال انخراطهم في جمعيات وأحزاب فرنسية، وكل هذا يوفر لهم أيضاً حماية قوية داخل البلاد. وأثناء الثورة الجزائرية كان هناك طرح مستوحى من فرنسا يقوم على أساس تأسيس جبهة التحرير الأمازيغية مقابل جبهة التحرير الوطني، وذلك لإجهاض الجهد

(1) عبد الله جاب الله، ممارسات التيار التضريبي في الجزائر، مجلة البيان العدد (183) 2003، ص63.

الجزائري الرامي للاستقلال والتحرر.

4- الأمازيغية بين (1954-2004): [1]

بعد نجاح الثورة الجزائرية في طرد الاستعمار الفرنسي بفاتورة مليون ونصف المليون شهيد، وتحقيق الاستقلال عام 1962م، إلا أنه من وجوب الإشارة أن ثورة تشرين الثاني (1954-1962)، كانت منعطفاً حاسماً في انتقال الحركات الجزائرية من العمل السياسي إلى الكفاح المسلح ضد الاستعمار الفرنسي، فقد تراجع الاهتمام بالمسألة الأمازيغية من قبل التيارات التي كانت تتبناها على اعتبار أن أولوية المرحلة في ذلك الوقت، هو إخراج الاستعمار من الجزائر، وبعد نجاح الثورة الجزائرية من طرد الاستعمار - تأسس نظام سياسي يقوم على الحزب الواحد (جبهة التحرير الوطني)، ذابت داخله كل التيارات السياسية التي كانت موجودة قبل الانتقال من مرحلة النضال السياسي إلى مرحلة الكفاح المسلح، واعتبر النظام السياسي - آنذاك - أن المسألة الأمازيغية ليست من الأولويات، وتم حظر كل التيارات السياسية التي ترفض العمل من داخل أطر الحزب الواحد من الإسلاميين (جمعية العلماء المسلمين)، إلى الشيوعيين (حزب الطليعة الاشتراكية) إلى البربرية (الحركة البربرية)، لكن الأخيرة نشطت بسبب الدفع الفرنسي لها للظهور، وقامت عام 1963 بإنشاء ما يعرف بالأكاديمية البربرية، وأسندت رئاستها إلى الكاتب القبائيلي الفرانكفوني (مولود معمري).

وقامت هذه الأكاديمية بتأسيس للمسألة الثقافية الأمازيغية، التي كانت المنطلق فيما بعد لتأسيس الحركة الثقافية البربرية. وفي نيسان من عام 1980 منعت سلطات ولاية (تيزوزو) المنظر البربري (مولود معمري) من إلقاء محاضرة بأحد المراكز الثقافية، فرد التيار البربري بالدعوة للإضراب في 20 نيسان عام 1980م، وتفجر الوضع الذي أدى إلى تدخل قوات الأمن،

---

(1) محمد مصدق يوسفي، البربريين المطالب المعقولة، والاستغلال السياسي، مجلة المجتمع (الكويت العدد (1451)، 2001، ص26.

واعتقل خلاله عدد من الوجوه لم تكن معروفة آنذاك، وأصبحت من رموز التيار البربري بشقية السياسي والثقافي ومنها: سعيد سعدي، وفرحات مهني، وجمال زناتي، وصالح بوكريف وغيرهم. وأصبح يوم العشرين من نيسان ذكرى يتم الاحتفال بها سنوياً تحت تسمية الربيع الأمازيغي.

5- حركية الحركة الأمازيغية:

أخذت الحركة الأمازيغية تتحرك نحو اتخاذ موقف لها على الخريطة السياسية الجزائرية، فحددت بداية أهدافها. والخاصة باللغة وهي:

1- ضرورة اعتراف الدولة بالأمازيغية كلغة رسمية إلى جانب اللغة العربية والفرنسية.

2- العمل على ترقية اللغة خلال تكوين معلمين وأساتذة ليقوموا بتدريسها.

3- إدخال اللغة الأمازيغية في النظام التعليمي من المدرسة الابتدائية إلى الجامعة.

بعد أن وضعت الحركة أهدافها أخذت تتحرك حركة تبعث على عهد جديد، قائم على النضال من أجل ترسيم الامازيغية، عند مناداة الحكومة الجزائرية بالتعددية السياسية والانفتاح بعد أحداث تشرين الأول عام 1988، وبهذا انتقلت الحركة من مرحلة السري إلى العلني، وحملت هذه المرحلة سلبيات على التيار البربري، فانقسمت الحركة الثقافية البربرية التي كانت المرجعية الوحيدة للمطلب الأمازيغي إلى (جبهة القوى الاشتراكية) لحسين أيت أحمد، (والتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية) لسعيد سعدي، وقد وصلت الخلافات إلى ذروتها. مع بداية أحداث العنف في الجزائر عام 1992 رغم هذا الخلاف فإن الحركة الإمازيغية حققت الكثير

لصالحها منها[1]:

1- أنشئت المحافظة السامية للأمازيغية بمرسوم رئاسي من طرف الرئيس الأمين زروال، وهذا أول اعتراف من جانب السلطة بالقضية الأمازيغية.

2- تغيرت استراتيجية الحكومة تجاه الأمازيغية من استراتيجية المواجهة إلى الاحتواء.

3- أدخلت اللغة الأمازيغية في النظام التعليمي الأساسي والثانوي، عبر ستة عشر ولاية جزائرية، إلى جانب فتح فروع لشهادة الليسانس في الأمازيغية، وتأهيل أكثر من (200) أستاذ جامعي لغاية تعليم الأمازيغية.

4- تخصيص نشرات إخبارية بالامازيغية في التلفزيون الجزائري.

ان الحركة الأمازيغية أصيبت بنكسة في عهد الرئيس الجزائري بوتغليقة حيث رفض الاعتراف بالامازيغية كلغة وطنية رسمية، مما حدى بالحركة إلى توحيد كل الحركات الأمازيغية في تونس والمغرب وجزر الكناري ومالي والنيجر والجزائر، وشاركت بعدها هذه الحركات في الجمعية العامة للأمم المتحدة التي خصصت لحقوق الشعوب (1994-2004). أن مناضلوا الحركة البربرية يرون أن حل المشكلة الأمازيغية يجب أن تكون في إطار ديمقراطي، أما الخطاب الذي كان سائداً طيلة سنوات عديدة، كان أحادي الوجهة، ويجب أن يكون هناك خطاب تعددي ديمقراطي، للوصول إلى مرحلة توحيد الجهود وتكريسها بشكل متناسق لتحقيق أهدافها، وعدم استغلال مطالب قد تكون مشروعة لتحقيق مصالح سياسية وحزبية ضيقة.

---

(1) المصدر السابق، ص27.

6- الأمازيغية والفرنكفونية:

لقد اتخذ التيـار الأمازيغي خطوة أخرى باتجاه فرنسا، عازفـاً على وترها، مديراً ظهره للعروبة عندما اختار طريق الفرنكفونيـة المتطـرف في انحيازه إلى المعيار اللاتيني في كتابة الأمازيغية، وأبدى رفضه الشديد للخـط العربي، وذلك عند اجتماع (23) جمعية أمازيغية تمثل مختلف أنحاء المغرب، شرق المغرب و (59) شخصية ثقافية وسياسية ذات توجه بربري في مدينة (مكناس) في شباط عام 2002، وخرجوا بما يسمى بـ (بيان مكناس) والذي تضمن استخدام الخط اللاتيني في كتابة الأمازيغية، إن ما عبر عنه (بيان مكناس) يعكس ظاهرة واضحة في المغرب، ولا يمثل شذوذاً، فالتيار الأمازيغي المغربي تيار (مفرنس) ذو توجه فرنكفوني مكشوف، مرتبط بالجامعات والمعاهد الفرنسية التي تجد في الأمازيغية مطية للتغلغل في بلدان المغرب العربي وخاصة الجزائر والمغرب، وأقطاب هذا التيار يكتبون وينشرون باللغة الفرنسية، ويتلقون الدعم المالي والسياسي من الدولة الفرنسية، لذا فإن الانتصار للخط اللاتيني هو نوع من "الإملاء" وليس اختياراً إرادياً، ويعد بمثابة فاتورة سياسية تسدد لفرنسا الحاضنة.[1]

إن الاختيار للفرنكفونية بالنسبة للتيار الامازيغي هو اختيار محكوم بفترة الولادة ذاتها، حيث أن طرح الهوية (الامازيغية) كهوية مستقلة، نشأت مع الاستعمار الفرنسي للمغرب وسياساته الثقافية، التي حاول بها تحقيق فصل مزدوج: فصل بين العرب والبربر من جهة كخطوة أولى، يليها فصل بين البربر والإسلام في خطوة ثانية، وكانت الاستراتيجية الاستعمارية ترتكز على خلق حالة من العداء والجفاء، بين البربر واللغة العربية باعتبارها وعاء الإسلام، وكذا آلة للتخاطب والتواصل مع مسلمي المغرب من العرب، وتلقين البربر اللغة الفرنسية

---

(1) إدريس الكنبوري، الوجه الفرنكفوني للتيار الأمازيغي، مجلة المجتمع الكويتية، العدد (1535)، 2003، ص50.

كأداة للتواصل مع المستعمرين[1].

في اعتقادنا أن الأمازيغية مشكلة لابد من وضع الحلـول لها قبل أن تستشري في الجسم المغاربي، ونخص الجزائر والمغرب، وخصوصـاً أن هناك من يقـف وراء هذه الظاهرة، ولديه استعداد لدعمها كفرنسا التي أظهرت الأمازيغية فوق السطح، والولايات المتحدة التي لها أطماع في الثروة الجزائرية، وربيتها دولة الكيان الصهيوني في فلسطين وبقية دول الغرب، إن هذه الأطراف التي تنظر للأمازيغية بمثابة المطية التي ستمتطيها وهي ساعية لتحقيق أهدافها، ستتعامل معها وبنفس أسلوب التعامل مع المسألة الكردية التي ظهرت قبل الأمازيغية بسنوات عديدة، ستحتضنها لوقت وتتخلى عنها في وقت آخر، ومدة الاحتضان هي مدة جني ثمار تحقيق الأهداف طالت أم قصرت.

وفي اعتقادنا أن حل هذه القضية لابد من التفكير بها جدياً، لإيجاد الحلول المناسبة، وفي دمج كل المواطنين الجزائريين على اختلاف لغاتهم ولهجاتهم وأعراقهم في بوتقة الإسلام، - والإسلام ينظر للناس نظرة إن أكرمكم عند الله أتقاكم - لمواجهة الفرنسي المحتل، واستطاع الإسلام أن ينظم المقاومة التي أخرجت المستعمر عن يد وهو صاغر، أن ذلك البرنامج لابد من تطويره ليتلائم مع الواقع الذي نعيشه اليوم، ويحق لنا أن تتساءل كيف استطاع ابن باديس ورفاقه أن ينظم كل الجزائريين في صف المقاومة للمستعمر، والمستعمر يومها كان مسلطاً أفواه بنادقه على رؤوس الجزائريين، فهل يستطيع أهل الفكر والسياسة في الجزائر اليوم تنظيم أنفسهم في جبهة واحدة. ورص صفوفهم ومقاومة أولئك الذين يرون اللعب بالورقة الأمازيغية لشق صفوف المغاربة، وإفشال مخططاتهم، ولا يسمحوا لهم بكردنتها - نسبة للأكراد - بالنسبة للأمازيغ، ولبنتتها - نسبة إلى لبنان - بالنسبة للمغرب عامة والجزائر خاصة.

---

(1) المرجع السابق، ص(51).

الفصل السادس

المديونية العالمية

الفصل السادس
المديونية العالمية

مقدمة:

بزر خلال السبعينات من القرن الماضي تجدد الاهتمام بالاقتصاد السياسي الدولي، كمجال بحثي يضم مجموعة من الموضوعات والقضايا الهامة، والتي إن بدت اقتصادية فإن أبعادها السياسية لا تقل خطورة وأهمية، كذلك فقد تجدد الاهتمام به، بوصفه مقترناً بدراسة العلاقات الدولية، ويقوم على فرضية التفاعل المستمر والتأثير والتأثر االمتبادلين بين الاقتصاديات والسياسات الدولية.

إن عملية الانفراج الدولي المتطور، وطي صفحة الحرب في العلاقات الدولية، والنجاحات المحرزة على صعيد مفاوضات تقليص أو نزع ترسانة الأسلحة النووية والكيماوية والجرثومية والتقليدية، والعمل على شطب بعض الديون على الدول الأكثر فقراً في العالم وجدولة ديون الدول الأخرى بعد تفجر أزمة المديونية عام 1982، كل ذلك لم يؤدي إلى إصلاح أحوال دول كثيرة في هذا العالم، ولم يعالج مشاكلها بل زاد الأمر تعقيداً في دول العالم الثالث - أو الدول النامية أو دول الجنوب - وهي الدول التي وقعت فريسة الدين وخدمة فوائده، يقابلها الدول الصناعية المتقدمة والمعروفة بدول الشمال وهي الدول الدائنة أو المقرضة، إن ما يجري في هذا العالم معقد جداً ومتناقض ويشكل أحياناً مخاطر جدية من الناحية الاقتصادية، إننا معنيون هاهنا بتناول المديونية في العالم، لذا سنتناول دول الشمال وهي الدول الدائنة ودول الجنوب وهي الدول المدينة، لنتعرف على طرفي المعادلة أولاً، وننتقل بعدها إلى المديونية نستعرض أسبابها وحجمها وتأثيراتها السلبية من خلال فقرتين هما:

أولاً- حوار الشمال – الجنوب:

يبدو أن مصطلح الشمال ومصطلح الجنوب كأنهما مصطلحان ومتعارضان، أحدهما يقابل الآخر، إن هذه الرؤيا إلى حد كبير حقيقة، ولكن كل طرف يحاول أن يبدي كل علاقة ودْ ودفئ في ظاهرها للطرف الآخر، إلا أنهما يضمران لبعضهما ما لا يبديانه، لكون مصالح كل طرف تكمن في الاستحواذ على أكبر قدر ممكن منها، إذا كان الأمر كذلك ماذا سيبقى الطرف الأقوى للأضعف؟! أو هل يستطيع الطرف الأضعف في معادلة الحياة أن يحصل على كل ما يفكر به من مصالح ورضى الطرف الآخر، في اعتقادنا لا يمكن أن يتم ذلك. وسنبدأ عند الحديث بالحوار أن نبين ماذا نقصد بالشمال وماذا نقصد بالجنوب؟!

1- مفهوم الشمال والجنوب:

لابد من الوقوف على مفهوم دوّل الجنوب، والذي يعني مجموعة المستعمرات التي حصلت على استقلالها، وبدأت تظهر كدول مستقلة سياسياً في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، واتجهت نحو محاولة تحقيق تنمية وطنية سريعة تكفل لها اللحاق بمستوى تطور الدول الصناعية المتقدمة، فانتقال كفاحها من مرحلة المطالبة بالتحرر السياسي إلى مرحلة المطالبة بالتحرر الاقتصادي، والتنمية في ظل تنامي الوعي بالعلاقات الاقتصادية غير المتكافئة بينها وبين دول الشمال[1]. وتنعت أيضاً بدون العالم الثالث وإن أول من استعمل هذا المصطلح العالم الفرنسي (الفرد سوفي) (Al, Fred Sauvy).عام 1956م، على غرار تعبير الطبقة الثالثة - أي الطبقة التي تضم فئات الشعب الذي لا تنتمي إلى طبقة النبلاء ورجال الدين، والتي عرفها المجتمع الفرنسي قبل ثورة عام 1789 المشهورة بفرنسا، فالعالم الثالث يعني

(1) زينب عبد العظيم محمد، العالم الثالث والنظام الاقتصادي العالمي - مجلة الفكر الاستراتيجي، (بيروت)، العدد (37)، تموز 1991، ص190.

بالنسبة له، ثالث مجموعة من أقطار العالم وفق التسلسل وحسب ظهورها التاريخي، فالمجموعة الأولى تشكلت قبل غيرها تاريخياً، وهي الأقطار المتطورة الرأسمالية، أما المجموعة الثانية التي ظهرت في التاريخ الحديث، وهي مجموعة الأقطار المتطورة الاشتراكية، وهذا يعني أن العالم الثالث شُكل في وقت متأخر عنهما، وليكن آخر مجموعة الدول المستقلة حديثاً في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية[1]، فتمتد لتشمل قطاعاً ضخماً من قارة آسيا وتوشك أن تحتوي القارة الأفريقية كلها، والأغلب والأعم من قارة أمريكا اللاتينية، أي إنها بهذا المعنى تضم أكثر من ثلثي دول العالم وحوالي ثلثي سكانه[2]، ويطلق عليها اسم الدول النامية وهو المصطلح الأكثر شيوعاً من غيره عند التعبير عن مجموعة الدول التي لا تنتمي الدول الرأسمالية أو الاشتراكية، ويقوم على أساس أن الهدف الرئيسي الذي تضطلع به الدول النامية والصفة المشتركة التي تجمع بينها هي الحاجة إلى التنمية[3].

وأما دول الشمال فهي مجموعة الدول المستعمِرة (بكسر الميم)، والتي عملت خلال فترة استعمارها على تقوية اقتصادياتها نتيجة امتصاصها موارد القوى في الدول المستعمَرة (بفتح الميم)، ونظراً لتوفر الإمكانيات فقد طورت اقتصادياتها المتخلفة وتقدمت صناعياً، الأمر الذي جعلها تحتل مركزاً متقدماً استطاعت من خلاله تحقيق درجة عالية من الاكتفاء الذاتي، ووصلت إلى غاية في التطور وبلوغ أهداف التنمية، وهي الدول الصناعية غير الشيوعية في العالم، وتضم معظم الدول الأوروبية والولايات المتحدة وكندا واليابان واستراليا ونيوزيلندة، وتتميز بقدرتها الفائقة على استخراج المواد الأولية وإعادة تصنيعها وفق تكنولوجيا متقدمة استطاعت التوصل إليها[4].

---

(1) رياض عزيز هادي، المشكلات السياسية في العالم الثالث - بغداد: دار الحرية للطباعة، 1979، ص18.

(2) يحيى الجمل، الأنظمة السياسية المعاصرة، بيروت: دار النهضة العربية، د. ت ص289.

(3) رياض عزيز هادي، مرجع سابق، ص17.

(4) زينب عبد العظيم، مرجع سابق، ص192.

2- جوهر حوار الشمال والجنوب:

يبدو أن ما تريده دول الجنوب من الشمال، مدخلاً إلى أسواق الشمال والتكنولوجيا التي يمتلكها الشمال، ويريد قوةً ونفوذاً داخل مؤسسات الشمال، وحلاً لمشكلة المديونية المستحقة عليه للشمال ومؤسساته ... الخ، ومن ثم تنظر دول الجنوب إلى قضية التنمية على أساس أنها مرتبطة إلى درجة قصوى بالنظام الاقتصادي الدولي، وإن أية محاولة للتنمية تقوم بها دول الجنوب، لابد وأن ترافقها تحولات جذرية في النظام الاقتصادي الدولي، نظراً لأن هذا النظام يفرض على الدول النامية حدوداً من الصعوبة بمكان تخطيها، وفقاً لهذه الرؤية[1] فإن الدول المتخلفة ليس لديها أية خيارات ذات شأن لأنه مسيطر عليها بشكل مباشر أو غير مباشر من جانب قوى النفوذ الخارجي[2]، وهذا ما تتضمنه الأدبيات والوثائق الصادرة عن اجتماعات ومنتديات مختلف دول الجنوب.

وأما دول الشمال فتقدم رؤية أخرى مختلفة تقوم على أساس بعدين رئيسيين: الأول: تستند إلى مقولة رئيسية تتمثل في أن مسؤولية التنمية، إنما تقع بالدرجة الأولى على السياسات الداخلية للدول النامية، وإن هذه الدول تجنبت التعامل مع مشكلاتها الداخلية، وأوقعت اللوم على الدول الأخرى المتقدمة. واستناداً لهذه المقولة فدول الجنوب تربط ما بين التخلف الاقتصادي والتبعية، وتجعل هذه الدول من الأول نتيجة للثاني، في حين أن التخلف الاقتصادي قد يكون سبباً للتبعية وليس نتيجة لها، ولذا فدول الشمال ترى أن تطوير دول الجنوب لا يعطي ذلك ثماره، ما لم تتطور هذه الدول من الداخل، وإذا تمت الاستجابة لطلبات الدول النامية فالدول التي تستفيد من

(1) إيليا حريق، العرب وإعادة النظر في النظام الاقتصادي الدولي الجديد، من إيليا حريق (محرر)، (العرب والنظام الاقتصادي الدولي الجديد) - بيروت:دار المشرق والمغرب، 1983، ص119.

(2) Robert L. Rothstein, The week in the world of the strong - New York: Columbia university press 1977, P (19).

هذه الاستجابة هي تلك التي حققت نتائج أفضل في التطوير الداخلي، فالمناداة بالعدالة الدولية من قبل دول الجنوب غير واقعية في نظر دول الشمال، لأن العدالة تلك غير متحققة ومفقودة داخل دول الجنوب، كما أن السبب الأهم الذي يعيق التنمية في دول الجنوب، قيام أثرياء تلك الدول بتحويل رؤوس أموالهم إلى الخارج خاصة للدول الغنية كالولايات المتحدة والدول الأوروبية. الثاني: فيتمثل في منظور دول الشمال في اعتبار مناداة العالم الثالث بنظام اقتصادي دولي جديد، ما هو إلا من أجل انتهاز الفرص الجديدة للحصول على مزيد من المزايا السياسية والمادية التي تقدم من خلال النظام الدولي لما بعد الحرب الباردة، وخاصة من خلال الأمم المتحدة، وتحقيق مزيد من القوة والتأثير على العلاقات الاقتصادية الدولية، أن هذا يدفع دول الشمال على أن لا تقدم أية تنازلات للجنوب، خشية أن يحصل الجنوب على مزيد من النفوذ أكثر مما له على مسرح المنظمات الدولية[1].

إن رؤية الجنوب ورؤية الشمال متناقضتان، وعلى الرغم من هذا فإنهما تحويان قدراً من الصواب بحيث لا تنفي تماماً مقولات الطرف الآخر في ما يتعلق بمكمن المسؤولية عن تخلف الجنوب وكيفية التغلب عليه، وتحقيق التنمية، وعلى ذلك فإن وجود إصلاح النظام الاقتصادي الدولي، لابد وان ترافقه سياسات إنمائية رشيدة على مستوى الاقتصاديات القومية لدول الجنوب، وجدير بالذكر أن هذا الموقف المتوازن يتبناه عديد من مفكري العالم الثالث[2].

ثانياً- المديونية العالمية:

تعرف المديونية الخارجية بأنها: "مجموعة الديون الخارجية المتراكمة على اقتصاد دولة ما، وتعتبر المديونية مظهراً من مظاهر التبعية أو التخلف، وهي

(1) زينب عبد العظيم، مرجع سابق، ص193-195.

(2) المرجع السابق، ص196.

ناتجة عن خلل في هيكلة الإنتاج والصادرات، والتوسع في الاستيراد لسد عجز الإنتاج بالتمويل من الخارج عن طريق الافتراض، وهذا أدى إلى زيادة الفوائد بصورة مطردة على هذه الديون وأعباء خدمتها، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى جدولتها[1].

وسنتعرف على المديونية العالمية من خلال الفقرات التالية:

1- أزمة المديونية العالمية:

تعتبر أزمة المديونية الخارجية التي تعاني منها اقتصاديات الدول النامية، إحدى إفرازات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي أيضاً، التي نفذت منذ أوائل السبعينات وحتى الآن تحت غطاء تنمية هذه الدول من خلال القروض المشروطة التي يقدمانها. كما تتقدم الدول لدى هاتين المؤسستين لتمويل العجز في ميزان المدفوعات، بالإضافة إلى أية أغراض مالية أخرى تضطر الحكومة للاقتراض من أجل مجابهة الأسباب الدافعة لذلك.

إن عملية الاقتراض وما يترتب عليه بلغ حداً حرجاً بالنسبة لبعض البلدان، وخاصة التي بلغت خدمة الدين فيها نسبة عالية من إجمالي صادرات السلع والخدمات، وبلغ إجمالي الدين الخارجي فيها نسبة مرتفعة من الناتج القومي الإجمالي، وإن لجوء بعض الدول إلى محاولة جدولة ديونها ما هو إلا مؤشر هام على الاضطراب الواضح إزاء المدفوعات الخارجية.

لقد كان اللجوء إلى الموارد الخارجية، والتي أخذت شكل قروض أو

---

(1) عبء خدمة الدين العام: هو القيمة التي تشكلها أقساط الديون الخارجية، مضافاً إليها الفوائد المترتبة على هذه الديون.

- جدولة الديون عندما تصبح الدولة غير قادرة على سداد أقساط ديونها (تتراكم عليها الأقساط والفوائد) مما يجعل الدولة المدينة تطلب إعادة جدولة ديونها بالإجراءات التالية: إطالة مدة الأجل، الحصول على فترة سماح (الفترة التي تسبق البدء بتسديد الدين) حيث تعفى منها الدولة المدينة، وإعادة دراسة وتقييم الدين على ضوء الجدول الجديدة،وهذا كله لا يحل المشكلة بل يؤدي إلى تأجيلها وزيادة أعباء تلك الديون - للمزيد انظر - صالح الطيطي وغالب إسماعيل، التنمية العربية وآفاقها المستقبلية - عمان: دار حنين،1995، ص83.

استثمارات مباشرة أو حتى مساعدات، وذلك لسد فجوة الموارد المحلية الناجمة عن الفرق بين الإدخار المحلي والاستثمار، وإن عملية تكوين الإدخار المحلي وتقرير حجم الاستثمار بالسياسة الاقتصادية المتبعة في كل بلد بشكل منفصل، تأتي من كون الإدخار المحلي والاستثمارات ذات صلة وثيقة بالسياسة الاقتصادية الخارجية، فتقرر أشكال الاستهلاك بشقية العام والخاص، وتكوين التراكم المحلي، وهكذا فإن حجم الاستثمار يرتبط بالسياسات المتبعة في مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

ومن الملاحظ أن المديونية الخارجية تضاعفت مرات ومرات حتى أصبحت الدول المقترضة ترزح مثقلة تحت مظلة الاستعباد للدول المانحة للقروض. حيث شكلت القروض وما ترتب عليها من أموال خدمة الدين أزمة عالمية برزت مع مطلع الثمانينات، حين عجزت الدول النامية عن الوفاء بالتزاماتها المالية، وذلك لسبب بسيط وهي أن الأرقام الفلكية التي وصلت إليها الديون الخارجية لكل دولة جعلت من العسير على أي نمو يحققه اقتصاد أي منها أن يفي بخدمة الدين فقط، ناهيك عن تسديد أصولها، وبوصول أزمة المديونية إلى هذه الدرجة من الخطورة، بدأت الأصوات ترتفع بالتوقف عن الأخذ بسياسات صندوق النقد والبنك الدوليين، بل وذهب البعض إلى المطالبة بتغيير النظام المالي العالمي الذي تسبب بعيش ثلثي سكان الأرض تحت خط الفقر.

لقد بدأت أزمة المديونية فعلياً بعد انهيار نظام (براتيون وودز) عام 1971م بعد إعلان الرئيس الأمريكي "ريتشارد نيكسون" إلغاء الصلة بين الدولار والذهب، فقد استطاع صندوق النقد والبنك الدولي إقناع الدول النامية بإمكان إحداث تنمية اقتصادية بالقروض، وهي فكرة ابتدعها صندوق النقد الدولي بعد تعويم أسعار الصرف وتزايد المضاربات، كما قامت الدول الغربية بعد تراكم أموال البترول في صناديقها المالية إلى تقديم إغراءات لطالبي القروض بشروط تبدو لأول وهلة سهلة وميسرة وبأسعار

فائدة أدنى من سعر التضخم[1]، عوضاً عن الاعتماد على الشركات الخاصة والاستثمار بالمشاركة أو المساهمة برأس المال الوطني، الذي كان يهرب نتيجة عوامل كثيرة. لهذا نجد الدول أقبلت وبكثافة منقطعة النظير على الاستدانة من كل مؤسسات الأقراض الدولية والتي يتصدرها صندوق النقد والبنك الدوليين، وكانت في هذه المرة أن تميزت عمليات الاستدانة بأنها كانت بأموال ضخمة، بهدف استثمارها في مشاريع البنية التحتية وتطوير القطاع الصناعي والزراعي[2].

لقد كان أحد دوافع الاقتراض تجنب الانخفاض في معدلات الاستثمار والنمو، لذا فإن نسباً من قيمة الاقتراض ذهبت لتمويل الاستهلاك، بالإضافة إلى أن الإنفاق العام توجه نحو مشاريع غير ذات كفاءة وباهضة التكاليف، مما تسبب في أحداث خسائر كبيرة وهدر واسع في الميزانيات العامة، وعلى عكس التوقعات ارتفعت أسعار الفائدة حين عادت أسعار النفط إلى الارتفاع مجدداً عام 1979، وفي وقت انخفضت فيه أسعار المواد الأولية بشكل حاد، فتفاقمت كلفة تسديد الديون، وقامت الدول النامية بالاقتراض مجدداً للإيفاء بالتزاماتها والتخلص من شبح الانهيار. إلا أن هذا لم يخدم الدول المقترضة طويلاً حتى استفاقت على وضع تعمقت فيه المديونية فتفجرت على هيئة أزمة عالمية عام 1982، وهو العام الذي أعلنت فيه العديد من دول العالم ومنها: المكسيك الذي بلغت ديونها حوالي (80) مليار دولار مقابل (22) مليار عام 1977، والبرازيل وديونها (180) مليار دولار، والأرجنتين، عجزها عن أداء التزاماتها المالية تجاه الدائنين وهكذا وقعت الدول المدينـــة في مصيدة الدول الدائنة، مما يولد، عـدداً من الآثار

---

(1) انظر الدور الإيجابي لتراكم الفوائض المالية في الدول الصناعية الغنية الدور والسلبي على الدول النامية- جورج قرم، المستقبل الاقتصادي للأقطار العربية النفطية - المستقبل العربي، العدد (14)، 1980، ص36-38.

(2) عبد الكريم حمودي، تجارة الديون، بوابة استعباد العالم الثالث، مجلة المجتمع (الكويتية)، العدد (1413)، 2000، ص16.

السلبية على الشعوب واستقلال الدول المدينة السياسي والاقتصادي[1]. إنه من السهولة التوقيع على الحصول على قرض، ولكن المخاطر التي تحف استثمار هذا القرض بصورة يؤدي إلى الوفاء بأقساط الدين وفوائده كثيرة، يجب أخذها بعين الاعتبار عند الحصول على القرض واستثماره، كما أن الظروف تتغير فالظرف الذي يتم الحصول فيه على القرض ليس هو ذات الظرف الذي تقوم الدول بتسديد التزامات القروض، هذه أمور يجب عدم إغفالها والتحسب لها وتصور أسوأ الظروف لا أحسنها.

2- حجم المديونية العالمية:

تتباين التقديرات حول حجم المديونية الخارجية التي ترزح تحت وطأتها الدول النامية مجتمعة، لتعدد الجهات المهتمة بهذه القضية، إلا أنها تتراوح ما بين (2000) مليار إلى (2500) مليار دولار أي (2-2.5) تريليون دولار، وتقديرات صندوق النقد الدولي لعام 1999 بلغت (2.2) تريليون، وأما التقديرات التي أوردها التقدير السنوي للمصرف العربي للتنمية الاقتصادية الإفريقية الذي صدر في يونيو من عام 1999 تقترب من (2) تريليون دولار، وأما ما جاء في التقرير الإجمالي للديون الخارجية للدول النامية بلغ عام 1999 نحو (1969.9) مليار دولار، وبزيادة قدرها (4.4) عن عام 1989م، وتورد صحيفة (انترناشيونال هيرالدتربيون) تطور أرقام المديونية فتقول أن إجمالي الديون الخارجية للدول النامية فقد ارتفع من 647 مليار دولار عام 1980 إلى (2068) مليار دولار عام 1995 منها (250) مليار دولار على (42) دولة تصنف ضمن الدول الأقل حظاً في العالم[2] ويمكننا بيان شريحة لتطور المديونية الخارجية للدول النامية لخمسة عشر سنة مضت في الجدول التالي[3]:

---

(1) المرجع السابق، ص17،

(2) عبد الكريم حمودي، مرجع سابق، ص19.

(3) المرجع السابق، ص19.

السنة	1980	1990	1994	1995
الدين الكلي	647	1510	1921	2068
الدين طويل المدى	473	1265	1523	1622
ائتمان صندوق النقد الدولي	12	35	44	61
القروض قصيرة المدى	205	269	355	385
خدمة الدين	17	171	169	224
أصل الدين	45	96	115	123
الفوائد	52	75	81	101
صافي التحويلات	35	14-	2-	8
المتأخرات (الأصل والفوائد)	3	113	137	143
(مؤشر العبء %)				
الدين / الصادرات	88	162	163	150
الدين / الناتج القومي الإجمالي	27	33	38	38
خدمة الدين / الصادرات	13	18	17	16
الفائدة / الصادرات	7	8	7	7
الفائدة / الناتج القومي الإجمالي	2	3	2	2

وأما توزيع هذه المديونية فيقول تقرير المصرف العربي للتنمية أن أفريقيا تحتل مرتبة متقدمة بين الدول النامية حيث تبلغ نسبة ديون القارة (15.6%) من إجمالي الديون المترتبة على الدول النامية والتي وصلت قيمتها إلى (308.4) مليار دولار أي 72.1% من إجمالي الناتج المحلي لدول القارة.

أما البيان الختامي للقمة الأفريقية الأوروبية: قال " إن ديون القارة قد تزايدت 110 مليار عام 1980 إلى (350) مليار دولار حالياً، وبزيادة سنوية تبلغ (12%) وهذا المبلغ يعادل (300%) من صادرات السلع والخدمات في القارة السوداء، في حين ما تلقته القارة من استثمار أجنبي مباشر عام 1988 لا يتجاوز (5) مليار أي ما يساوي (5%) فقط من التدفقات العالمية كما جاء في تقرير الأمم المتحدة لعام 1988، كما تبلغ خدمة الديون الأفريقية نحو

(35.7) مليار دولار، وتمثل (28.3%) من عائدات صادرات القارة عام 1999م، وبزيادة بلغت (6.5) مليار دولار على عام 1998، بنسبة زيادة قدرها (22.2%).

وتأتي الدول الأسيوية والتي كان يطلق عليها عام 1997 (النمور الآسيوية) في المرتبة الثانية بعد أفريقيا، ويكفي أن نعلم أن ديون ثلاث دول منها وهي أندونوسيا وتايلاند وكوريا الجنوبية تجاوز (342) مليار دولار، موزعة على أندونوسيا (129.03) مليار، وتايلاند (90.804) مليار دولار، كوريا الجنوبية (123) مليار فيما بلغت خدمة الديون على الدول الثلاث مجتمعة نحو (43.211) مليار دولار.

وأما ديون أمريكا اللاتينية فتأتي بالمرتبة الثالثة، فتقدرها مصادر صندوق النقد الدولي بأنها تتجاوز الـ (300) مليار دولار، والقسم الأكبر من هذه الديون تبلغ قيمتها (148) مليار دولار[1].

وفي عام 1997م زادت ديون الدول النامية فاحتلت أمريكا اللاتينية الصدارة حيث بلغت (678) مليار دولار، وآسيا (666)، مليار دولار وأفريقيا (223) مليار دولار بعد ذلك انخفضت الديون بسبب إلغاء قمة الدول الصناعية في كولونيا مبلغ (65) مليار دولار من ديون الدول الأكثر فقراً، بالإضافة إلى إعادة العديد من الدول النامية جدولة ديونها للحصول على قروض جديدة بعد أن تم تسديد قسم من الديون المتراكمة.

3- أسباب تفاقم أزمة المديونية:

لقد سبق أن ذكرنا أن تزايدت الديون الخارجية على الدول النامية بشكل كبير في العقود الثلاثة الماضية من القرن الماضي. وهي تتزايد سنويا بنسبة تتراوح ما بين 10-15%. والدول المدينة بلغت مرحلة حرجة من العجز الكلي، وأصبحت عاجزة حتى عن دفع فوائد ديونها الضخمة. ومن بين

(1) المرجع السابق، ص20.

أسباب تفاقمها[1]:

1- التوسع في سياسة الاقتراض من قبل الدول النامية.

2- ارتفاع أسعار الفائدة في الأسواق النقدية العالمية.

3- تعويم أسعار الصرف وتزايد المضاربات.

4- ارتفاع أسعار الواردات التي تستوردها الدول النامية.

5- تدهور أسعار صادرات المواد الأولية في الدول النامية.

6- ضعف دور المؤسسات المالية الإقليمية والدولية في إمداد الدول النامية بالسيولة النقدية الميسرة، وغير المشروطة، وتحكم الدول المتقدمة في هذه المؤسسات بما يتلاءم ومصالحها.

7- الحماية الجمركية في الدول المتقدمة التي أعاقت نمو صادرات الدول النامية.

8- توسع البنوك والمؤسسات المالية التجارية في الدول المتقدمة، في إعطاء القروض للدول النامية من دون دراسة القدرة الفعلية على السداد. سعيا وراء الربح السريع من خلال أسعار الفائدة المرتفعة المعومة.

4- التأثيرات السلبية للمديونية:

هناك تأثيرات سلبية تلقيها المديونية على اقتصاد الدول المدينة، وأهم هذه التأثيرات هي[2]:

1- المديونية تحول دون تكوين أية مدخرات من العمــلات الصعبة

---

(1) خالد المحاميد، الاقتصاد وسياسة الأردن الخارجية - عمان: وزارة الثقافة، 2002 - ص107. انظر أيضاً - عبد الخالق عبد الله، العالم المعاصر والصراعات الدولية - الكويت: سلسلة عالم المعرفة 1989 - ص (152، 188) - انظر أيضاً - رمزي زكي، أزمة الديون العالمية والإمبريالية الجديدة: الآليات الحديثة لإعادة احتواء العالم الثالث، مجلة السياسة الدولية (القاهرة)، العدد (86)، 1986 - ص(62-75).

(2) خالد المحاميد، مرجع سابق، ص101-102- انظر أيضاً - محمد زاهر السماك، الجغرافيا السياسية، أسس وتطبيقات - العراق: دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، 1988، ص324.

لتحويل خطط التنمية، وتسيير الأوضاع الاقتصادية بالشكل المطلوب.

2- المديونية تدفع تلك الدول إلى تحويل معظم عائدات صادراتها، وإنتاجها لتمويل دفعات تسديد ديونها الخارجية، والفوائد المستحقة عليها، فدفعات أعباء الديون في معظم الدول النامية المدينة تلتهم نسباً عالية من حصيلة الصادرات، ومعدلات المديونية الخارجية تتزايد أيضاً، لتحتل نسباً عالية من الناتج القومي فيها.

3- تسمح للجهات الدائنة بالتدخل لتصحيح الأوضاع الاقتصادية الداخلية بما يتلاءم مع مصالحها. فمثلاً صندوق النقد الدولي يشترط على الدول الطالبة للمعونة المالية، أو القروض بأن تضع كل سياستها الاقتصادية (التجارية والمالية) بين يدي الصندوق كي يجري تقييمها، وفحصها.. وبالتالي تصبح تلك الدولة مجبرة على الالتزام "بخطة تصحيح" مخصصة لمعالجة اختلالات التوازن التي اقتضت لجوئها إلى موارد الصندوق[1]. الأمر الذي يمكن أن ينتج عنه فقدان جزء كبير من حريتها، وسيادتها الاقتصادية والسياسية.

4- تراكم الديون الخارجية مع عدم القدرة على السداد يضعف الثقة الائتمانية لدى أسواق الإقراض الإقليمية والدولية، خاصة بعد تفجر أزمة المديونية العالمية عام 1982، عندما أعلنت كبريات الدول المدينة في أمريكا اللاتينية (المكسيك، والأرجنتين، والبرازيل، وشيلي،...) عند تعثرها في سداد ديونها الخارجية، عن دفع الفوائد المترتبة عليها[2].

5- اللجوء إلى إعادة جدولة الديون الخارجية، والشروط التي أملتها الجهات الدائنة جعلت اقتصاديات الدول المدينة تتصف بما يلي[3]:

- التركيز على مشروعات خدمية، وترفيهيــة مرتبطة بالتعامل

---

(1) دومينيك كارو، صندوق النقد الدولي، ترجمة د. مصطفى عدنان السيوطي، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة السورية، 1978)، ص315.

(2) د. عبد الخالق عبد الله، مرجع سابق، ص189.

(3) د. رمزي زكي، مرجع سابق، ص321-324.

الخارجي، وقد نتج عن ذلك في بعضها إهمال الاحتياجات الأساسية للسكان، مما تسبب في تدني مستويات المعيشة، وتزايد حدة البطالة .

- تبني سياسة الانفتاح الاقتصادي التي تتخلى بموجبها الدولة عن بعض سلطاتها مثل:، تخليها عن مراقبة الصرف، وتخفيض القيود على المدفوعات الخارجية خاصة تلك التي تتعلق بفتح أبواب الاستيراد.

- زيادة الاستيراد خاصة من السلع والخدمات الكمالية. مما ساهم في تفاقم عجز الميزان التجاري، وعجز ميزان المدفوعات.

- الانخفاض المتواصل لقيمة صرف العملة الوطنية، وظهور الأسواق السوداء للنقد الأجنبي.

- تبني مبدأ التخاصية، وهو تحويل هيئات ونشاطات القطاع العام إلى القطاع الخاص. وهذا أفسح المجال أمام الاستثمارات الأجنبية في الدخول إلى أسواق الدول المدينة، التي هدفها الأساسي تحقيق أقصى ربح ممكن، وبالتالي أدت تلك الاستثمارات إلى نزوح أرباح ضخمة إلى الخارج، وبالعملات الصعبة.

5- أهداف تقديم المساعدات للدول النامية:

يجب أن لا يغيب عن البال أن هناك آثاراً ونتائج تترتب على الاعتمــاد على المساعدات الاقتصادية - على اختلافها - ومن هذه الآثار الوقــوع في فخ الديون الخارجية، وما لها من انعكاساتها السلبية تم التطرق لها آنفاً[1]. وبذلك تكون المساعدات الاقتصادية أداة اقتصادية، وسياسية بيـد الدول المتقدمة المانحة لها، والمدعومة بقدرتها الاقتصادية الكبيرة. ونظراً للتفــاوت الاقتصادي الكبير بين الدول المتقدمة، والدول النامية أصبحت العلاقات الاقتصادية

---

(1) خالد المحاميد، مرجع سابق، ص105-107.

الدولية، والنظام الاقتصادي الدولي مسيطراً عليه من قبل هذه الدول المتمثلة بدول أوروبا، وأمريكا الشمالية، وبالتحديد الولايات المتحدة الأمريكية بالدرجة الأولى، تليها دول المجموعة الأوروبية التي أصبحت قوة اقتصادية دولية بفضل توحدها تحت مظلة "الاتحاد الأوروبي"، إضافة إلى اليابان. إذ أن هذه القوى، والتكتلات الاقتصادية الدولية الكبرى تتركز بأيديها آلية عمل العلاقات الاقتصادية الدولية، والنظام الاقتصادي الدولي التي تتحكم بآلياته، ومؤسساته، وفرض قوانينه على بقية دول العالم[1].

إن تقديم المساعدات الأمريكية إلى إسرائيل، وكوريا الجنوبية، ولاوس، وتركيا، والمكسيك، ومحافظة فرنسا على تقدميها المساعدات إلى مستعمراتها السابقة في أفريقيا، وبريطانيا إلى بعض أعضاء دول الكومنولث إلا لخدمة أهدافها الاستراتيجية والسياسية في هذه الدول، والأقاليم الموجودة فيها[2] إن المساعدات الأمريكية الأمنية التي قدمتها الولايات خلال الفترة (1950-1980) لبعض الدول لتحقيق أهدافها ومن بين الأهداف التي ترمي إليها المساعدات الأمريكية التي تقدمها للدول النامية ما يلي[3]:

1- تنفيذ السياسات العسكرية، والسياسية للولايات المتحدة على الصعيد العالمي.

2- فتح المجال أمامها للوصول للمواد الأولية.

---

(1) من مؤسسات النظام الاقتصادي الدولي، منظمة التجارية العالمية WTO (الـ GATT سابقاً)، وصندوق النقد الدولي، والبنك الدولي... الخ. وهي مؤسسات تميل إلى تجميد مبادئ السوق الحرة الليبرالية التي تتوافق مع الاتجاه الأمريكي، والأيديولوجية الغربية. للمزيد انظر: جورج س. نادي: حتمية القيادة: الطبيعة المتغيرة للقوة الأمريكية، ترجمة عبد القادر عثمان - عمان: مركز الكتب الأردني 1987، ص170 - عمان: مركز الكتب الأردني، 1987، ص175-178.

(2) جون أدلمان سبيرو، سياسات العلاقات الاقتصادية الدولية، ترجمة خالد قاسم - عمان:مركز الكتب الأردني، 1987، ص175-178.

(3) هاري ماجدوف، الإمبريالية، من عصر الاستعمار حتى اليوم - بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، 1981 - ص162.

3- ضمان مكاسب اقتصادية لاستثماراتها الخارجية، وشركاتها التي تسعى وراء أهداف التجارة والاستثمار في الدول النامية.

4- زيادة اعتماد الدول المتلقية لها على أسواق وسلع الولايات المتحدة والدول المتقدمة الأخرى.

5- اعتماد الولايات المتحدة المساعدات الاقتصادية كأداة لأحكام سيطرتها، وزيادة تبعية الدول المتلقية لها، ويوجّه جزء كبير منها للأغراض العسكرية، وتقوية الأحلاف، والقواعد الاستراتيجية، وتمويل نفقات الجيوش التابعة لها.

الفصل السابع

العولمة في عالم جديد

الفصل السابع
العولمة في عالم جديد

مقدمة:

إن الدارس لظاهرة العولمة يلاحظ أنها حظيت بعناية عدد من الباحثين العرب والأجانب في مختلف الحقول، لاسيما في حقل الاقتصاد والإدارة والتربية والسياسة، كما أن هذه الحركة استأثرت باهتمام عدد من منظمي الندوات واللقاءات والمؤتمرات في الدول النامية ومنها الدول العربية والإسلامية، وإن لهذا كله دلالات منها أنها ظاهرة عامة مسيطرة، وحركة شاملة تقتحم علينا بيوتنا ومعاهدنا وجماعاتنا، وعقولنا وتؤثر علينا حاضراً ومستقبلاً.

وإن المتعمق في الدراسات والكتابات والبحوث التي تناولت تلك الظاهرة، يلمح أن أغلبها قد غُلب عليه طابع "الاحتفال" بها المرحب والمبشر بقدومها، الداعي لاتخاذ جميع الاستعدادات الفكرية والثقافية والتربوية لاستيعابها ومواجهتها والتعامل معها، كما يلاحظ الباحث أن هناك دراسات - وأغلبها من الدول النامية- تبين الجانب الآخر من الظاهرة، وتحذر من شرك الوقوع في حبائلها، فهي في نظرهم مفهوم استعماري، يمثل مرحلة أكثر تقدماً من مراحل النظام الرأسمالي، ويقوم على الهيمنة الاقتصادية الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة، والاستيعاب الثقافي الحضاري بين الشعوب وهي الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الإمبريالية[1].

---

(1) حميد الجميلي، اقتصاد الحضارة الكونية: التصورات والإشكاليات، مجلة الموقف الثقافي، العدد (1، 2)، 1996، ص75
- انظر أيضاً - إسماعيل صبري عبد الله، الكوكبة: الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الإمبريالية، المستقبل العربي، العدد (222)، 1997، ص4-25.

أولاً: تحديد مفهوم العولمة وتعريفها:

العولمة تطلع وتوجه اقتصادي سياسي تكنولوجي حضاري ثقافي تربوي تذوب فيه الحدود بين الدول، وبين الشمال والجنوب، وبين الحضارات بعضها بعضا، وتتواصل فيه الأمم والشعوب والدول والأفراد باستمرار وبسرعات هائلة، وينشأ اعتماد متبادل (terdependence بينها في جميع مجالات الحياة، كالاعتماد المتبادل في رأس المال والاستثمارات والسلع والخدمات، والأفكار والمفاهيم والثقافات والأشخاص[1].

ويتضمن مفهوم العولمة أيضاً اتجاهات (Attitudes) ومنحنى (approach) وقيماً (Values)، على الدول والشعوب أن تتبناها وتتكيف معها، وأن تعي نتائجها وعواقبها ومشكلاتها وانعكاساتها.

معنى هذا أن العولمة ظاهرة أو حركة معقدة ذات أبعاد اقتصادية وسياسية واجتماعية وحضارية وثقافية وتكنولوجية، أنتجتها ظروف العالم المعاصر وتؤثر على حياة الأفراد والمجتمعات والدول المعاصرة تأثيرات عميقة، وثمة ملاحظة، أن مثل هذا التوجه العالمي كان سائداً منذ العصور القديمة والوسطى، فما سيطرة الحضارة المصرية او اليونانية أو الرومانية القديمة على بعض أجزء من العالم إلا تجسيداً لظاهرة العولمة. كذلك فإن سيادة الحضارة البيزنطية والإسلامية على أجزاء من العالم المعروف في العصور الوسطى يعني سيادة مفاهيم وقيم واحدة، إلا أن ظاهرة العولمة اتسع مداها وتعمقت مدلولاتها مع بدء عصر النهضة الأوروبية الحديثة، والاكتشافات الجغرافية في القرنين التاسع عشر والعشرين، كما أن ظاهـــرة العولمة قد تأكدت وترسخت. إن الجديد في ظاهرة العولمة هو المعاني السابق ذكرها التي أنتجتها عوامل اقتصادية وسياسية وتكنولوجية، وانفجـار

(1) عبد الباري درة، العولمة وإدارة التعدد الحضاري (الثقافي) في العالم وحماية الهوية العربية الإسلامية، ورقة مقدمة للمؤتمر العلمي الرابع (4-6) أيار 1998، عمان، جامعة فيلادلفيا، كلية الآداب، ص1.

المعرفة وازدياد وسائل المواصلات والاتصالات وانتشار التجارة العالمية على مدى دولي وعالمي واسع، بحيث وجد عالم تنتج فيه سلعة أو خدمة أو منتج في أي مكان في العالم، فتسوق وتباع في أي مكان في العالم، وبسرعة كبيرة لم تعرفها الشعوب والأمم والأفراد من قبل[1].

وفي مجال التعريف بالعولمة نجد أن التعريفات تعددت وتشعبت، نتيجة تعدد دلالاتها وتشعباتها، فمن نظر إليها على أنها تطور في سياق التطورات والمراحل التي تمر بها الحضارة الإنسانية قال[2]: "إن العولمة تطور طبيعي للحضارة، منذ أقدم الحقب التاريخية التي شهدت الثورات والانتقالات التقنية الأولى المسماة بالعصر الحجري، ثم التقنيات المرتبطة بالعصر الحديدي فالزراعي، والتي بدأت منذ عدة آلاف السنوات قبل الميلاد". ومن حصر العولمة في نطاق التحولات في الرأسمالية العالمية قال[3]: "إن العولمة حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء، وفي ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها، وفي ظل نظام للإنسانية جمعاء، وفي ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها، وفي ظل نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ"، وأما المعتمد على تحليل المضمون الواقعي لظاهرة العولمة، والنتيجة المترتبة عليها قال في تعريفها[4]: "إن نظرية العولمة ليست سوى الوجه الآخر للهيمنة الإمبريالية على العالم تحت الزعامة المنفردة للولايات المتحدة الأمريكية"، واستناداً لما سبق، فإننا نرى بالعولمة: "ما هي إلا فرض النموذج الغربي بكل ألوانه المختلفة من اقتصاد وسياسة وسلوك وتربية وثقافة وما يتعلق بذلك من قريب او بعيد ضمن سياق فكري في ظاهره السعادة وباطنه العذاب لدول خارج المنظومة الغربية".

---

(1) المرجع السابق، ص2.

(2) نايف علي عبيد، العولمة والعرب، مجلة المستقبل العربي، العدد (221)، 1997، ص29.

(3) صادق جلال العظم، ما هي العولمة، مجلة الطريق، العدد (4)، 1997، ص34.

(4) نايف علي عبيد، مرجع سابق، ص29.

ثانياً: أشكال العولمة:

العولمة ظاهرة شاملة مركبة لها أشكالها المتعددة الاقتصادية والسياسية والثقافية. ورغم أن العولمة ظاهرة قديمة وليست حديثة، غير أن هيمنة القطبية الأحادية الأمريكية على العلاقات الدولية، قد جعلت منها ظاهرة عالمية، مرتبطة بالتصورات الاستراتيجية الكونية للولايات المتحدة الأمريكية، ارتباطاً لا تنفك عنه، ولهذا فإن الأشكال الواضحة للعولمة في الوقت الحاضر، لا تنفصل عن الأهداف الأمريكية على المستوى الاستراتيجي الكوني في الميادين الاقتصادية والسياسية والثقافية، وهذه الأشكال هي[1]:

أ- العولمة الاقتصادية: وتعني التحول نحو اقتصاد السوق، ومنع الدولة من التدخل في النشاطات الاقتصادية، ورفع الحواجز والحدود من أمام حركة وانتقال رأس المال، وتحرير التجارة العالمية وإزالة القيود المركبة عنها وغيرها من مفاهيم وآليات النظام الرأسمالي، وتعتبر الشركات متعددة الجنسيات من أهم مؤسسات الرأسمال العالمي، إلى جانب المؤسسات المالية الدولية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، التي ترعى هذا الاتجاه وتدعم التحول العالمي باتجاهه عن طريق شروط المساعدات.

ب- العولمة السياسية: وتعني نشر وتعميم مفاهيم الديمقراطية الليبرالية، وما يتبعه من رفض وإنهاء السلطوية والشمولية في الحكم، وتبني التعددية السياسية، والالتزام باحترام حقوق الإنسان، وكذلك استخدام الأمم المتحدة لحماية حقوق الإنسان في العالم، وحماية الأقليات، والتدخل الدولي الإنساني وغيرها، من آليات ما يعرف بالنظام الدولي الجديد[2].

جـ- العولمة الثقافية: وتعني إشاعة قيم ومبادئ ومعايير الثقافة الغربية، وفي مقدمتها النموذج الأمريكي وجعله نموذجاً كونياً، يتوجب تبنيه وتقليده،

---

(1) حسين علوان، العولمة والثقافة العربية، ورقة مقدمة للمؤتمر العلمي الرابع (4-9) أيار 1998، عمان، جامعة فيلادلفيا، كلية الآداب، ص4-5.

(2) السيد ياسين، في مفهوم العولمة، مجلة المستقبل العربي، العدد (228)، 1998، ص12.

وقد استفادت من التطور الهائل والسريع الحاصل في وسائل وأجهزة الإعلام والتقنيات العلمية والمعرفية، في نقل وتقديم هذا النموذج إلى المجتمعات الأخرى[1].

ثالثاً: تحديات العولمة:

تتعرض الثقافة الإسلامية لخطر كبير من جراء ظاهرة العولمة، إذ تمثل العولمة الثقافية أخطر التحديات المعاصرة للثقافة الإسلامية.وهذه الخطورة لا تتأتى عن الهيمنة الثقافية التي تنطوي عليها العولمة فحسب، وإنما عن الآليات والأدوات التي تستخدم لفرضها، فالعولمة ظاهرة تقفز على الدولة والوطن والأمة وتعمل على إضعاف الدولة والتخفيف من حضورها، ويمكن إبراز هذه التحديات على ثلاثة وجوه: تحديات ثقافية حضارية، وتحديات سياسية، وتحديات قومية، وأهم هذه التحديات:

1- التحديات الثقافية والحضارية:

أ- إثارة الشبهات حول الثقافة الإسلامية: لقد جند الغــرب جنده منذ القديم لنشر الأباطيل والأفكار المسمومة عن الثقافة الإسلامية، والتي قوامهـا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فقد قالوا - مثلاً - وعلى لسان جلادستون رئيس وزراء بريطانيا: "ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكـون هي نفسها في أمان"[2]، وبهذا حـدد الغرب هدف حملته على الإسلام وشخصه، فقالوا عنه (القرآن) أيضاً مثيرين الشبهات حوله: "أنه ليس من كلام الله عـز وجل، وإنما هو من تأليف محمد جمعه من ثقافات اليونان والرومان والهند وفارس"[3]، ووضعــوا نبي الله

---

(1) عبد الستار الراوي، العولمة، الفردوس الموعود وجحيم الواقع، مجلة الموقف الثقافي، العدد (10)، 1997، ص32.

(2) عمر الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1981، ص75.

(3) أحمد محمد جمال، محاضرات في الثقافة الإسلامية، بيروت، دار الكتاب العربي، 1983، ص27.

عيسى عليه الصلاة والسلام في مواجهة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا[1]: "إن عيسى لم يخطئ قط بينما ارتكب محمد عدداً من الأخطاء، عاتبه عليها ربه في القرآن"[2]، أي زعم باطل يزعمون أنهم يتناقضون مع أنفسهم فقد قالوا: (أن القرآن من كلام محمد) فلو كان كذلك - كما زعموا - لما أثبت معاتبة نفسه على ما توهموه من أخطاء صدرت عنه، كما أثاروا الحملة على تعدد الزوجات وخاصة تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنهم سكتوا عن تعدد زوجات سيدنا داود وسليمان صلوات الله عليهم، لأنهم زعموا أن داود وسليمان أنبياء لهم وأحبوهم كونهم أقاموا لهم على حد زعمهم ملكاً كبيراً في فلسطين، ويتشدقون في صراعهم مع العرب على فلسطين بحق تاريخي يعود إلى مملكة داود وسليمان، أنه التناقض ولا تناقض بعده. وزعموا أن التشريع الإسلامي مقتبس من القوانين الرومانية، والتراث الفكري الذي خلفه فقهاء الإسلام وعلماؤه وأدباؤه ما هو إلا مزيج من الثقافة اليونانية والهندية والفارسية... إلى غير ذلك، من الشبهات والمفتريات التي يثيرها ويبذلها رجال الثقافة الغربية في وجه الثقافة الإسلامية، للقضاء عليها وإبعاد المسلمين عنها، تمهيداً لقبولهم بأية ثقافة قادمة من خارج الحدود، هذه الثقافة التي تطرق الأبواب اليوم هي ثقافة العولمة.

ب- اختراق الثقافة الإسلامية: بعد إثارة الشبهات حول الثقافة الإسلامية لابد من زعزعتها في نفوس اتباعها، الأمر الذي يسهل على الأعـــداء اختراقها، حيث يعتبر الاختراق الثقافي من أبرز الأساليب المتبعة من قبل قوى العولمـــة الثقافية في صراعها مع الثقافة الإسلامية، فتدفـق المعلومات عبر تقنيـات

---

(1) نستعيذ بالله مما يقول ونحن في هذا الشأن لا نقول إلا ما جاء في كتابه عز وجل : ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ سورة البقرة الآية:285

(2) أحمد محمد جمال، مرجع سابق، ص28.

المعرفـــة والإعلام والثقافة الحديثة لا يقصد منه إلا بث وإشاعــة مفاهيم جديدة في أوساط المثقفين المسلمين، وبالتالي التوغل إلى منظومة القيم والمبادئ والمفاهيم الأساسية للثقافة الإسلامية، وزعزعة القناعات بها والترويج لقيم ومبادئ ومفاهيم قوى عولمة الثقافة، التي تتركز حول تعميم الثقافة الغربية وخاصة الأمريكية الوافدة، ولاشك أن الاختراق الثقافي يمثل أحد المداخل المهمة لاقتحام عقول المثقفين المسلمين، ومن ثم التأثير في قناعاتهم بالأسس والمرتكزات الجوهرية التاريخية للثقافة الإسلامية.

ولعل الهدف المركزي للاختراق الثقافي الذي تتمحور حوله ثقافة العولمة، هو خلق حالة من التقبل لنمط الثقافة الغربية وخاصة الأمريكية، ونشر مبادئه ومفاهيمه في إطار المجتمع العربي، وفي أوساط المثقفين المسلمين على وجه الخصوص، من أجل النيل من خصوصية الثقافية الإسلامية، وتدمير هويتها. ففي واقع الحال أن العولمة في صراعها مع الثقافات القومية للأمم الأخرى، تستخدم نمطاً أيدولوجياً للإختراق يقوم على نشر وتكريس جملة أوهام تنتظم على أساسها مكونات الثقافة الإعلامية الجماهيرية الغربية، وخاصة الأمريكية، ومحصلتها النهائية تكريس الأيديولوجيا الفردية المستسلمة، والتي توظف لضرب الهوية الثقافية للأمة الإسلامية.

جـ- تذويب الثقافة الإسلامية[1]: بلا أدنى شك أن عولمة الثقافة ليست إلا نقل الثقافة الغربية وخاصة الأمريكية بكل ما تتضمنه من قيم ومفاهيم، إلى مستوى الثقافة العالمية وتعميمها على الأمم والشعوب، بوصفها ثقافة وأيديولوجية كونية، ومثل ذلك بما يعنيه من سيادة وهيمنة النموذج الأمريكي على الثقافات القومية، ينطوي بالنتيجة على تذويب لهذه الثقافات في إطار هذه الثقافة العالمية التي وصفت بكونها كونية.

---

(1) حسين علوان حسين، العولمة والثقافة العربية، ص10.

ففي واقع الأمر أن الإطار الكوني للثقافة لن يكون أكثر من منظومة فكرية أيديولوجية لاستيعاب الثقافات القومية، وإذابتها في إطار المكون الثقافي العالمي، وهكذا تشهد الساحة الثقافية الإسلامية محاولات عبر وسائل الإعلام والدعاية المتطورة، ونجاحات في الترويج للنموذج الغربي وتقديمه إلى الأوساط الثقافية الإسلامية كنموذج عالمي للثقافة، الأمر الذي فتح الأبواب مشرعة أمام صراع الاستيعاب والإذابة من جانب الثقافة العالمية والخصوصية والاستقلال من جانب الثقافة الإسلامية.

د- فرض التبعية على الثقافة الإسلامية[1]: من الطبيعي أن يستتبع عمليات الاختراق الثقافي، والاستيعاب والتذويب الثقافي فرض التبعية على الثقافات الأخرى، في إطار المكون الثقافي المعولم المتمثل بالثقافة الغربية وخاصة الأمريكية، فعولمة الثقافة اتجه إلى صياغة ثقافة عالمية لها قيمها ومعاييرها، غرضها الأساسي ضبط سلوك الدول والشعوب.

وإزاء إشكالية العلاقة بين النموذج الثقافي المعولم والخصوصية الثقافية للأمة الإسلامية، نجد أن الغرب اتبع عدة أساليب لإلحاق الثقافة الإسلامية في ركب ثقافتهم، التي لا تتلاءم وفطرة المسلم وبيئته[2]، فعلى الرغم مما صبه الاستعمار الغربي من بطش وتنكيل على المسلمين، ومما أنزله من ضروب الفتن، وما دمر من حكوماتهم واحتل أراضيهم وسرق خيراتها لصالح حضارته، إلا أن هذه الأعمال الإجرامية كلها لا تساوي ظلماً ارتكبه الاستعمار الغربي حين فرض على المسلمين أنظمته التربوية الحديثة الغربية، وصرفهم عن معتقداتهم وتقاليدهم، لقد حاول بهذه الطريقة أن ينشئ فيهم أجيالاً تتنكر لشخصيتها الإسلامية وتقتنع بتفاهة ثقافتها الإسلامية، وأن نظامها الحياتي الإسلامي أصبح لا يجاري تطورات الحياة، وهذا في حد ذاته تذويب للثقافة الإسلامية وإحلال الثقافة الغربية محلها.

---

(1) المرجع السابق، ص13.

(2) أحمد محمد جمال، مرجع سابق، ص24.

2- التحديات السياسية:

وأما التحديات لظاهرة العولمة سياسياً فقد تركزت على الملامح التالية[1]:

أ- هيمنة الدور الأمريكي على النظام العربي: لقد برز دور الهيمنة الأمريكية على السياسة الإقليمية في المنطقة العربية، من خلال تطور مراحل أزمة الخليج الثانية (1990)، وقيام الولايات المتحدة مستغلة لهذا الحدث بنشر قواتها العسكرية وبأعداد ضخمة في المنطقة، وخاصة في الطرف الشرقي للوطن العربي، بحجة تنفيذ مقررات الشرعية الدولية والتي جوهرها قرارات الأمم المتحدة بحق العراق[2]، والحفاظ على الأمن الوطني للدول الحليفة في منطقة الخليج، وتبرز هذه الهيمنة باستخدام القواعد الأمريكية في تركيا ضد الوطن العربي، ناهيك عن التعاون الأمريكي - الصهيوني من خلال دولة يهود القابعة في قلب الوطن العربي، والقواعد الأمريكية الأخرى في المحيطين الأطلسي والهندي ومياه البحر الأبيض المتوسط، إن لهذه الهيمنة آثاراً سياسية سلبية حلت بالوطن العربي، وفي مقدمتها زيادة الاعتماد العربي على الولايات المتحدة وإعلان العرب بشكل واضح من خلال الممارسة قبول التبعية وانحناء الهامات العربية للولايات المتحدة الأمريكية[3].

ب- استمرار عمليات التسلح وبروز ظاهرة العنف في الوطن العربي: إن إشعال فتيل الحرب بين الجارتين المسلمتين العراق وإيران، كان من شأنه زيـادة عمليات التسلح بين الطرفين، وكذلك بين الدول التي تجاور كلاً منهما،

---

(1) حمدي عبد الرحمن حسن، العولمة وآثارها السياسية في النظام الإقليمي العربي، المستقبل العربي، العدد (285)، 2000م، ص6 وما بعدها.

(2) يمكنك الرجوع لهذه القرارات والتي أثبتناها جميعاً في المبحث الأول من الفصل الثالث في هذا المؤلف.

(3) إن الهيمنة الأمريكية تتضح من خلال أربعة مؤشرات أساسية:

- تقرير وضع العراق ومكانته في النظام العربي بعد حرب الخليج
- إنها الدولة المحورية في أية محاولة لتسوية الصراع العربي - الصهيوني.
- الانفراد بترتيبات أمنية خاصة بدول الخليج.
- التأثير على باقي الدول العربية الفقيرة من خلال سياسة المنح.

وذلك من قبيل الاحتياط والاستعداد لأية مفاجأة، وكذلك دخول العـــراق الكويت، والحملات التخويفية للأنظمة العربية المجاورة من قبـــل الغرب، والتهويل الإعـــلامي من الاستعدادات والقوة العسكرية العراقية الضاربة، واستغلال هذا الغرب لتصريحات بعض قادة العراق، كل ذلك أدى إلى زيـــادة الطلب على السلاح الغربي، وهذا له انعكاسات إيجابية على الغرب تمثلت بزيادة نمو اقتصاده، والقضاء على البطالة المتفشية بين صفوف أبنائه، وإشباع الرغبة الرأسمالية الجامحة للهيمنة المالية على مقدرات الأمة العربية، ولا ننسى أن الكيان الصهيوني هو المستفيد الأول، لأن زيادة التسلح في ظل فرض أي تسوية، أقول، فرض تسوية للصراع العربي - الصهيوني وبالمقابل إطلاق يد العنان للكيان الصهيوني لامتلاك أحدث الأسلحة وفي مقدمتها التدميرية[1]، يعد هذا التسلح العربي من أجل استخدامه ضد أبناء العروبة بعضهم لبعض، كما وجه السلاح العربي ضد العربي في حرب التحالف الخليجية، إن استمرار وزيادة التسلح يؤدي أيضاً إلى تزايد معدلات العنف، سواء داخل حدود الدولة القطرية العربية أو بين الأقطار العربية مثل: حركات الإسلام السياسي في كل من مصر والجزائر وبلاد المغرب العربي، وبين الأقطار العربية في ظل غياب آلية صحيحة لتسوية المنازعات الحدودية، قد تنشب حالة عنف بين بلدين أو أكثر بسببها، ومن أمثلة هذه المنازعات: النزاع القطري - البحريني، والنزاع السعودي - اليمني، والنزاع السوداني - المصري، والنزاع العراقي - الكويتي... الخ[2].

جـ- تزايد دور القوى الإقليمية غير العربية[3]: إن القوى الإقليمية

---

(1) المعهد العالي للدراسات الاستراتيجية، الميزان العسكري في الشرق الأوسط، مجلة الفكر العسكري (سورية) 1976، ص224-233.

(2) للإطلاع على هذه النزعات والتي قد أثبتناها راجع المبحث الخامس من الفصل الثالث من هذا المؤلف.

(3) راجع في هذا:

- فتحي عثمان، الصراع العربي - الصهيوني، القوتان العظميتان، مجلة المنار، العدد (100)، 1985، ص42 وما بعدها.

- حسن محمد حجازي محمد، العلاقات العربية مع دول الجوار الإقليمي، السياسة الدولية، العدد

المحيطــة بالعالم العرب تتمثل بـ : تركيا في الشمال وإيران في الشرق وأثيوبيا في الجنـوب، إن تعاظم دور القومية المنبوذة إسلامياً وترسيخها في النفوس جعلت من تركيا وإيران أعداء للعرب، وبالمقابل جعلت العرب أعداء لتركيا وإيران، في حين تضع أثيوبيا كلاً من تركيا وإيران والعرب في كفه واحدة، ألا وهي كفة الأعداء على اعتبار أنها جميعاً دول إسلامية، في حين تعتنق أثيوبيا المذهب النصراني، لقد شجع تركيا في تبني دورٍ عدائي للأمة العربية، القيود التي تواجهها تركيا في حركتها صوب أوروبا، لكونها تطمع في الانضمام لرابطة الجماعة الأوروبية، والتقاء المصالح التركية مع المصالح اليهودية في فلسطين، كون تركيا تعمل على مؤازرة اليهود لإلهاء العرب مع اليهود، في حين تعمل أثناء ذلك للعب في المياه الدولية ذات المنابع التركية، وهذا ما أخذت العبث به نتيجة قيامها بإنشاء السدود وقطع مياه الفرات، وتدني نسبة تدفقه. وأما إيران فالجزر العربية طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى مثار جدل في السيادة عليها مع الجانب العربي، وكذلك السيطرة على مضيق هرمز وسير الملاحة فيه، وأما أثيوبيا فالعبث في مصادر مياه النيل وتحويل البحر الأحمر إلى بحيرة أثيوبية، والتحكم في سير الملاحة فيه، بالتعاون مع عدو الأمة الكيان الصهيوني في فلسطين، كل ذلك أقلق العرب من جميع النواحي حتى أصبح العبث في أمنهم القومي والمائي والغذائي من الأمور الاعتيادية، من قبل هذه الدول الإقليمية في ظل غياب الإسلام والعمل بموجب مبادئه.

د- تعميـق أزمة النظام الإقليمي العربي وعدم استقراره[1]: إن

---

(87)، 1987، ص38 وما بعدها.

- محمد كريم إبراهيم، جزر دهلوك في البحر الأحمر، مجلة الخليج العربي، البصرة، العدد (1)، 1989، ص117-153.

- عبد المنعم سعيد، العرب ودول الجوار الجغرافي، بيروت، مركز دراسات الوحدة، 1987.

(1) محمد سيد أحمد، هل يتحقق الأمن للأمة العربية بالارتداد إلى النظام الشرق الأوسطي، مجلة شؤون عربية، العدد (35)، 1984، ص148.

نشـأة الدولة القطرية تعني، تجزئة المصلحة العامة إلى عدة مصالح، وبعدد الدول القطرية في الوطن العربي، فعرفت باسم المصلحة الوطنية، وقدمت هذه المصلحة على المصلحة القومية للعرب، وباختلاف مصالح كل دولة قطرية مع شقيقتها أدى هذا إلى ولادة أزمة قطرية بين كل قطر وآخر، إن أزمة الخليج الثانية عمقت هذه الأزمة بين ما عرف بدول التحالف ودول اللاتحالف، وأعيدت المبادئ القومية والتي عنوانها التعاون العربي إلى نقطة الصفر، وأصبح لكل دولة شأن آخر لا يعنيها شأن الدول الأخرى، إن مظاهر تعميق أزمة النظام العربي تتجلى فيما يلي: تعطيل أعمال مؤتمرات القمة العربية، رغم أن الظروف التي مر بها الوطن، العربي تستدعي عقد مثل هذه المؤتمرات، مقاطعة الدول العربية بعضها البعض، واللجوء إلى الغرب عند الأزمات العربية لاستجلاب البلسم الشافي لجراحات العرب التي لم تندمل يوماً ما، وتطبيق قرارات الأمم المتحدة وتعطيل قرارات جامعة الدول العربية إذا ما تعارضت.

هـ- ازدواجية المعايير في تطبيق الشرعية الدولية: إن هيمنة الولايات المتحدة على الأمم المتحدة أدت إلى تطبيق قانون شريعة الغاب، ففي الوقت الذي فرضت الحصار الدولي على كل من ليبيا والسودان والعراق، لم تطبق أياً من القرارات الدولية على الكيان الصهيوني الغاصب في فلسطين، وفي الوقت الذي أقامت الدنيا ولم تقعدها على حادثة طائرة لوكربي، لم تحرك ساكناً عندما قامت السلطات الصهيونية في فلسطين بإسقاط الطائرة الليبية في شباط عام 1973، وقتلت جميع الركاب وعددهم (104) أشخاص، كما وصفت الغارة على تونس في تشرين الأول عام 1985 من قبل الرئيس الأمريكي ريغان بأنها عمل شرعي[1].

إن التحديات السياسية لعصر العولمة تنعكس في جملة الحقائق السابقة، والتي

(1) انظر جملة الأسباب التي ترى بالولايات المتحدة غير جديرة بقيادة العالم - بمعنى استحالة دوام النظام الأحادي - ناصيف يوسف حتي، أي هيكل للنظام الدولي الجديد، مجلة عالم الفكر، العدد (3، 4)، 1995، ص107-109.

تمارسها الولايات المتحدة الزعيم العالمي الأوحد على الأمة العربية، وإن التحديات السابقة ليست كل التحديات بل جزء منها.

3- التحديات القومية:

إن انعكاسات ظاهرة العولمة قومياً تتجلى في عدة صور، ولهذه الصور في بعدها الآخر آثار سلبية، سيبتلي بها الوطن العربي، من الصعب عليه الإنفكاك منها في المستقبل المنظور، وأهم هذه التحديات هي:

أ- **تفكك النظام الإقليمي العربي واستبداله بنظام شرق أوسطي:** وهذا النظام يعني في أحد صوره، إدخال الكيان الصهيوني ضمن ثناياها، وإخراج الدول العربية في الغرب العربي من النظام الإقليمي العربي كون هذه الدول ليست بمشرقية[1].

ب- فرض شروط على الأنظمة السياسية العربية، لكون قوى العولمة تسعى إلى تحقيق حرية التجارة الخارجية، وحرية تدفق رأس المال، وهذه الشروط هي: وضع الخصخصة موضع التنفيذ بل مزيداً منها، والعمل بحرية الأسواق الداخلية، وانتشار وتعميق ثقافة السوق، ولما كانت الأطرف غير متكافئة بين دول الغرب والدول العربية، فهذا سيؤدي إلى تكريس التخلف والتبعية العربية للدول الغربية، يعني استعماراً جديداً تفتح الدول العربية أحضانها له طواعية وعن طيب خاطر.

جـ- تمزيق الهوية العربية من خلال الاختراق الثقافي للعالم العربـي، ففي ظل غياب أي وعي، بأهمية الثقافة في حسم العقبـات المتشعبة التي تحول دون التماسك الثقافي لسلامة العربية، وفي ظل عدم إدراك صناع القـرار السياسي في الوطن العربي، للأهمية التي تحدثها الثقافة في تشكيل المواقف الوجـدانية والفكريـة التي تخلق وحـدة الموقف الفكري، والذي يعتبر نواة الوحدة العربيـة والتماسك الثقافي والحضاري، أدى ذلك إلى تبني سياسات أجنبية،

---

(1) إبراهيم عبد الكريم، إسرائيل والنظام العربي، مجلة الوحدة، العدد (56)، 1989، ص21-22.

كالسير في ركاب الغرب[1] نتيجة ارتماء الدول العربية بأحضان الغرب، وهذا بدوره يتطلب العمل بالمنهج الغربي في العادات والتقاليد ونظام المعيشة ونظام الأسرة.. الخ.

وهذا يؤدي إلى مزيدٍ من الأقلمة والتي تتنافى مع أبسط قواعد الفهم القومي العربي، الباحث عن الوحدة عبر مسيرة تاريخه الطويل، إن الأقلمة فرضت منذ اتفاقية سايكس - بيكو عام 1916 وأكدت على الدول العربية منذ أن بدأ مؤتمر مدريد للسلام عام 1991، حيث رفض الكيان الصهيوني التعامل مع العرب كفريق واحد أثناء المفاوضات، ورضي العرب بالجلوس مع هذا الكيان كل دولة على انفراد عرفت باسم المسارات.

رابعاً: مواجهة العولمة:

إن المخاطر المحدقة بالثقافة والحضارة، وكذلك على الأنظمة العربية السياسية، والمسيرة القومية الإسلامية المترتبة على ظاهرة العولمة الثقافية، تجعل من مسألة مواجهة هذه الظاهرة ضرورة لا مناص منها، تستوجب التحسب الدقيق والمكثف لتحدياتها وانعكاساتها وتأثيراتها الآنية والمستقبلية أيضاً، ومبعث هذا التحسب يتأتى عن طبيعة القوى التي تقف وراءها ومعاداتها الصريحة والعلنية للأمة الإسلامية، وتنبع ضرورات المواجهة الإسلامية لظاهرة العولمة الثقافية بالأساس من الحاجة لحماية الهوية الإسلامية، وصيانة خصوصيتها الذاتية، كونها أحد الوسائل المهمة التي تعبر عن شخصية الأمة، وبقدر ما تشكل عملية حماية الثقافة الإسلامية مهمة إنسانية جوهرية، في التصدي للعولمة الثقافية وقواها تشكل في التوجه ذاته قوام التطور الحضاري الإنساني ودعم التفاعل الحضاري والثقافي بين الأمم والشعوب

---

(1) قاسم عبده قاسم، البعد الثقافي للصراع العربي - الإسرائيلي، مجلة الوحدة، العدد (56)، 1989، ص39.

ولمواجهة فكرة العولمة لابد من الأخذ بالمهمات الأساسية التالية[1]:

أ- تحصين النشء بالثقافة الإسلامية وذلك عن طريق تزويده بعقيدة صحيحة، تجعله معتزاً بها فخوراً بمبادئها، متمسكاً بتعاليمها، خاضعاً لخالقه، مستسلماً له في كافة الأمور والأحوال، عندها سيُرسي قواعد الإيمان في الأرض، ونتيجة التسلح بالإيمان، يكون عندها قادراً على التصدي لخصومه ورد تحديات المغرضين وإبطال حججهم، ونقض آرائهم ومحاربة أفكارهم، إن العقيدة الصحيحة تجعل المسلم ذا فكر مستنير قادراٌ على الربط بين الحاضر والماضي، ماضيه المجيد الذي يستشرف منه السبيل إلى التقدم الإنساني نحو بناء حضارة الإنسان، ويسلحه بالفكر الواعي، ويطبعه بطابع مميز أصيل قادر على مواجهة التيارات المعادية للإسلام، والتي ما برحت ترسم خططها وتنفث سمومها وتجمع مكائدها وتبث مكرها، لتشويه الفكر الإسلامي وإبعاد المسلمين عن ثقافتهم الإسلامية الحقة، لتحل محلها ثقافةً مستوردة من خارج الحدود هذه المرة هي ثقافة العولمة.

ب- إدراك وفهم التناقضات التي تكتنف فكرة العولمة، وكشف الزيف الذي تستتر خلفه قواها، وبقدر ما تبدو هذه المهمة أمام المثقفين مهمة إسلامية، فإنها مهمة إنسانية يمكن تأديتها عبر التفاعل مع مثقفي الأمم الأخرى وخاصة مع متقفي الأمم التي تجهد إلى تسويق العولمة[2].

جـ- تأكيد الهوية العقائدية الدينية للثقافة الإسلامية وتنميتها عن طريق تفعيل الإسلام في شتى مناحي الحياة، وبروح بعيدة عن التزمت والإفراط لكون النموذج الثقافي الذي يروج إليه الغرب (العولمة) لا يرضى إلا بطمس الهوية الثقافية عند الأمم الأخرى[3].

---

(1) حسين علوان حسين، مرجع سابق، ص12 وما بعدها.

(2) للوقوف على حقيقة تناقضات العولمة - انظر - علي حسين الجابري، العرب بين سياسة الأضواء والحرب الدائمة، مجلة آفاق عربية، العدد (9-10) تشرين الأول 1996، ص16.

(3) مطاع الصفدي، ميتافيزيقية التبعة والهوية، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد (17)، 1981، ص11.

د- إثبات وتطوير الخصوصية الذاتية للثقافة الإسلامية وتعزيز تميزها عن الثقافات الأخرى، من خلال تنشيط التفاعل والتمحور الثقافي الإسلامي مع ثقـافة الأمم الأخرى، إذ أن منطق الحوار هو المنطق الوحيد الذي يسمح باستمرارية الوجود مع الإبقاء على التمايز.

هـ- جعل العلوم الدينية أساساً للتعليم في كافة المراحل وخاصة المرحلة الأساسية (الإلزامية)، مع الحرص على وضع مناهج تعليمية مكتوبة بأقلام حريصة كل الحرص على الثقافة الإسلامية، وعدم إرسال البعوث إلى الدول الأجنبية إلا من بين المتحصنين ثقافياً، الذين نهلوا من الثقافة الإسلامية ما قوى وازعهم الإيماني، وذلك من أجل ضمان عدم زيغهم وعدم انطلاء الأفكار الماكرة عليهم، فيعودون وهم يحملون الوباء والأمراض التي لا تعود بالخير على أمتهم.

إن ما سبق يؤدي إلى تلاقي الأفكار العربية لأبناء الوطن العربي، مهما تعددت القطريات السياسية في هذا الوطن العربي، كما تتلاقى أفكار العرب بأفكار المسلمين في كل أصقاع الدنيا، هذا التلاقي يؤدي إلى قيام الوحدة العربية، والتي تعد بمثابة المقدمة لقيام الوحدة الإسلامية، وباجتماع المسلمين معاً عرباً وعجماً يعني القوة والمنعة، وفي القوة والمنعة تهاب حدودهم ويخشى الأعداء سطوتهم، ويعترفون طواعيه، وإن لم تكن، فيعترفون رغم أنوفهم بحقوق المسلمين وعدم الاعتداء عليهم.

خامساً: تصحيح الذات العربية والذات الإسلامية:

ويجب أن يكون لهذا الأولوية قبل الحديث عن كيفية إصلاح الصورة العربية الإسلامية في الغرب، فالأصل هو "الأصل"، ومن يستخدمون "الصورة المشوهة" يستندون أيضاً إلى تشوهات قائمة في "الأصل نفسه"، ولأن العرب هم قادة العالم الإسلامي، ولأن تقدمهم وخيرهم هو تقدم وخير لكل العالم الإسلامي، كما يؤكد ذلك التاريخ والحاضر، فالأولى بالعرب اليوم تصحيح واقعهم وحسم الانتماء إلى

هويتهم الثقافية العربية ومضمونها الحضاري الإسلامي[1].

وقبل أن نودع العولمة لابد من القول: ان العولمة تحد كبير يحتاج من الأمة أن تستدعي مثقفيها وعلماءها ومفكريها إلى رصد العولمة والتصدي لها من منظور إسلامي، والعولمة قضية شائكة تتطلب التفهم الإيجابي لبعض مكوناتها كالاستفادة من التقنية أو الجوانب الاقتصادية التي لا تتعارض مع مصالح الأمة المسلمة.

وهذه الدعوة تحتاج إلى عقول ورجال وإمكانات بحجم التحدي الهائل، وبحجم الإحجام والإهمال الذي نشعر به من مثقفي المسلمين الأصلاء، والذين نخجل من نتاجهم في هذا الجانب مقارنة باهتمام ومتابعة ومقاومة الاتجاهات الفكرية الأخرى داخل وخارج عالمنا الإسلامي.

بقيت حقيقة هي منطلق هذه المحاولات والدعوات، كما أنها هي الضوء في نهاية نفق التحدي فهذه الحقيقة هي: أبداً لن تهزم ثقافة العولمة الإيمان الحقيقي بالله، إيمان الغلام حين يُستدعى للموت فيطلب الشهادة شريطة أن يُنادي بُسمع الكون وبصوت عال... "باسم الله رب الغلام" (وَاللَّه غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)[2].

---

(1) صبحي محمد غندور، الترهيب بصدام الحضارات، الترغيب بالعولمة، مجلة المعرفة، العدد (46)، 1999، ص29.

(2) سورة (يوسف)، الآية (21).

الفصل الثامن

سباق التسلح
ومستقبل السلام الدولي

الفصل الثامن
سباق التسلح ومستقبل السلام الدولي

مقدمة:

يتميز النظام الأمني الدولي منذ نهاية الحرب الباردة في أبعاده الأمنية والعسكرية بتوجه نحو حظر الأسلحة المتطورة وعدم انتشارها، وبخاصة مراقبة الأسلحة النووية، وتقتصر الاتفاقية الدولية الأولى لحظر انتشار الأسلحة النووية التي سرى مفعولها عام 1970م، على: "حق امتلاك الأسلحة النووية وصناعتها على الولايات المتحدة وروسيا والصين وفرنسا وبريطانيا، أما الدول غير النووية فتتعهد بعدم حيازتها أسلحة نووية أو تصنيعها، وهي ملزمة أيضاً بالخضوع لرقابة وكالة الطاقة النووية الدولية، ومن ثم أبرمت بين الولايات المتحدة وروسيا (الاتحاد السوفياتي سابقاً)، اتفاقية الحد من الأسلحة النووية البعيدة المدى (START,1) و (START, 2)، بهدف التوصل إلى نزع شامل لهذا النوع من الأسلحة[1].

ومن أهـم اتفاقيات الحد من الأسلحة الخطيرة، معاهــدة الحد من الأسلحة المضادة للصواريــخ العابرة للقارات (ABM)، التي أبرمت بـين واشنطن وموسكو عام 1972، ومن شأنها حظر نشر نظام دفــاع صاروخي شامل على مستوى وطني، وتسمح فقط لكل من الطرفين بإقامة موقعـين

---

(1) نبيل صحي، الأسلحة الكيميائية والجرثومية - بيروت: مؤسسة الرسالة 1990, ص72 وما بعدها، وأما ما يخص منطقتنا العربية - انظر - اللواء ممدوح حامد عطية، أسلحة التدمير الشامل والصواريخ البالستية في منطقة الشرق الأوسط وخيارات إزالتها، مجلة استراتيجياً، عدد (آذار/ نيسان)، 1994م. وللمزيد من المعرفة حول الحروب التدميرية - انظر -

ضيف الله بن محمد الصعيان، الحرب البيولوجية (الجرثومية)، مجلة البيان، العدد (169)، 2001م، ص100-103.

محدودين داخل حدودهما للحماية من الصواريخ، وبالتالي تمنع هذه المعاهدة استخدام مركبات فضائية لنظام دفاعي مضاد للصواريخ.

وفي هذا الفصل سنبحث سباق التسلح والسلام والأمن الدوليين في فقرتين منفصلتين وعلى النحو التالي:

أولاً: سباق التسلح العالمي

الملاحظ من المقدمة أن الدول الكبرى أجازت لنفسها امتلاك والتسليح بالأسلحة النووية في حين حرمت الدول الأخرى من حيازتها أو تصنيعها، ونحن في هذا الصدد، سنتناول مجموعة الدول الكبرى ودورها في حق الامتلاك والتصنيع، والحد الذي تجاوزت فيه الحدود الذي أدى إلى السباق فيما بينها في هذا المجال، وكذلك موقف الدول الأخرى حول هذه المسألة.

1- الولايات المتحدة:

إن الولايات المتحدة لم تعير بالاً للاتفاقيات التي قطعتها على نفسها بعد أن شعرت بضعف الاتحاد السوفياتي، وقيامها بدور الدولة الأولى في العالم، وإعلانها عن قيادة النظام الدولي الجديد خاصة بعد أزمة الخليج الثانية عام 1991، فعملت على القفز فوق معاهدة (ABM) التي أبرمت عام 1972 بينها وبين موسكو، فتبنت حزمة من الإجراءات التسليحية من شأنها إعادة سباق التسلح من جديد وأهم ما في هذه الحزمة[1]:

أ- مشروع حرب النجوم:

الذي أعلنت الولايات المتحدة بتبنيه في عقد الثمانينيات من القرن الماضــي، والذي كانت تهدف من ورائه نشر آلاف الأقمار الصناعية الصغيرة

(1) رائدة شبيب، إدارة بوش تعيد سباق التسلح، مجلة المجتمع (الكويتية)، العدد (1448)، 2001، ص45-46.

القادرة على مهاجمة وتدمير الصواريخ العابرة للقارات، وتدميرها في الجو قبل وصولها للولايات المتحدة، إلا أن الإدارة الأمريكية قد تخلت عن المشروع الذي اطلقه الرئيس الأمريكي ريجان عام 1993م، والذي كان معروفاً باسم (Strategic Defence Initiative, SDI).

وفي عام 1998 قدمت لجنة رامسفيلد - وزير الدفاع الحالي في إدارة بوش الابن، تقريراً بالمبررات الضرورية لتطبيق مشروع صاروخي، يشكل درعاً واقياً للولايات المتحدة، وقد أبرز التقرير إمكانية تعرض الولايات المتحدة للتهديدات من جانب كوريا الشمالية وإيران، والتي جاءت على أساس تحليلات مختلفة للتحديات الجديدة للولايات المتحدة، وفي عام 1999 وقع الرئيس بل كلنتون القانون الخاص بدرع الصواريخ، وأعلن عن اتخاذ قرار نهائي بشأنه في منتصف عام 2000، لكنه رحل عن سدة الحكم وترك الأمر لخلفه.

ويعتلي جورج دبليو بوش (الابن) سدة الحكم في الولايات المتحدة، ويعيد للولايات المتحدة سياسة جديدة في عالم التسلح، مما يدفع العالم إلى الاندفاع إلى مضمار السباق لصناعة السلاح الأكثر تطوراً، وأكثر فتكا ببني الإنسان وإنهاء مقومات وجوده على هذه المعمورة، وذلك من خلال عدة إجراءات تسليحية تبنتها الولايات المتحدة منها[1]:

ب- تبني برنامج الليزر المحمول:

وهو برنامج متعلق بالقوات الجوية لاعتراض الصواريخ العابـــرة للقـارات، وأشار الكولونيل (جيمس فوريست) أحد المسؤولين عن هذا البرنامج (أن جهـاز الليزر المحمول فوق طائرات البوينغ سيختبر في عام 2003، في إسقــاط صاروخ على بعد 200 ميل وعلى ارتفاع (40) ألف قــدم.

---

(1) سباق التسلح إلى أين؟ مرة أخرى.. تضع العالم على برميل بارود، في (www. Globble.com) تاريخ 11 شباط 2004.

وتبلغ تكلفته (11.3) مليار دولار، فيعتبر من عداد الأسلحة المستقبلية التي يعول عليها الرئيس بوش وإدارته الكثير في تسريع وتيرة العمل لتطوير الدرع الواقي من الصواريخ، رغم ما يواجهه من معارضة من جانب روسيا والحلفاء الأوربيين، الذين يتخوفون من انطلاق سباق التسلح من جديد في العالم، ويفترض أن يتمكن جهاز الليزر المحمول في مقدمة طائرات البوينغ (747)، من تعقب وإسقاط أربعة صواريخ قصيرة المدى معاً، وفي وقت واحد تقريباً تتحرك أشعته، بسرعة الضوء، وتحمل طائرة بوينغ (747) المعدلة، (3) أنواع من أشعة الليزر، تعمل الأولى على حساب طول الصاروخ من أنفه وحتى نهايته، أما الثانية فإنها تحدد خزان الوقود، والثالثة على خرق سطح الصاروخ، ويرى الخبراء إنه لو تم تفجير خزان الوقود فإنه يعني قد تم تدمير الصاروخ نهائياً. لكن بعض التقارير أشارت إلى كثرة المخاطر التي ينطوي عليها تنفيذ هذا البرنامج، وإن كثرة المشكلات التقنية المعتبرة أوقفت العمل بهذا البرنامج، إلا أنه فتح عيون الروس والصينيين والحلفاء الأوروبيين، الذين يتخوفون من انطلاق سباق تسلح جديد في العالم، على أن أمريكا لن تنثني عن خوض غمار ميدان سباق التسلح.

جـ- فتح الباب لانتشار الأسلحة الخفيفة:

على صعيد الأسلحة الخفيفة، فإن واشنطن وضعت عراقيل حقيقية أمام الحد من انتشار الأسلحة الخفيفة على الصعيد العالمي، وكانت هي الدولة الأبرز والرافضة لمكافحة انتشار مثل هذه الأسلحة، فقد فرضت واشنطن سياستها على مؤتمر الأمم المتحدة حول الأسلحة الخفيفة،وقد كانت النقطة التي حازت الاهتمام من النقاشات هي رغبة الدول في حصر تجارة الأسلحة المشروعة بالحكومات وهو ما رفضته واشنطن.

د- تزويد عناصر غير تابعة للدول بالأسلحة:

وعلى صعيد المناطق ذات الحساسية القابلة للانفجار، فقد سارعت

واشنطن إلى تفجير نقاط دموية فيها، وذلك عندما رفضت تقييد يديها في السياسة الخارجية عبر رفض تزويد عناصر غير تابعة للدول بالأسلحة (أي حركات التمرد)، وهذه الأسلحة من المسدس إلى منصات الصواريخ المضادة للطائرات مروراً بالكلاشينكوف، فقد انتشرت بشكل واسع قبل نهاية الحرب الباردة منذ عشرة أعوام في دول أفريقيا وأسيا وأمريكا اللاتينية، فهذه الأسلحة تصرع أكثر من (1000) شخص يومياً، كما كانت الأسلحة الأساسية في حوالي (46-49) نزاعاً منذ مطلع التسعينات، وهي توقد النزاعات الأهلية والإرهاب والعنف وتشعل فتيلتها فتوقع (500) ألف سنوياً ممن فيهم (90%) من المدنيين، وانتقدت منظمات غير حكومية كثيرة أنانية الولايات المتحدة في موقفها الرافض لمكافحة وتسويق مثل هذه الأسلحة.

هـ- مشروع الدرع المضاد للصواريخ:

قد حسمت حكومة الرئيس بوش امرها لصالح تنفيذ مشروع الدفاع الصاروخي القومي (National Missile Defence, NMF)، والذي يرتكز على فكرة قوامها: أن تكون الولايات المتحدة قادرة على الفوز في صراع أو حرب ما في أي مكان من العالم، دون مجازفة أو مخاطرة، وفرض وزير الدفاع الأمريكي (رامسفيلد) في مؤتمر الأمن الذي عُقد في ألمانيا (3-4)/2/2001 هذا القرار بكلمة حاسمة، ووضع الأوروبيين والروس والمجتمع الدولي أمام الأمر الواقع، صحيح أن المسؤولين الأمريكيين الذين تمثل بلادهم أكبر قوة نووية وعسكرية في العالم، عرضوا على حلفائهم إمكان الحوار في الموضوع، لكن هدف هذا الحوار يقتصر على إقناعهم بالمشروع، لا لفسح المجال لإيجاد حل يرضيهم.

وهنا تتمحور المشكلة الأساسية لنظام الدفاع الصاروخي الأمريكي، فالمشروع لا ينسجم إطلاقاً مع الهيكل الأساسي لمعاهدة (ABM) سالفة الذكر ومحتواها، حيث أنه يشكل حجاباً أمنياً ضد الصواريخ بما يغطي الأراضي

الأمريكية بأكملها، كما أنه يعمل خارج نطاق الغلاف الجوي للكـرة الأرضية، ويعتمد على الأقمار الصناعية، وهذا بالتالي ما يرغم الولايات المتحدة على إيجاد حل للمعاهدة قبل تنفيذ المشروع، إما بإلغائها بموافقة موسكو أو من جانب واحد، أو بتعديل بنودها بموافقة الطرفين، وبما يجعلها تفقد قيمتها من حيث فكرتها الأساسية، فالغرض من المعاهدة هو منع تحصين القوى الكبرى من الأسلحة بعيدة المدى، بما يحد من تجرؤها على الإقدام على توجيه الضربة الأولى، ولهذا تتمسك روسيا بالقول، أن الولايات المتحدة انتهكت معاهدة (ABM)، وتشير إلى أن هذه المعاهدة تمثل (حجر الزاوية للاستقرار الاستراتيجي)، ويحذر سكرتير مجلس الأمن الروسي من أن: (البناء قد ينهار) من جراء انتهاك تلك المعاهدة[1].

وللمشروع التسليحي الأمريكي عدة أبعاد تختلف بين: أبعاد دولية وأبعاد إقليمية، وأبعاد على مستوى العلاقات بين الشمال والجنوب.

2- روسيا:

ويرى الروس أن الولايات المتحدة الأمريكية اتخذت عدة خطوات دفعة واحدة، لإفساد الجو السائد في العلاقات بينها وبين روسيا من جهة وسائر بلدان العالم من جهة أخرى، وأن تؤدي إلى قفزة كبيرة على صعيد سباق التسلح النووي وهذه الخطوات هي:[2]:

أ- توقيع الرئيس بوش على قانون حول تخصيص الاعتمادات، لتطوير أنواع خاصة من القنابل النووية، الصغيرة والمنخفضة القدرة والعالية الدقيقة القادرة على إثارة ذبذبات زلزالية في أديم الأرض، مما يسفر عن التدمير الكامل للمنشآت العسكرية الفائقة التحصين، مثل مراكز القيادة ومنصات الصواريخ تحت الأرض والترسانة النووية والصاروخية.

---

(1) رائدة شبيب، مرجع سابق، ص47.

(2) ليتوفكين فكتور، الولايات المتحدة تثير سباق التسلح انظر http www. clooble. com تا تاريخ 2004/2/11، ص1.

ب- قيام البيت الأبيض بتخصص (24.9) مليار للبنتاغــون، ووزارة الطاقة الأمريكية، من أجل تحديث ميدان التجارب في ولاية نيفادا، والتي يجب إعدادها لإجراء التجارب النووية تحت الأرض.

جـ- إجراء القوات المسلحة الأمريكية تجارب لنظام الدفاع المضاد للصواريخ، من منصات إطلاق بحرية، وقد تمكنوا من اختطاف الصاروخ الباليستي من الدقائق الأولى بعد إطلاقه وإصابة رأس الحربة بدقة.

إن هذه الإجراءات أقلقت الروس إلى حد قول النائب الأول لرئيس أكاديمية العلوم العسكرية والرئيس السابق لمركز البحوث العملياتية للفترة الواقعة بين (1985-1990) الجنرال كوربوشين: (أن كل هذا خطير جداً بالنسبة لبلدنا) وأردف قائلاً: (إن الأسطول البحري الأمريكي سيتمكن عما قريب من الاقتراب من السواحل الروسية، وإسقاط الصواريخ الاستراتيجية المنطلقة من على من متن غواصاتنا في مرحلة تسارعها، مما يعني جعله سلاحاً لا فائدة منه على الإطلاق لكونه يعجز عن أداء مهمته الأساسية وهي درء العدوان المحتمل[1].

وقال الجنرال نيكولايف رئيس لجنة الدفاع لدى مجلس الدوما الثالث كلمات أكثر صراحة وهي: "إن هذه الخطوة من جانب واشنطن تعني عملياً، أن الولايات المتحدة تفتح أبواب مرحلة جديدة لسباق التسلح النووي"، وأردف قائلاً: "إن العسكريين ينطلقون دائماً لا من تقييم المواقف السياسية للأطراف، والتي قد تتغير مع تغير الأوضاع، وإنما من تقييم الإمكانيات الواقعية، والواقع اليوم هو كالآتي: لو تمكن الأمريكان من صنع رؤوس حربية ذات قدرة لا تزيد على 5 كيلو طن، ولكنها تتميز بدقة فائقة وقدرة عالية على اختراق المنشآت البالغة التحصين، وهذا بالذات يمثل هدف البحوث التي وافق عليها البيت الأبيض لباتت كل الاتفاقيات في بلدينا باطلة (لا معنى لها). وأردف قائلاً: "ستتمكن الولايات المتحدة عندها من نشر

---

(1) المرجع السابق، ص2.

تلك الرؤوس الحربية على متن غواصاتها الحاملة للصواريخ الاستراتيجية من الاقتراب من سواحلنا في البحرين النرويجي والشمالي وتقديم إنذار إلى الكرملين على غرار ما قدمته لصدام حسين تقريباً، وإن وقت تحليق هذه الصواريخ إلى الهدف لا يزيد عن (7-8) دقائق، لا يكفي من الناحية الفنية البتة لإتخاذ القرار بإنزال ضربة جوية، ناهيك عن عدم القدرة على توصيل هذا القرار إلى منصات إطلاق الصواريخ، أما الرؤوس الحربية الفائقة الدقة، فسوف تكون قادرة على اختراق الأرض بعمق كبير بما فيه الكفاية، لكي تثير ذبذبات زلزالية تهدم في لمح البصر مراكز القيادة والصواريخ المرابطة تحت الأرض[1].

ويشير الخبراء العسكريون إلى عواقب خطيرة أخرى، قد يتمخض عنها سلوك طريق صنع الذخائر النووية الصغيرة القدرة، لأن تطويرها يتعذر بدون إجراء تجارب نووية تحت الأرض، ولكن فور ما يحدث أول انفجار نووي في ميدان التجارب بولاية نيفادا، سيغدوا مستحيلاً كبت رغبة الأرجنتين والبرازيل وجنوب أفريقيا، وحوالي عشر دول من الدول الأخرى التي على وشك امتلاك السلاح النووي، في الحصول على هذا السلاح من أجل الدفاع عن استقلالها وسيادتها الوطنية، وحينئذ يمكن أن ننسى إلى الأبد حدود (النادي النووي) الذي يضم الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا والصين وروسيا، بالإضافة إلى الهند وباكستان وإسرائيل بصفة رسمية[2].

إن في حوزة العلماء الروس ما يكفي من ابتكارات ينبغي إجراء تجـارب عليها للحاق بالولايات المتحدة، وربما سبقها، فميدان التجارب في جزيرة (نوفايا زيمليا) لم تجر فيه أية أعمال منذ زمن بعيد، بيد أنه ما دامت معاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية، والتي صادقت عليها موسكــو فيما امتنعت واشنطن عن اتخاذ خطوة مماثلة، مساوية المفعول، فإن الصمت يسـود

---

(1) المرجع السابق، ص2-3.

(2) المرجع السابق، ص(3-4).

ساحة التجارب هذه، ولو أجري تفجير في نيفادا لن يتمكن الكرملين من وقف العاملين في صناعة الأسلحة من الاحتذاء بهذا المثال السلبي[1].

إن الجنرالات الروس موجودون في مجلس الدوما بعدد كافٍ فالجنرال ماكاشوف وحدة يساوي عشرة منهم، ويقومون بالضغط القوى المتواصل على الرئيس بوتين والحكومة، من أجل الحصول على اعتمادات إضافية لتطوير نظام اختراق الدفاع المضاد للصواريخ، والصواريخ المتعددة الرؤوس الحربية ذات التوجه المستقل من نفس القدرة الصغيرة، ولكنها ذات دقة مطلقة، ولتطوير صواريخ استراتيجية متجولة يصعب اكتشافها، وإصابتها حتى بالذخائر النووية العالية الدقة، وبناء غواصات نووية جديدة، وإطلاق أقمار صناعية إَضافية للاستطلاع والملاحة والدلالة على الهدف، أي من أجل مرحلة جديدة من سباق التسلح، وإن كان على حساب التنمية الاقتصادية، علماً بأن أمن روسيا كان يتصدر دائماً سلم الأولويات فيها. أما الجواب على قرار الرئيس (بوتين) بتخصيص الاعتمادات لصنع نوع جديد من الذخائر فسيجيء على ما يبدو على لسان وزير الدفاع الروسي (سيرغي إيفانوف)، والقاضي بتزويد المنطقة بفوج من الصواريخ الاستراتيجية المرابطة تحت الأرض من طراز "توبول - ام" أو (اس. أس - 27) حسب التصنيف الغربي، وحينئذ سيبلغ عددها عند الروس ما يقارب (45) صاروخاً، وهذا العدد يكفي اليوم لتمكين الروس من ردع المعتدي المحتمل.

أضف أن الروس بعد وصفهم لمعاهدة (ABM) أنها (تشكل حجر الزاوية للاستقرار الاستراتيجي)، واعتبار المشروع الأمريكي (NMD)، قفزة فوق المعاهدة، في نظرهم وتحذير سكرتير مجلس الأمن الروسي من أن البناء قد ينهار من جراء انتهاك تلك المعاهدة، عملت روسيا في اتجاه اللحاق بالولايات المتحدة، والذي يعد خطوة متقدمة في مضمار سباق التسلح وتمثلت خطوات اللحاق بما يلي[2]:

---

(1)المرجع السابق، ص(4).

(2) رائدة شبيب، مرجع سابق، ص47.

1- التخطيط لزيادة نفقاتها العسكرية وتحديث قدرتها على الردع النووي.

2- قيام الجيش الروسي وموظفو مجلس الأمن الروسي بما يسمى "بجواب عكسي" معادل للخطط الدفاعية الأمريكية.

3- تهديد الرئيس الروسي بوتين بان بلاده سوف تخرق جميع المعاهدات القائمة لمراقبة التسلح، بما في ذلك معاهدة (START)، في حال استغناء واشنطن عن معاهدة (ABM).

3- الصين:

تتبع الصين خطى موسكو بالإعلان عن توسيع ترسانة أسلحتها النووية[1]، فالصين تخشى كخشية روسيا من أن النظام الدفاعي الجديد الذي تتبناه الولايات المتحدة، يستهدف تحييد ترسانتي أسلحتهما النووية، وقوتهما العسكرية، ولهذا نجد الصين كروسيا، ترسل إشارات تحذيرية برفع عدد صواريخها، وتطويرها للحفاظ على التوازن الاستراتيجي في نظام عالمي متعدد الأقطاب.

إن استئناف التسلح الصيني في هذه الحالة، يأتي كنتيجة للإصرار على تنفيذ خطط الدفاع الصاروخي الأمريكي، مما يؤدي إلى زيادة وتيرة الأزمة الأمنية في شرق آسيا، ويعرض دول الإقليم التي تتميز بمستوى عال من التسلح إلى خطر متزايد، أن تخوف بكين من برنامج الصواريخ الدفاعية الأمريكية نابع من التفوق على ترسانتها الصاروخية، وبذلك يعرضها لإجراءات ردعية من جانب الولايات المتحدة، لفرض سياستها الخاصة على قانون البلد الذي تطالب بكين بالسيادة عليه.

---

(1) المرجع السابق ،ص47.

4- الدول الأوروبية:

أدى الإعلان عن تنفيذ الخطة الدفاعية الأمريكية المضادة للصواريخ (NMD) الأخيرة، إلى مزيد من التوتر في العلاقات الأوروبية - الأمريكية، وهناك إشارات متجددة إلى سياسة انعزال أمريكية متواكبة مع أفكار قومية وتصرفات انفرادية، تثير القلق وتضاعف الصعوبات عند الأوروبيين على صعيد الأسلوب المناسب للحوار مع الأمريكيين، وينعكس التعالي الأمريكي حتى تجاه الحلفاء والأصدقاء على الجانب الآخر من الأطلسي، في تصريح ساخر لهنري كيسنجر يقول فيه: "إن الأوروبيين يلتمسون الحوار اللازم حول (NMD)، وكأنهم في زيارة عند طبيب الأسنان" ربما يشير إلى التردد والحذر الأوروبي تجاه مناقشة الأمر الواقع الذي وضعوا أمامه وإضافة إلى ذلك تضع الإدارة الأمريكية قيوداً على الحوار، حيث توضح أنه لا نقاش حول السؤال ما إذا كانت الخطة مناسبة أم لا، وإنما فقط حول متى وكيف تنفذ؟ وبالتالي فإن تحويل أولوية الدفاع الاستراتيجي الأمريكي من الدفاع الجماعي ضمن حلف الأطلسي إلى نظام دفاعي خاص بها، أشعل إشارات الخطر عند الأوروبيين، من أن يفقد منهج التحالف الجماعي الممثل في حلف الأطلسي فاعليته، نتيجة انفراد أحد الأطراف بتحركاته العسكرية.

ويعبر الأوروبيون عن قلقهم إزاء سباق تسلح جديد، لكن "رامسفيلد" وزير الحرب الأمريكي سرعان ما اعترض على هذا القلق بخشونة قائلاً: "إنه ليس سوى بقايا الحرب الباردة" كما رفض مناقشة هذه المخاوف[1].

5- الهندوباكستان:

مع بداية السبعينيات كانت باكستان، تلعق جراحها بعد أن خرجت مهزومة

(1) المرجع السابق، ص47-48.

من حربها مع الهند، التي أدت إلى فصل باكستان الشرقية وتكوين دولة بنجلاديش، ومما زاد من مرارة الهزيمة التجربة النووية الهندية في عام 1974م[1].

هذه الهزيمة حفزت عزيمة باكستان لتصعيد جهودها لامتلاك القدرات النووية العسكرية، وكان ذو الفقار علي بوتو رئيس الوزراء حينئذ هو الذي بدأ هذه الجهود في أيار 1972م، وأدارها رئيس مفوضية الطاقة النووية منير أحمد خان، المهندس النووي الباكتساني الذي تلقى تعليمه في أمريكا، واكتسب خبرة واسعة من خلال عمله في فيينا في الوكالة الدولية للطاقة النووية. وقد سعى هذا العالم الباكستاني إلى تنفيذ برنامج نووي كبير وشامل؛ ليوفر لباكستان ما تحتاجه بشدة من الكهرباء والمنافع الطبية والزراعية، وفي الوقت نفسه يوفر التدريب والتقنية والتغطية السياسية التي تسمح بإنتاج الأسلحة النووية، وسعت باكستان إلى الحصول على مساعدة فرنسا لتحقيق هذه الغاية.

وبنهاية عام 1975م ازداد القلق من المطامح النووية الباكستانية، في دول الغرب على الأقل. وقامت واشنطن بالضغط على فرنسا لوقف إمداداتها للبرنامج النووي الباكتساني، وفي شهر كانون الأول من ذلك العام حدث تطور بالغ الأهمية؛ فقد كان العالم الدكتور عبد القدير خان الخبير في علم المعادن يقوم بزيارة لوطنه باكستان، في عطلة من عمله في شركة هولندية كبيرة، هي شركة (إف. دي. أو)، وكانت هذه الشركة المقاول الرئيس من الباطن للشركة الأوروبية لإخصاب اليورانيوم، في مشروع بناء مصنع متقدم فأتق السرعة لإخصاب اليورانيوم بالطرد المركزي؛ لتوفير خدمات الإخصاب للبرنامج الأوروبية للطاقة النووية. وكان عبد القدير خان قد بعث في وقت سابق من عام 1974م رسالة إلى رئيس الوزراء ذو الفقار علي بوتو يعرض عليه خدماته من أجل البرنامج النووي الباكستاني،

---

(1) حسن الرشيدي، مستقبل القضية القنبلة النووية الباكستانية - مجلة البيان، العدد (170)، ص128.

وبشكل خاص في حقل إخصاب اليورانيوم، ورد عليه بوتو طالباً منه أن يتصل به في زيارته التالية لباكستان. ولما عاد هذا العالم إلى وطنه ضغط عليه بوتو بشدة للبقاء، فوافق على عدم العودة إلى هولندا، وعلى أن يتولى الإشراف على جهود إخصاب اليورانيوم، ثم توجه رئيس الوزراء الباكستاني بعد ذلك إلى الصين سعياً إلى مساعدتها، لتقديم المواد النووية اللازمة. لقد كان يلزم لصنع هذه القنبلة ثلاثة شروط أساسية: المواد الأولية القابلة للانشطار من يورانيوم أو بولتونيوم، والقاعدة العلمية من علماء وفنيين، ثم الإرادة السياسية. ويقول عبد القدير خان: "كان أمامنا هدف أنه لابد من النجاح بسرعة ودقة؛ ذلك أن أمامنا عدواً يتربص بنا ويهدد بلادنا كل يوم..، لقد كانت المعركة قاسية للغاية وليست سهلة".

وبرغم أن الفترة الزمنية التي حُددت للمشروع كانت خمس سنوات فإنه نظراً لتسرب أنباء المفاعل النووي بدأت الدول تأخذ حذرها من باكستان في تصدير المواد اللازمة للمشروع؛ مما أدى إلى الانتهاء منه بعد عشر سنوات في عام 1984م.

ظل الوضع هادئاً حتى عام 1998م؛ ففي 17 مايو من ذلك العام في مدينة نيودلهي، عقد علماء الذرة الهنود مؤتمراً صحفياً أعلنوا فيه قيام الهند بإجراء خمسة اختبارات نووية. وقبل ذلك كان قد ذكر أن التفجيرات الأخرى التي وقعت يوم 11 مايو تضمنت متفجرة انشطارية تبلغ 12 كيلو طناً، وهي أخف وأكثر إحكاماً من متفجرة عام 1974م ومتفجرة تبلغ 00.2 كيلو طناً، ولم يشر إلى مكوناتها. اما التفجيران الآخران اللذان وقعا في 13 مايو فقد كان أحدهما 0.2 كيلو طناً، والآخر 0.6 كيلو طناً. ولم يذكر العلماء شيئاً عن المواد الانشطارية المستخدمة في التفجيرات أو عن العمق الذي دفنت فيه قبل إطلاقها. وقد شكك كثير من علماء الغرب في قوة التفجيرات الهندية، ورجحوا ضعف المستوى النووي الهندي[1].

وفي يوم 28 أيار من العام نفسه فعلت باكستان ما كان متوقعاً، فقد

---

(1) المرجع السابق، ص129.

قامت بإجراء خمسة تفجيرات نووية في وقت واحد في نفق تحت سلسلة جبال رأس كوه بالقرب من شاجاي في ببوشستان، وتحول لون الجبل إلى اللون الأبيض. وعلى الفور تساءل المحللون في الولايات المتحدة عن عدد القنابل التي جربت وقوتها. وكان الدكتور عبد القدير خان قد أعلن أن أكبر هذه التفجيرات بلغ ما يتراوح بين 30 إلى 35 كيلو طناً، وذكر الدكتور سمر مباركماند الفيزيائي الباكستاني الذي تدرب في أكسفورد، والذي تولى رئاسة برنامج المفوضية الباكستانية للطاقة النووية، أن مجموع اختبارات ذلك اليوم بلغ من 40 إلى 45 كيلو طناً، غير أن المحللين الأمريكيين شكوا في هذه التقديرات، ورجحوا أنها أقل من ذلك؛ ولذلك قامت باكستان في يوم 30 أيار بتفجير قنبلة نووية أخرى بعد يومين فقط من التجارب الأولى، وبذلك أصبحت التجارب النووية الباكستانية ست تجارب مقابل خمس أجرتها الهند، وبعد أحد عشر شهراً من التجارب النووية الهندية في الحادي عشر من أيار من عام 1999م، والتي اتبعتها باكستان بست تجارب مماثلة قامت الهند بإطلاق صاروخ بالستي متوسط المدى (أجني –2)، هذا الصاروخ جاء ليحرز سبقاً نووياً من نوع آخر وهو القدرة على إيصال القوة النووية إلى مدى أبعد بواسطة الصواريخ البالستية، وحرمان الطرف الآخر من قدرات الضربة الثانية. ومن هنا كانت تجارب إطلاق صاروخي (غوري - 2) و (شاهين -1) الباكستانيين نتيجة طبيعية ومنطقية؛ وبذلك أضحت القدرات النووية لا تقاس بعدد التفجيرات أو قوتها ولكن تقاس بحجم الصواريخ، والطائرات، ومداها لإيصال الشحنة النووية.

6- دول الجنوب (الدول النامية):

إن اعتماد نظم جديدة ومبتكرة في عالم السلاح من قبل دول الشمال، يؤدي بدوره إلى اتساع الفجوة بين دول الشمال ودول الجنوب (الدول النامية) من الناحيتين العسكرية والأمنية، وفي هذا السياق فإن تنفيذ مشروع الحماية من

الصواريخ في الولايات المتحدة، وربما في دول صناعية أخرى، قد يثير الإحساس بالخضوع والعجز بين الدول النامية، ويؤدي إلى المزيد من التهميش وإلى إبعاد هذه الدول عن قضاياها الأمنية، وهذا بدوره يزيد التوتر بين الشمال والجنوب، ويزيد الأمور تعقيداً، إن إقامة حماية شاملة من الصواريخ فوق أراضي الدول الصناعية يسهل فرض العقوبات أو القيام بعمليات انتقامية ضد الدول الأضعف، لأنها تأمن من الانتقام كما أن سباق التسلح بين دول الشمال شجع ظاهرة السباق بين دول الجنوب نفسها لتحتذي حذو دول الشمال، فأخذ سباق التسلح مكانه بينها هو الآخر[1].

إن الخيارات المطروحة أمام دول الجنوب وهي الدول النامية والضعيفة خيارات محدودة وقد تتلخص بما يلي[2]:

أ- الاستسلام للأمر الواقع.

ب- الحصول على أسلحة غير متعارف عليها وحسب إمكانياتها.

جـ- القيام بحروب صغيرة للتشويش على النظام الدولي القائم.

د- القيام بعمليات التطوير والتحديث لأسلحتها التقليدية، والسعي لشراء أسلحة الدمار الشامل النووية والكيماوية والحيوية أو تصنيعها.وهذا يؤدي بدوره إلى تزايد أخطار نشر أسلحة الدمار الشامل وتقنياتها.وهناك مؤشرات من (مؤسسة الأمن والسياسة) الألمانية، تشير إلى أن (32) دولة عدا الدول الخمس النووية الرئيسة تمتلك حالياً صواريخ بعدية المدى، و (13) دولة قادرة على صناعتها دون مساعدة خارجية، وعلاوة على ذلك دول مثل الصين وروسيا تساعد بعض الدول على تصنيع صواريخ بعيدة المدى.

---

(1) كاظم حبيب، جول الواقع الراهن في بلدان العالم الثالث واتجاهات التغيير، المستقبل العربي، العدد (146)، 1991، ص31.

(2) المرجع الساق، ص48.

وأخيراً أن الوثائق تقدم أرقاماً حول ترسانة الأسلحة النووية في العالم وهي ما يقارب الخمسين ألفاً، وبإمكان كل سلاح منها بلوغ أي هــدف حول الأرض خلال دقائق، وإن أي حرب قد تؤدي إلى إبادة (300) مليون نسمة او حتى مليار دفعة واحدة، ومليار آخر من المصابين، ولكن أي عالــم سوف يواجهه الناجون؟ وما هو التأثير البيولوجي الطويل الأمد الذي تحدثه مثل تلك الحرب على الهواء والماء والتربة؟ وما هو التأثير على نظام الطبيعة كله الذي تتوقف عليه حياة الإنسان والكائنات الحية أجمع؟[1].

الحقيقة هناك شعور بالقلق حيال فاجعة ممكنة قد تواجه البشرية، والتي تحوم فوقنا جميعاً، وفوق أرضنا كلها، الآن نجد العلماء والسياسيين والمثقفين في كل العالم متحدين في الرأي، بألا تكون هناك حرب نووية؛ لان ذلك يعني الكارثة والفناء للجنس البشري، إن التصميم الجماعي العالمي على العمل من أجل إنهاء التسلح النووي، بحيث لا يتحقق سيناريو الحرب ذلك، وعلى الدول الكبرى التي تملك ترسانة أسلحة أن تبدأ بنفسها أولاً وتحد من شعور السيطرة على العالم والرغبة في إخضاع الآخرين...، مما سيولد عنفاً مضاداً على المدى الطويل.

لذا ما على الجميع حتى يتجنبوا الكارثة من وقوع حرب نووية، إلا السعي من أجل صنع عالم مستقر يحيطه السلام والهدوء، وسن سياسة تتعهد للأرض والإنسان مستقبلاً مستقراً.

ثانياً: مستقبل السلام الدولي

ما إن ودع العالم قرناً واستقبل آخر، حتى وقف مشدوهاً أمـام الأحداث الحربية التي أندلعت هنا وهناك في معظم جوانب هذا العالم،

---

(1) للإطلاع على أسلحة الدمار الشامل التي تمتلكها إسرائيل، والتي امتلكتها بدون تفتيش أو رقابة دولية وتهدد المنطقة العربية والعالم - انظر - عز الدين المفلح، الترسانة العسكرية الإسرائيلية، مجلة البيان، العدد (185)، آذار / 2003، ص62-65.

فاستسلم للأوهام واقتنع بمنطق الحرب، ولم يعد للكتاب والمنظرين والمشرعين والقانونيين والمفكرين من دور لدرء خطر الحرب، وأصبح كل شيء ينــذر بإغراق العالم وخاصة العالم الثالث بالدمار، إن الترسانة المخيفة من الأسلحة على اختلاف أنواعها التي سمعنا عنها أصبحت تمارس حقيقة على أرض الواقع، وها هــي الدولــة الأولى في العالم وحليفتها بريطانيــا ومن سار في ركبها تتدخل في كل أرض تجد فيها قوة تعارض تحقيق مصالحها، فلا أحد يقف في وجهها. ما هو السبب يا ترى؟ أهو غياب الاتحاد السوفياتي الذي كان قطباً ضرورياً لحفظ التوازن ودرء الحرب؟، أم هو وجود النفط في الأماكن التي تدخلت بها الولايات المتحدة وكل من حذى حذوها؟ أم طمع الإمبريالية الذي لا يتوقف؟! لابد أن تكون هذه العوامل جميعها هي السبب؟ ووجود الولايات المتحدة بترسانتها النووية والعسكرية الهائلة هي أهم هذه الأسباب، وراء هذه الحروب التي تشتعل هنا وهناك، ويمكننا بيان أهم الأسباب التي تجعل السلام والأمن الدوليين في خطر بما يلي[1]:

1- الحرص على استدامة تدفق الثروة النفطية الضرورية لاستدامة طواحين مصانع الغرب بالدوران. والخوف من عدم تواصلها.

2- استدامة تدفق المواد الأولية من بقاع العالم اللازمة لاستدامة دوران هذه الطواحين.

3- التخلص من كل قوة كبرت أم صغرت تقف أمام الولايات المتحدة ولا تسير بركبها، وقد رفعت شعاراً بعد الحادي عشر من سبتمبر يقول: "من لم يكن معنا فهو مع الإرهاب،" إذن والحالة هذه كل من يقول لا يصنف في دائرة الإرهاب، ولابد من أن تدور عليه الدائرة.

4- محاولة تصدير أيديولوجيات إلى العالم ولو تعارضت مع قيم بعض المجتمعات

---

(1) نجاه الموسوي، السلام العالمي في خطر في .http://ww.rezgar.com/debat/show.art. asp? aid= 6555 تاريخ 2003/4/7.

وعاداتها وتقاليدها وأفكارها ومبادئها مثل: الديمقراطية على الطريقة الأمريكية، والعولمة وما يترتب عليها... الخ.

5-إطلاق العنان للدول التي تدور في فكلها لتبقى تشد أزرها لفعل ما تشاء في ما لا يتعارض مع الأهداف الأمريكية، وهذا يؤدي إلى كثرة الأعداء للولايات المتحدة في مختلف أنحاء العالم، يصعب على شرطي العالم (الولايات المتحدة) السيطرة على هؤلاء الأعداء جميعاً، مما يؤدي إلى انفلات الأمن العالمي فيؤدي ذلك إلى الدمار. وخصوصاً وقد انتشرت صناعة الأسلحة خفيفة الحمل سريعة الانتشار لها قوة خارقة في الفتك والدمار.... الخ.

6- إبطال دور الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي والأهداف النبيلة التي صيغت بها أهداف الأمم المتحدة بعد الحربين العالميتين، وهذا الهدف هو إيجاد موافقة جماعية من كل الأمم قاطبة لإبطال نيران أي حرب، وبما أن الموافقة ستكون صعبة جداً لإشعال تلك الحرب فإن النتيجة ستكون لصالح السلام العالمي.

7- استخدام حق بعض الدول على غير وجه حق فمثلاً: "حق الفيتو أو الرفض" قد أعطي لبعض الدول وهي: "الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والصين وروسيا لتستخدمه هذه الدول العظمى لرفض الحرب بتصويتها ضد أي قرار يتم تداوله لصالح إشعالها، لكونها جربت الحروب ودرست عواقبها، فكان هذا الحق لدرء خطرها، إلا أن بعض الدول كالولايات المتحدة الأمريكية عملت لتفادي درء استخدام هذا الحق من قبل دولة من الدول التي لها حق الاعتراض والرفض (الفيتو)، تجنبت المرور من هيئة الأمم المتحدة، وأِشعلت الحرب دون قرار، وهذه حالة الولايات المتحدة مع العراق في حربها الأخيرة ضده، وإسقاط نظام الحكم القائم عام 2003م. إن حق الفيتو له قيمة جوهرية في منع الحروب، فالإنسان الذي استوحى هذا الحق يعرف من خلال خوضه لغمار الحروب إنها لا يمكن للمصالح الدولية أن تتفق كلها على أي

حرب معينة، لأنه لابد من اختلاف المصالح سواء كانت تاريخية أو جغرافية أو سياسية، أو تربطها علاقات مصالح بالدولة المراد ضربها، إما إن تربطها ديانة أو عقائد حساسة، لذلك وضع حق الفيتو لدرء خطر الحرب، هذا الحق جعلت الولايات المتحدة في الحالة التي أسلفنا ذكرها تقفز فوق الأمم المتحدة، واستخدام هذا الحق في وجه كل قرار لا يتفق ومصالح حلفائها، ولو كان عادلاً، ومثال ذلك استخدام حق النقض في وجه كل القــرارات التي تدين الكيان الصهيوني وسياسته التعسفية في فلسطين.

8- تعمد الولايات المتحدة وبمساندة حلفائها تحميل أي قرار يقدم للأمم المتحدة ثغرات تجيز لها ولحلفائها القيام بها تنوي القيام بها وتضمر له، وهذا لا يدل على حسن نوايا من الدولة الأقوى في العالم ومن لف حولها، وإليك المثال: لقد حملت أمريكا القرار "1441" الصادر عن الأمم المتحدة بشأن العراق، ثغرة تجيز لها غزوه، فالعبارة التي تضمنها القرار هي: "اتخاذ كل الوسائل الضرورية لضمان إذعان العراق للالتزامات المطلوبة"، وهي مشابهة تماماً للتفسير اللغوي الذي توصل إليه البروفسور "روبرت بلاك"، والتفسير يشمل الصياغة اللغوية المنتقاه بدقة وعناية فائقة، بغرض موافقة الغالبية العظمى في مجلس الأمن الدولي على القرار "1441"، وهذا الذي دفع توني بلير رئيس وزراء بريطانيا إلى استحداث ملحق للمشروع يحتفظ به بحق التدخل العسكري التلقائي دون العودة لمجلس الأمن الدولي، وهذا الملحق يتكون من ستة شروط: أول شرط أن يقوم الرئيس العراقي صدام حسين بتكذيب نفسه بالعربية بالاعتراف في التلفزيون بامتلاك أسلحة الدمار الشامل، وهذا طبعاً لن يوافق عليه، ويقول المقربون من البيت الأبيض إن هذه الفعلة هي من تدبيرات الولايات المتحدة التي لها خبرة في الإطاحة بكل منفذ لتوقيف آلة الحرب.

9- قيام الولايات المتحدة باتباع أية سياسة لتجاوز كل ما هو عائق في

طريقها، حتى تكتمل حرية الوصول لأهدافها بعيداً عن كل رقيب، فهي تعمل على قمع التمرد الأوروبي الذي يحس بالقلق من وجود القطب الواحد وتحديداً ألمانيا، ومن المنظمات التي تكيد لها الولايات المتحدة "منظمة عدم الانحياز" التي تراها صامدة بعد زوال الاتحاد السوفياتي رغم عدم قدرتها على تبني أي قرار قوي، وكذلك منظمة الوحدة الأفريقية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، وجامعة الدول العربية، وليس غريباً أن تتجه أمريكا إلى تفكيك هذه المنظمات وغيرها، بحجة تعارضها مع الديمقراطية والعولمة. بالإضافة إلى توجيه ضربة لكل البرلمانات المشاغبة لتوجهاتها مثل: البرلمان الفرنسي والألماني والبلجيكي والبرتغالي والبريطاني... وغيرها.

10- رغبة الهيمنة على الكون وإعلاء الكلمة الأمريكية فوق الجميع(1).

11- رغبة أمريكا في تغيير الأحلاف، ويقصد بها فك وتركيب القوى الصديقة للولايات المتحدة تمشياً مع فكرة الحرب على الإرهاب، واتساقاً مع استراتيجية الحرب الوقائية، لذا فلم يكن مستغرباً أن تصبح باكستان حليفاً مهماً في الحرب على أفغانستان بعد أن كانت في قائمة الدول المحظورة أمريكيا، ولها من العلاقات الوطيدة مع طالبان حكام أفغانستان، والتنكر لكل تلك العلاقات بما فيها علاقة الجوار(2).

إن ما يكلف الولايات المتحدة لإشعال حرب ضد دولة أو دول هو تسويغ الإعلام لأهداف الحرب، مع توجيه إنذارات صاخبة للحكومات التي تعارض سياساتها لشن حروب مصلحة ستلحق بها، فالاتحادات العمالية، وحقوق الإنسان، والنساء، والبيئة، والنقابات، والأحزاب، والديمقراطية، والعولمة، والإنجازات الفكرية، والفقر، والجوع، والبطالة والأقليات وحماية الأصدقاء،

---

(1) خليل الفناني، أمريكا وجدلية الحرب على الإرهاب، مجلة البيان، العدد (195)، 2004، ص(81).

(2) المرجع السابق، ص(82).

وامتلاك أسلحة الدمار الشامل، وتهديد السلم والأمن الدولي، وتهديد الأمن القومي الأمريكي، كلها أوراق يمكن أن تكون مادة إعلامية تصوغ منها الدوائر الراغبة في إعلان الحرب أسباباً لإعلانها.

إن السلم والأمن الدولي في خطر ومستقبل السلام العالمي في خطر للأسباب التي أوردناها، وتخشى أن يفيق العالم على يوم ينزلق في مسارب الدمار الذي يذهب حضارة الإنسان التي عكف على تشيدها عبر قرون الماضي من الزمان.

الخاتمة

كثيرة هي المؤثرات التي تؤثر على الجنس البشري، وهذه المؤثرات منها ما هو من صنع البشر ومنها ما هو من صنع الطبيعة، وما هو من صنع البشر يتقدمها جميعاً حسب السيطرة والهيمنة واختلاس حقوق الآخرين وكان من مقدمة هذه الصناعة قيام النظام الدولي الجديد، هذا النظام يقوم على مبدأ تفرد الولايات المتحدة على قمة الهرم الدولي الجديد، فهي والحالة هذه تعمل على كل ما من شأنه العمل بغض النظر عن مدى مشروعية هذا العمل، لتبقى مدة أطول متربعة على عرش السيادة في العالم. ويأتي بالدرجة الثانية الإرهاب. وهذا المؤتمر لاشك أن مصطلح غامض وهذا نابع من اختلاف الفهم ما بين الجهة التي تقوم بالإرهاب والجهة التي تقاوم الإرهاب، وكل جهة لها وجهة نظرها فيما تقوم به فالمستعمر (بكسر الميم) يرى بحركات التحرر حركات إرهابية، وحركات التحرر في البلاد المستعمرة (بفتح الميم) ترى بالمستعمر إرهابي.

إن النظام الدولي والإرهاب يؤثران تأثيراً مباشراً على الأمن القومي لأية أمة، وهذا الأمن هو الأمن القومي الشامل، وينطوي تحت لواء هذا. الأمن المائي والأمن الغذائي وأمن الحدود، وهذه جميعاً باتت تؤرق صانع القرار في الدول العربية والإسلامية، لا بل تؤرق صناع القرار في كل دول العالم الثالث الذي ينتمي إليه العرب.

واهتم المؤثرات ذات الطبيعة الصراعية، كان الصراع العربي الإسرائيلي يحتل الدرجة الأولى على صعيد العالم العربي والإسلامي، هذا الصراع بدأ ولم ينتهي بعد، رغم دخوله مسيرة السلام التي بدأت رحلتها من مدريد العاصمة الأسبانية عام 1991، وهناك قضايا عربية وإسلامية أخرى لها أهميتها بالبحث والدراسة،

كقضية جنوب السودان، ومسلمي الفلبين، والشيشان وكشمير والبوسنة والهرسك، والحرب الأهلية والاحتلال الأمريكي في أفغانستان والعراق والصومال، كما أن هناك قضايا عرقية، كقضية الأكراد والأمازيغ (البربر)، وأخرى ذات شأن عالمي كقضية المديونية والعولمة والسلام والأمن الدوليين وسباق التسلح العالمي، إن لهذه القضايا شأناً خطيراً في محصلته النهائية ردم كل ما هو عند الأمم واستبداله بشيء آخر مختلف، وهذا مما لاشك فيه الخطر القادم الذي على الجميع العمل على تفاديه ومقاومته.

إن الناظر في كل القضايا سالفة الذكر في ثنايا هذا الكتاب، والتي في اعتقادنا أهم قضايا العالم بأكمله، يجد أنها تركز على العالم العربي والإسلامي، بل تجعله محور هذه القضايا، وهذا له أسبابه ومبرراته تعود في جذورها التاريخية إلى الحروب الصليبية التي جُربت في منطقتنا هذه، وفشلت وردت على أعقابها خاسرة، الأمر الذي حدى بدول الغرب إلى إعادة الكرة مرة أخرى، وعبرت عن حروبها المفتعلة في منطقتنا بصراحة وبدون مواربة بأنها حروب صليبية، وإن جاءت تحت أسماء ذات دلالات أخرى لتصرف أنظار الناس إلى شئ أخر، كما أسمت الحرب على أفغانستان "بالعدالة المطلقة" على سبيل المثال لا الحصر.

إزاء ذلك كله، أنه في اعتقادنا، أنه لا منقذ لنا نحن المسلمين من شر وويلات ما يحاك لنا في السر والعلن، إلاّ العودة إلى ذاك السبب الذي جمع العرب بعد أن كانوا متفرقين كفرقتهم اليوم، وجعل منهم قوة نشروا السلام في ربوع الأرض وعاش أهلها بأمان، ذاك هو الإسلام الذي إذا تمسكنا به أصبحنا القوة التي تردع الأعداء، لا بل تحببهم بالدخول به وخاصة إذا قدمناه للعالم بصورته الوضاءة وبمبادئه السمحة وبرسالته الخالدة، إن أسباب ضعف العالم الإسلامي هو بعدهم عن الإسلام، وإن الحلول الوضعية التي تأتي من هنا وهناك لا تزيد المسلمين إلا

ضعفاً، وإن الأحداث العالمية تبرهن على ذلك، ففي كل يوم يحمل في ثناياه بحجج واهية تنسجم وأهداف الآخر.

إن الأيام دول، والرياح الدولية في حركة مستمرة، فإن هبت اليوم على خلاف ما يريده صاحب الشراع في البحر، فعليه أن يحسن التجديف حتى لا يتهاوى في أعماق البحار المظلمة، فربما غداً تهب على هواه عندها يفرح بما أتاه الله من خير كثير، ونحن المسلمين علينا أن نعود لإسلامنا ونعمل كصاحب الشراع. وغداً لناظره آت، والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع

1- أبو شوقي، لمحات من تاريخ الانتفاضات والثورات الكردية، بيروت، دار الكتب، 1987.
2- أحمد التل، الإرهاب في العالمين العربي والغربي، عمان، المؤلف 1998.
3- أحمد شرف، مسيرة النظام الدولي الجديد قبل وبعد حرب الخليج، د.م، دار الثقافة الجديد 1992.
4- أحمد علي دلاشه، مشكلات معاصرة، عمان مكتبة النهضة الإسلامية 1989.
5- أسعد رزوق،إسرائيل الكبرى، بيروت، مركز إيمان المنظمة 1968.
6- ألن تايلور: تاريخ الحركة الصهيونية، ترجمة بسام أبو غزالة - بيروت: دار الطليعة، 1996.
7- أمين النقوري، استراتيجية الحرب ضد إسرائيل والعمل العربي المشترك، دمشق مطبعة طربين 1970.
8- أنور الجندي: المخططات التلمودية، اليهودية الصهيونية - القاهرة، دار الاعتصام 1971.
9- أنور الجندي: من التبعية إلى الأصالة، القاهرة، دار الاعتصام، د. ت.
10- إيليا حريق، العرب وإعادة النظر في النظام الاقتصادي الدولي الجديد - بيروت، دار المشرق والمغرب 1983.
11- احمد طربين، فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار - القاهرة، معهد البحوث 1971.

12- المعتصم السعيدية، محاولة في المسألة الإرهابية وأبعادها الدولية، رسالة لنيل الدبلوم والدراسات العليا في القانون العام، الرباط، كلية الحقوق 1985.

13- المنجد من اللغة والإعلام، بيروت، دار المشرق 1984.

14- بطرس غالي ومحمود خيري عيسى، المدخل في علم السياسة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية 1984.

15- توفيق حصوة ورفاقه، قضايا ومشكلات دولية معاصرة، د. م، د ن، د.ت.

16- جعفر محمد علي، الإدارة البريطانية، الحركة الوطنية السودانية، ترجمة هنري رياض - بيروت، دار الثقافة 1972.

17- جميل مطر وعلي الدين هلال، النظام الإقليمي العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 180.

18- جون أدلمان سبيرو، سياسات العلاقات الاقتصادية الدولية، ترجمة خالد قاسم، عمان، مركز الكتب الأردني 1987.

19- حسن مصطفى: البارازانيون - بغداد: د. ن 1983.

20- خالد المحاميد، الاقتصاد وسياسة الأردن الخارجية، عمان وزارة الثقافة 2002.

21- دومنيك كارو، صندوق النقد الدولي، ترجمة د. مصطفى عدنان السيوطي - دمشق: منشورات وزارة الثقافة السورية، 1978.

22- رأفت غنمي، في تاريخ العرب الحديث، القاهرة: دار الطباعة.

23- رضا هلال، الصراع على الكويت، بيروت: دار الجليل، 1991.

24- رياض عزيز هادي، المشكلات السياسية في العالم الثالث - بغداد: دار الحرية للطباعة، 1979.

25- ساطع الزغول، إشكالية الحدود العربية، عمان، مؤسسة البلد للنشر والتوزيع 1998.

26- سعد ناجي جواد وآخرون، الوحدة الوطنية، مشكلة الأقليات في العالم الثالث - بغداد: مركز دراسات العالم الثالث 1989.

27- سعد ناجي جواد، دراسات في المسألة القومية الكردية.

28- سهيل ديب، التوراة بين الوثنية والتوحيد بيروت: دار النفائس.

29- صالح الطيطي وغالب إسماعيل، التنمية العربية وإقامتها المستقبلية - عمان دار حنين 1995.

30- صلاح بحيري ومحمد الرياني، جغرافية الوطن العربي، عمان، المطابع المركزية 1987.

31- عبد الخالق عبد الله - العالم المعاصر والصراعات الدولية - الكويت سلسلة المعرفة 1989.

32- عبد الرحمن محمد محمد حامد، من ضيع السودان - الخرطوم، جامعة الخرطوم، 1991.

33- عبد الفتاح علي يحيى، حزب العمال الكردستاني - الموصل: مركز الدراسات التركية، 1994.

34- عبد القادر فهي، النظام السياسي الدولي، دراسة في الأصول النظرية عمان دار وائل للنشر1997 ص16-17.

35- عبد الله التل، خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية - القاهرة، دار القلم 1965.

36- عبد المنعم حافظ ونعمان أحمد الخطيب، مبادئ في النظم السياسية، عمان، دار الفرقان، 1987.

37- عبد المنعم سعيد، العرب ودول الجوار الجغرافي، بيروت، مركز دراسات الوحدة 1987.

38- عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1981.

39- عدنان زرزور، الفجوة بين جانبي الأطلسي والحروب الحضارية، عمان، دار البشير، 1999.
40- غازي ربابعة، القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، الخط الأول 1987.
41- غالب الحمود، الأرض العربية، والأخطار - عمان مؤسسة الخدمات العربية 1987.
42- فهمي إسماعيل، التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط، القاهرة، مكتبة مدبولي، 1985.
43- محمد السماك، الإرهاب والعنف السياسي، بيروت، دار النفائس، 1992.
44- محمد زاهر السماك، الجغرافيا السياسية أسس وتطبيقات، العراق دار الكتب للطابعة والنشر 1988.
45- محمد عبد الغني مسعودي، الجغرافيا والمشكلات الدولية، القاهرة، د. ت 1976.
46- محمد عوض الهزايمة، الأيديولوجيا والسياسة الخارجية - تونس:كلية الحقوق والعلوم السياسية، 1994.
47- محمد عوض الهزايمة، الثقافة الإسلامية وتحدياتها المعاصرة، عمان، السكو للطباعة، 1999.
48- محمد عوض الهزايمة، السياسة الأردنية الخارجية في النظرية والتطبيق، عمان، دار عمار 1999.
49- محمد عوض الهزايمة، حاضر العالم الإسلامي وقضاياه السياسية المعاصرة عمان دار عمار 1997.
50- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس ج2، الكويت مطبعة حكومة الكويت.
51- مركز الدراسات الاستراتيجية، التقرير الاستراتيجي العربي 1988، القاهرة،المركز 1989.

52- مركز دراسات الشرق الأوسط، مستقبل القضية الكردية - عمان، المركز،2000.
53- مسعود شواقفه و فؤاد الهزايمة، دراسات في جغرافية الوطن العربي، عمان، دار عمار 1991.
54- معجم الوسيط، ج1.
55- منير شفيق، النظام الدولي الجديد وخيار المواجهة ص43-44.د. م، الناشر للطباعة، 1992.
56- مهدي عبد الهادي، المستوطنات الإسرائيلية في القدس، والضفة الغربية المحتلة 1967-1980، القدس، جمعية الملتقى الفكري 1978.
57- موسى كاظم التونس، وثائق التدخل الأجنبي في الوطن العربي، دمشق د. ت 1972,
58- نبيل السمان، آل سعود، أمريكا، الاحتلال – عمان: جمعية المطابع التعاونية.
59- نظام بركات الاستيطان الإسرائيلي في فلسطين، الرياض مطابع جامعة الملك مسعود 1985.
60- هاري مجدوف، عصر الإمبريالية من عصر الاستعمار حتى اليوم، بيروت مؤسسة الأبحاث العربية 1988.
61- هنري كتن: فلسطين في ضوء الحق والدولي ترجمة وديع، فلسطين، بيروت، مكتبة لبنان، 1970.
62- ياسين سويد: الاستراتيجية الفكرية الإسرائيلية، الموسوعة الفلسطينية، القسم الثاني المجلد السادس.
63- يحيى الجمل: الأنظمة السياسية المعاصرة - بيروت، دار النهضة العربية، د. ت.
64- يوسف هيكل: فلسطين قبل وبعد - بيروت، دال العلم للملايين، 1971.

2- المجلات العربية:

1- حسان الشوبكي، الأمن المائي العربي، مجلة الوحدة، العدد (76) 1991.

2- ناصيف يوسف صبحي، هيكل النظام الدولي الجديد، مجلة الفكر، العدد (3، 4) 1995.

3- نورت يونيت، درع الصحراء والنظام العالمي الجديد، ترجمة محمد الظاهر سمارة، عمان، دار الكرمل 1991.

4- نبيل خليفة، مياه الشرق الأوسط وحروب العقد القادم، مجلة الوحدة العدد (76) 1991.

5- نايف على عبيد، العولمة والعرب، مجلة المستقبل العربي، العدد (221)، 1997.

6- صالح زهر الدين، مياه الجنوب والأمن القومي الصهيوني، مجلة الوحدة (76)، 1991.

7- صادق جلال العظم، ما هي العولمة، مجلة الطريق، العدد (4)، 1997.

8- صبحي محمد غندور، الترحيب بصدام الحضارات الترغيب بالعولمة، مجلة المعرفة العدد (46) 1999.

9- صحيفة لوموند ديبلومانيك، العدد (1)، 1988.

10- عماد جاد، الإرهاب الصهيوني في الأراضي الفلسطينية، مجلة الوحدة، العدد (67) 1990.

11- عبير خليفة، مياه الشرق الأوسط وحروب العقد القادم، مجلة الوحدة الرباط العدد (76) 1991.

12- علي نوح، مشكلات الزراعة والإنتاج الزراعي وعلاقتها بالأمن القومي العربي مجلة الوحدة، العدد (84) 1991.

13- عبد الباري درة، العولمة وإدارة التعـدد الحضـاري في العـالم، ورقـة مقدمـة للمـؤتمر العلمـي الرابع 4-6 أيار 1998، جامعة فيلادلفيا.

14- عبد الستار الراوي، العولمة، مجلة الموقف الثقافي، العدد (10) 1997.

15- علي حسين الجابري، الفرق بين سياسة الأضواء والحرب الدائمة، مجلة آفـاق العربيـة، العـدد (9-10) 1996.

16- عبد الله جاب الله، ممارسات التيار التغريبي في الجزائر، مجلة البيان العدد (183)، 2003.

17- عبد الكريم حموري، تجارة الديون بوابـة اسـتعباد العـالم الثالـث مجلـة المجتمـع الكويتيـة (العدد 143)، 2000.

18- عز الدين المفلح، الترسانة العسكرية الإسرائيلية خطر، مجلة البيان، العدد (185)، 2003.

19- عادل الجارد، دراسة في الأيديولوجية الصهيونية، مجلة العلوم السياسية العدد (2)، 1988.

20- فهد الفانك، الأبعاد الاقتصادية لأزمة الخليج، مجلة الوحدة، العدد (88)، 1992.

21- فريق أول محمد فوزي، واقع الشعب القومي العربي، مجلة الوحدة، العدد (88) 1992.

22- فرج بن رامة، المياه في السوقية الصهيونية، مجلة الوحدة، العدد (76) 1991.

23- فريق من الباحثين، الأمن المائي العربي، شؤون عربية، العدد (51) 1987.

24- فتحي عثمان، الصراع العربي الصهيوني والقوتان العظميتان، مجلة المنار العدد (100) 1985.

25- سليم واكيم، الديمقراطية وحقوق الإنسان، بيروت، منشورات واكيم، د. ت.

26- خالد السرجاني، العرب وصراعات العقد المقبل، مجلة المنار، العدد (62)، 1990.

27- خليل العناني، أمريكا وجدلية الحرب على الإرهاب، مجلة البيان العدد (125)، 2004.

28- رمزي زكي، أزمة الديون العالمية والإمبريالية الجديدة، الآليات الحربية لإعادة احتواء العالم الثالث، مجلة السياسية الدولية (القاهرة) العدد (86) 1986.

29- إبراهيم أبراش، العنف السياسي بين الإرهاب والكفاح المشروع، مجلة الوحدة العدد (67) 1990.

30- إبراهيم العفريني، نحو أسلمة القضية الكردية، مجلة المجتمع الكويتية العدد (531)، 2002.

31- إبراهيم عبد الكريم، إسرائيل والنظام العربي، مجلة الوحدة، العدد (56)1989.

32- إدريس الكنبوري، الوجه الفرنكفوني للتيار الأمازيغي، مجلة المجتمع الكويتية، العدد (1535) 200..

33- إلياس حرفوش، الأكراد بين الحرب والسلم، مجلة المجلة العدد (449) 1988.

34- جورج المصري، العنف في الفكر والممارسة، مجلة الوحدة، العدد (67)، 1999.

35- جورج قرم، المستقبل الاقتصادي للأقطار العربية النفطية، المستقبل العربي، العدد (14) 1980.

36- حسن علاونه، العولمة والثقافة العربية، ورقة مقدمة للمؤتمر العلمي الرابع 4-9 أيار 1998، جامعة فلادلفيا - عمان.

37- حسن محمد حجازي، العلاقات العربية مع دول الجوار الإقليمي، والسياسة الدولية العدد (7، 8) 1987.

38- حسنين توفيق إبراهيم، النظام الدولي الجديد من الفكر العربي، مجلة عالم الفكر العـدد (3، 4)1995.

39- حمدي عبد الرحمن حسن، العولمة وآثارها السياسـية عـلى النظـام الإقليمـي العـربي، مجلـة المستقبل العربي، العدد (182)، 2000.

40- حمدي عبد الرحمن حسن، العولمة وأثارها السياسـية عـلى النظـام الإقليمـي العـربي، مجلـة المستقبل العبي العدد (285) 2000.

41- حميد الجميلي، اقتصاد الحضارة الكونية، مجلة الموقف الثقافي، العدد (1-2) 1996.

42- رائدة شبيب، إدارة بوش تعيد سباق التسلح، مجلة المجتمع الكويتية، العدد 1448، 2001.

43- زينب عبد العظيم، العالم الثالث والنظام الاقتصادي العالمي، مجلة الفكر الاستراتيجي بيروت العدد (37)، 1991.

44- ضيف الله بن محمد الصعيان، الحرب البيولوجية (الجرثوميـة) مجلـة البيـان، العـدد (169)، 2001.

45- لواء طلقت مسلم، عرب ما بعد حرب الخليج والتأثيرات الأمنية، والعسكرية لحرب الخلـيج، مجلة الوحدة، العدد (88) 1992.

46- محمد أمحزون، العولمة بين منظورين، مجلة البيان، العدد (145) 1999.

47- محمد الغنام، الإرهاب في الديمقراطية الغربية، السياسة الدولية العدد (107) 1986.

48- محمد الغنام، المواجهة التشريعية للإرهـاب بـين القـانون الإيطـالي والقـانون المصري مجلـة السياسة الدولية، العدد (123) 1993.

49- محمد المحمود، الأخوة الأكراد قادمون، مجلة المجتمع الكويتية، العدد (1531) 2002.

50- محمد بشير حامد، نشر السلطة والتكامل في جنوب السودان، مجلة السياسة الدولية العدد (91)،1988.

51- محمد تابع الدين الحسيني، مساهمة فهم ظاهرة الإرهاب، مجلة الوحدة العدد (67)، 1990.

52- محمد صادق أمين، مجزرة في كردستان العراق، مجلة المجتمع الكويتية، العدد (25144، 2003).

53- محمد مصدق يوسفي، البربريين المطالب المعقولة والاستقلال السياسي مجلة الكويتية، العدد (1451) 2001.

54- مصطفى عبد الله أبو القاسم خشيم، أزمة الخليج بين الإدارة الشعبية ومصالح الحكومة، مجلة الوحدة، العدد (88) 1992.

55- مصعب الطيب بابكر، أحداث دارفور السودانية، مجلة البيان، العدد (200)، 2004.

56- مطاع الصفدي، ميتافيزيقيا والتبعية والهوية، مجلة الفكر العربي العدد (17)، 1981.

57- مطيع المختار، ارتباط الأمن المائي بالأمن الغذائي في الوطن العربي، مجلة الوحدة، العدد (76)، 1991.

58- مطيع المختار، محاولة في تحديد مفهوم الإرهاب، مجلة الوحدة، العدد (67) 1999.

59- هيئة تحرير مجلة الوحدة، الأمن المائي العربي، مجلة الوحدة، العدد (76)، 1991.

60- هيثم الكيلاني، إرهاب الدول، بديل الحرب في العلاقات الدولية، مجلة الوحدة العدد (67) 1990.

61- ودودة بدران، مفهوم النظام العـالمي الأمـريكي الجديـد في الأدبيـات الأمريكيـة، مجلـة عـالم الفكر، العدد (3،4) 1995.
62- وكالة جهان للأبناء (أسطنبول: تركيا)، أكراد سوريا، مجلة المجتمـع الكويتيـة العـدد (1531)، 2003.
63- ياسين سويد، كيف يتحقق الأمن القومي العربي، مجلة الوحدة العدد (98) 1992.
64- يحيى أبو زكريا، معالم الأطروحة البربرية، مجلة المجتمع (الكويت) العدد (1451)، 2001 .

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1- Edgaw O. Balance, The Nerdish Rovolt - faber Ltd,: London, 1975

2- K.J hlosti international politics, A from work fear Analysis prentice - Hellenic.

3- Kenneth walltz. Theory of international politics rezding mass Addison Wesley publishing company 1979.

4- Kenneth. G. Boulding coufícl and Defense Ageneral I.V.Y harpar tourch boods 1963.

5- Maurice East. the intentional system perspective and forage in policy in Maurice east's A slammer and c.f harmannects why actions Act Beverly hills, saye, publications, 1978.

6- Morton A kaplan system and process in international politics NY Jhon willey and sand 1962.

7- Peter Mansfield "The Middle East - London Oxford up. London 5 thed, 1980.

8- Robert L. Rorbstein, The week in the world of the strong - New York: Columbia university Press, 1977.

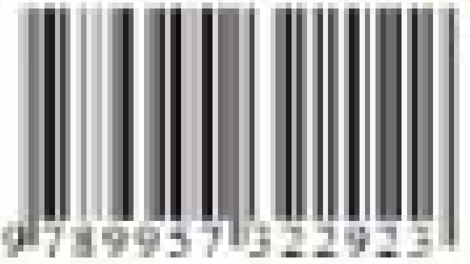
9- Settlement of the Kurdish problem "Athwart publication, Baghdad: 1974.

10- Sheikh waded, The Kurdish and chain country, Lahare University book.

قضايا دولية

تركة قرن مضى وحمولة قرن آتٍ







E-mail: dar_alhamed@hotmail.com

daralhamed@yahoo.com